



ثورة ٢٥ يناير

خواطر تاريخية

مجدى محمد عبد الحميد

القاهرة ٢٠١١





ثورة ٢٥ يناير

خواطر تاريخية

مجدى محمد عبد الحميد

القاهرة ٢٠١١

عبد الحميد ، مجدى محمد
ثورة ٢٥ يناير : خواطر تاريخية
/ مجدى محمد عبد الحميد
٢٠١١، (القاهرة : مطبعة الخالد)
١٧٤ ص ، ٢٥ سم
١- مصر - تاريخ - الثورة
أ- العنوان
رقم التصنيف : ٩٦٢
TD 109.87 A24 2011

رقم الإيداع بدار الكتب : ٢٠١١ / ٨٧٤٥

magd228@hotmail.com
magd228@yahoo.com
٠١٠٧٣٣٥٤٢٤

بعض الصور الموجودة بالغلاف عن مجلة ديرشبيجل .Der spiegel الألمانية حيث كان مندوبها موجودا بمسجد الاستقامة بميدان الجيزة يوم ٢٨ يناير ٢٠١١ م وتم نشر الصور بالموقع يوم ٢٩ يناير ٢٠١١م والبعض الآخر من الصور لم يحدد بدقة صاحب حق الملكية لها فنعتذر لأصحابها

فهرس

إلى

روح أمى وأبى

اللذان وضعا قدمى وأقدام إخوتى

على طريق البر وحسن الخلق وأتمنى أن

يسلك إبناى إسلام وعمرو نفس الطريق

فلكما أمى وأبى الدعاء بالرحمة

***

وإلى إستاذى

معالى الدكتور فتحى محمد على الذى رسخ فى

ذهنى وطريقة حياتى مفهوم التواضع وحسن الخلق

وكذلك الدكتور صلاح المغربى الذى شجعنى على

الكتابة فلهما الشكر والتقدير ....

المؤلف

مقدمة :

يقول الله تعالى فى كتابه الحكيم: " وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ " سورة الحج (الآية ٤٠)،فى تلك الآية الكريمة يشير القرآن إلى أن تاريخ البشرية دائم الثورات والحروب بدفع الناس بعضهم ببعض لينتصر الخير فى النهاية حيث ينصر الله من ينصره .وفى نفس المعنى يعتبر بعض الفلاسفة والمؤرخين مثل هيجل ومن بعده ماركس أن الثورات والحروب هى المحرك الأول لعجلة التاريخ فتلك الصراعات الناتجة عن الثورات والحروب هى التى تدفع بالبشرية إلى الانتخاب التاريخى الطبيعى لتصنع قادة جدد ومن ثم دولا جديدة فى كل مرحلة تاريخية وتضعهم على عرش العالم وتذل وتهوى بآخرين لقاع العالم وغياهب النسيان .

والحقيقة التاريخية التى لاشك فيها هى أن الثورة الفرنسية التى أتت بأوربا جديدة سادت العالم هى صاحبة الفضل الأول على تاريخ العالم الحديث حتى نشوب الحرب العالمية الثانية التى فتحت المجال بعد ذلك لكل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى السابق لتسلم قيادة العالم من أوربا ، ثم أفسح انهيار الاتحاد السوفيتى السابق مع مطلع تسعينات القرن العشرين المجال لتسود الولايات المتحدة خلال الفترة الانتقالية التى يمر بها العالم منذ أوائل التسعينات وحتى الآن .

ولكن التاريخ لا يسكت ولا تقف عجلته كما تحدث القرآن الكريم من قبل وحتى كما تصور هيجل وماركس فقد بدأت بوادر القوة المضادة المكافئة للولايات المتحدة تظهر فى العملاق الصينى القادم من نتاج الثورة الثقافية لماو تسى تونج منذ عام ١٩٤٩ م والذى تعملق مع الثورة التكنولوجية التى أقامتها الولايات المتحدة نفسها مع بداية حكم الرئيس الأمريكى العبقرى بيل كلينتون الذى نشر مبادئ العولمة التكنولوجية والثقافية عبر العالم وأتاح التكنولوجيات الحديثة التى

كانت تحتكرها - بل وتخفيها- الولايات المتحدة لكل العالم بدءاً من الساتلايت ثم الانترنت ثم الموبايل والاتصالات وما سياتى بعد ذلك من رحم الغيب الذى قد لا تستطيع أن تمتلك تمتلك ناصيته الولايات المتحدة وحدها مع نهاية العقد الثالث من القرن الحادى والعشرين . والعجيب أن نتائج تلك الثورة التكنولوجية التى أتاحها عصر بيل كلينتون والتى عولمت العالم معها ثقافيا وتكنولوجيا أتت بثمارها على دول لم يتوقعها حتى بيل كلينتون نفسه فقد ظهرت من تلك العولمة الالكترونية مواقع الانترنت الاجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب والفضائيات مثل قناة الجزيرة والعربية وبى بى سى والتى ساهمت بشكل كبير فى قيام الثورات العربية الحديثة كما حدث فى كل من تونس ومصر مع مطلع عام ٢٠١١ م .

ولو أنك عزيزى القارئ تصورت أن هناك تفاعلات كيميائيا له نتائج أساسية – وله نتائج جانبية – فإن الثورة المصرية من النتائج الجانبية الغير متوقعة للتفاعل الكيميائى بين العولمة والتكنولوجيا التى اقترحها كلينتون أوائل التسعينات ، حيث أن بيل كلينتون قد أعلى شأن العولمة والتكنولوجيا على أمل أن تكون النتائج الاقتصادية هى أهم نتائج التفاعل الكيميائى السابق حيث ستمتلك الشركات المتعددة الجنسيات – وخاصة الأمريكية منها – كل العالم الذى سيتحول إلى قرية صغيرة تتجول فيها الشركات المتعددة الجنسيات بحرية وسيتحول رجال الأعمال وبخاصة الأمريكيين منهم إلى حكام للعالم من وجهة الاقتصاد الذى سيسطر على العالم ويزيح السياسة والدين الذين تربعا على عرش العالم لمئات السنين فيصبح رجل الأعمال هو عضو مجلس النواب وهو الوزير ورئيس الوزراء بل و رئيس الجمهورية ، كل هذا تبناه وتوقعه بيل كلينتون ولكنه لم يتوقع بالطبع أن تقوم الثورات وخاصة العربية منها بناءً على ذلك التفاعل الكيميائى العالمى كأحد أهم النواتج الجانبية **By-product** لتلك العولمة التى تبناها هو ونائبه آل جور .

أما تلك الثورات الحديثة فى العالم العربى والتى قد تمتد جذوتها وشعلتها لتصل حتى للكثير من دول العالم الثالث خلال العقد الحالى فقد قارنها الكثير من المتشائمين بالثورات التى حدثت فى نهاية الثمانينات فى أوربا الشرقية بدءاً من الثورة الرومانية عام ١٩٨٩ م إلى انهيار الاتحاد السوفيتى السابق عام ١٩٩١ م ثم باقى الثورات والانتفاضات التى طالت كل أوربا الشرقية وأدت إلى تقسيم الاتحاد السوفيتى ويوغسلافيا وتشيكوسلوفاكيا وانتهت بصورة تقريبية مع الثورة البرتقالية فى أوكرانيا نهاية عام ٢٠٠٤ م بطريقة أطلق عليها الغرب نظرية الدومينو المتراصة أى الدومينو المتجاورة التى تسقط بالتتابع مع سقوط أول قطعة دومينو ، وقد توقع أولئك المتشائمون فى تلك المقارنات بأن تنتهى تلك الثورات كما انتهت ثورات أوربا الشرقية بالقليل من الحرية والتقدم الاقتصادى .

أما المتفائلون فيتوقعون أن تجر تلك الثورات المنطقة إلى شاطئ الحرية والرفاهية الاقتصادية التى قد لا تصل إلى مرتبة الدول الأوربية ولكن على الإقل تصل إلى مرتبة دول النمور الأسيوية فى جنوب شرق أسيا أو حتى مرتبة تركيا والبرازيل الناشئتين .

ولكن الجديد فى تلك الثورات العربية خاصة فى مصر وما يجعلها متفردة ولا يمكن مقارنتها بوضوح بما سبق من ثورات هو نشاتها خلال الواقع الخيالى الافتراضى على شاشات الكمبيوتر ثم انتقالها إلى الواقع الحقيقى للشارع ومن ثم التفاف الجماهير حولها بطريقة تدعو للدهشة حتى للدول الغربية التى اخترعت الكمبيوتر والانترنت والتى لم تتوقع ذلك التحول الرهيب.

ولكن أيضا بما أن تلك الثورات قام بها أناس هم من البشر فلا بد أن يرتبط سلوك الثورة التى حدثت فى مصر بسلوك ما سبقها من ثورات حيث أن الدوافع البشرية والمعاناة واحدة لدى كل البشر ، وهو ما اعتمدنا عليه فى هذا الكتاب بدراسة تاريخ أهم تلك الثورات والشعوب التى كان لها التأثير الأكبر فى العصر الحديث بحيث يمكن

للقارئ أن يستفيد من تلك الثورات وتجارب الشعوب السابقة ليكون أقل قلقا على الثورة المصرية بل ويتقبل نجاحاتها وحتى فشلها إن حدث – لا قدر الله – بصدر رحب حيث أن التاريخ يعطينا حكما به نسبة كبيرة من الصدق وإن اختلف المؤرخون فى الوقائع التاريخية من حيث صحة تداولها أو تزويرها .
وأود أن أشير أيضا إلى أن التاريخ لا يملك ناصيته المؤرخون فقط بل كل الإنسانية لأنه من تراث البشرية المملوك لها عبر العصور تمييزا لها عن باقى خلق الله على الأرض ، لذلك اعتمدت فى هذا الكتاب على الطريقة التى اتبعها الصحفى الأمريكى جون ريد عند وصفه للثورة البلشفية عام ١٩١٧م فى كتابه الفريد "عشرة أيام هزت العالم " والذى يعتبر أقرب للرواية منه للكتاب التاريخى وكذلك الطريقة التى يتبعها المفكر الدكتور يوسف زيدان وطريقته القصصية التى تجعل القارئ لا يمل من ذكر الحقائق التاريخية .
وقد حاولت فى هذا الكتاب أيضا أن أقدم توثيقا تاريخيا للثورة التى عشناها كلنا حتى يمكن أن نتذكر تلك الأيام بعد عشرات السنين وقمت بتوثيق حتى هتافات الثورة التى قد نبتسم عند قراءتها بعد مرور عدة سنوات على الثورة ، كما أدعو كل مصرى أن يتبع هذا النظام فى هذه المرحلة ويقوم بتوثيق تلك الثورة وما حدث فيها من وجهة نظره حتى لنفسه ولأولاده وأحفاده وإن استطاع نشر ذلك فى كتاب فهو خير له ولمصر كلها لأننا عانينا فيما سبق من المحاولات المتعددة لتزوير التاريخ المصرى .
ونظرا لحداثة الثورة فقلما توجد مراجع محددة يمكن الرجوع إليها غير المراجع الافتراضية من خلال القنوات الفضائية والانترنت وكذلك صحف المعارضة اليومية مما يوقع الباحث فى صعوبة توكيد كتاباته وهو ما حدث لى فى هذا الكتاب فأرجو ان يتقبل منى القارئ ذلك .
وأرجو من الله أن ينتفع من يقرأه بما ورد فيه . والله الموفق .

الباب الأول
ما قبل ثورة ٢٥ يناير

الفصل الأول : مفهوم الثورة وأشهر الثورات العالمية والشرق أوسطية
الفصل الثانى : الثورة الإيرانية
الفصل الثالث : الثورة التونسية

الفصل الأول

مفهوم الثورة
وأشهر الثورات العالمية
والشرق أوسطية

يتحدث الكثير من المحللين عن الثورة التونسية والمصرية والليبية واليمنية والسورية والثورات التى تمت أو ستتم فى المنطقة العربية خلال العقد الحالى على أنها تنطلق من أحد ثلاثة أمور لا يمكن التفرقة بين إمكانية حدوث أى منها وهم :

الأمر الأول :

أن تكون من صنع الخارج – وبصفة خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بمساعدة الدول الغربية – وهذا رأى المنخرطين فى السلطة السابقة والمؤمنين بنظرية الفوضى الخلاقة – التى تعتنقها بعض إدارات صناعة القرار الأمريكى – والتى تعتمد على إيجاد حالة من الفوضى يمكن التحكم فيها من الخارج وتؤدى إلى تغيير الأنظمة فى منطقة مثل منطقة الشرق الأوسط حيث أن دول تلك المنطقة متشابهة الأنظمة وبالتالى ستتبع نظرية الدومينو المتراصة domino theory أى أن وقوع دولة سيؤدى إلى انهيار دول أخرى – كما حدث قبل ذلك فى دول أوربا الشرقية منذ ثورة رومانيا إلى انهيار الاتحاد السوفيتى .

ويمكن أن يتم ذلك باختراق الفضاء الإلكتروني الذى تمتلك ناصيته الولايات المتحدة ويتم شحن المواقع الإجتماعية مثل فيسبوك وتويتر ويوتيوب بالمندسين والتسريبات الحقيقية أو " المفبركة " التى يمكن التحكم فيها بإيعاز الشباب نحو الثورة حيث أن الشباب هم وقود الثورات دائما والمحرك الأساسى لها .

وبعد انهيار تلك الدول أو البعض منها وتغيير أنظمة البعض الآخر بانتقالات وتحولات سلمية أو عسكرية مختلفة الأساليب سيتكون الشرق الأوسط الكبير الممتد من إيران إلى المغرب متضمنا بالفعل إسرائيل مما سيقلل التوتر فى العالم ويجعل الدول الغربية هى المحرك الأول لكل مقدرات العالم والمهيمنة على ثرواته .

الأمر الثاني :

أن تلك الثورات من صنع الشعوب نفسها ومن تحت عباءتها وهـذا رأى الغالبية العظمى من شعوب تلك المنطقة حيث أن تلك الشعوب عانت بطريقة متشابهة من القهر وفساد الحكومات والحكام وتهميش دور الشباب وتحويل الشعوب إلى عبيد أو أقنان فى صورة عصرية مغلفة بحرية الكلام الأجوف ومقيدة بضيق العيش والفقر والمـرض والفزع وهو وضع مشابه تماما للأوضاع العامة قبل قيـام معظـم الثورات القديمة والحديثة ، ومما يدعم هذا الرأى وجود تشابه كبير بين رؤوس الأنظمة التى قامت فيها الثورات مثل تـونس ومصـر وليبيا واليمن وسوريا من ناحية الفساد المستشرى فى كل مكان فـى الدولة وخاصة حاشية الرئيس بالإضـافة تنـامى ثـروات رؤوس السلطة ومحاولة توريث الحكم وتعاظم دور الشرطة والأمـن فـى القمع وكلها أمور متشابهة فى البلـدان العربيـة وإن تفاوتـت فـى درجات التشابه خاصة في الدول سالفة الذكر .

الأمر الثالث :

وهو وسط بين الأمرين السابقين وفيه أن تلك الثورات مـن صـنع الشعوب فعلا ولكن بتحجيم من الدول الغربية بحيث تـتحكم الـدول الغربية فى مسار تلك الثورات بعد اندلاعها فمثلا يتم تسريب أنبـاء ومعلومات قد تكون حقيقية تؤثر على مسار الثـورة لصـالح أحـد الطرفين النظام أو الشعب ، فالثورة فى البحرين وعمان والسـعودية مثلا لا داعى لها الآن فيتم وئدها بسرعة ولا يتم تسريب أنباء عنهـا أما فى ليبيا فلابد من مساندة الثورة الضعيفة بالقوة ليتم التخلص من العقيد القذافى ، ويمكن توضيح ذلك فى الحالـة المصـرية فحينمـا طلبت الولايات المتحدة من الرئيس المصرى السابق حسنى مبـارك ترك الحكم ولم يفعل تسربت أنباء عن ثروته فى الصحف الغربية ثم القنوات الإخبارية العربية بالإضافة إلـى الأنبـاء عـن التعـذيب والمعتقلات وكلها فى معظمها أنباء حقيقية ولكنها لم تكن لتظهر من

قبل، وكذلك نقل وجهات نظر المعارضين فى القنوات الفضائية لفتح ملفات قديمة كانت مغلقة والتأثير على الجماهير باتجاه الثورة ، هذا بالإضافة إلى رفع غطاء الدعم المخابراتي عن النظام ، وكذلك محاولة التأثير فى طريقة انتخاب الرئيس القادم ليأتى متوافقا مع المطالب الغربية حتى وإن كان من الرافعين لواء الدين . كل هذا تعلمته الولايات المتحدة من الأخطاء التى ارتكبتها فى معالجة الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م حيث لم تساند إلا جانب واحد هو جانب الشاه الذى سقط فسقط نفوذها فى إيران للأبد .

وعند النظر إلى الأمور الثلاثة السابقة لم يؤكد أي من المحللين للثورات السابقة توقعه بقيام الثورة فى تونس بل وحتى توقعه بقيام الثورة بهذا الحجم فى مصر بعد تونس أو حتى توقعه بقيامها فى ليبيا أو سوريا برغم من قيامها فى مصر ، وكذلك فى السرعة الشديدة التى تمت بها فى مصر أو فى تونس والتى أذهلت كل منهما العالم حينما شاهد العالم كله مسلسلا أخباريا يوميا عن تونس بدءاً من يوم الجمعة ١٧ ديسمبر ٢٠١٠ م حتى هروب الرئيس السابق بن على يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١ م أو المسلسل الإخباري العظيم فى مصر منذ الثلاثاء ٢٥ يناير إلى ١١ فبراير عام ٢٠١١ م والذي توجد به جميع خصائص المسلسل التليفزيوني الجيد من إثارة وتشويق وكر وفر ودموع وفرح وبداية وذروة ونهاية ففى مسلسل الثورة المصرية ترى فى كل حلقة – أقصد كل يوم – عملا يقوم شباب الثورة وتقوم السلطة بعمل آخر مضاد وهكذا حتى نهاية الحلقات فى ١١ فبراير بتنحي الرئيس السابق محمد حسنى مبارك .

ولكن قبل أن نتناول تلك الثورة ينبغى أن نتناول أولا تعريف ومفهوم الثورة وأشهر الثورات فى العصر الحديث .

تعريف الثورة :

الثورة مثل الزلزال تماما تأتى بما لا يشتهى الناس فهى ترفع أناسا وتذل آخرين ولا مفر من مضارها لكل الناس لفترة معينة قد تطول

أو تقصر وليس للشعوب أى مفر من ملاقاة عواقبها التى دائما ما تهز المجتمع من جذوره فتقلب التربة دائما على من فيها وينبغى أن يتقبل الناس هذا الأمر برياطة جأش وأمل فى المستقبل لأن آثار الثورة لا تظهر على المدى القصير فى عدة شهور بل قد يظهر تأثيرها بعد عدة سنوات .

لذلك فالثورة والحرب عند الماركسسين وأتباع الفيلسوف الألمانى هيجل هى المحرك الأول لعجلة التاريخ حيث أنها نتاج الصراع بين القوى التاريخية التى لا تقاوم وستستمر طالما وجد استغلال للبشر.

أما الباعث للثورة فهو متشابه فى كل الثورات من حيث وجود بوادر التقشف الاقتصادى وضيق العيش والفقر يصاحبه القهر الشديد والفساد الطاغى مع عدم وجود عدالة اجتماعية فإذا وجدت نخبة تبدأ الشرارة الأولى التى تلتف جموع الشعب حولها فتسال الدماء ويسقط القتلى فيغذى ذلك الثورة وتظهر للوجود . وقد تكرر ذلك قبل كل الثورات فى كل الدول بطريقة متشابهة حتى توقع البنك الدولى عام ٢٠٠٨ م بعد الأزمة العالمية قيام العديد من الثورات والحروب نتيجة نقص الغذاء وما يتبعه من غلاء فى العالم بدءاً من عام ٢٠٠٩م وهو ما حدث وسيحدث بالفعل .

والثورة لها عدة تعريفات من وجهة نظر دارسى العلوم السياسية والاجتماعية بل ومن غير دارسى العلوم السياسية حيث أصبحت تطلق على قفزات مؤثرة تتم فى مجالات مختلفة فهناك ثورة صناعية – كما حدث فى القرن التاسع عشر – وكذلك ثورة زراعية وثالثة ثورة علمية ورابعة ثورة تكنولوجية وخامسة ثورة معلومات ... إلخ، وكان أقرب مثال لذلك هو إطلاق الزعيم الصينى ماوتسى تونج على فترة حكمه بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بأنها " ثورة ثقافية ". إلا أن ما يعنينا هو تعريف ومفهوم الثورة من وجهة نظر العلوم السياسية والاجتماعية وهو ماسيتضح كالتالى :

كلمة ثورة فى الإنجليزية Revolution مشتقة من أصول فرنسية révolution ومن ثم لاتينية revolutio وظهرت منذ عصر أرسطو واستخدمت بمعناها الحديث منذ القرن السادس عشر الميلادى ([1]) وتغير مفهومها وتعريفها مع قيام الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م ومع قيام الثورة الروسية عام ١٩١٧م، وكذلك تغير تعريفها مع التطور البشرى خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وبالتالى أصبح لها عدة تعريفات تبدأ من تغيير الحكومة إلى حدوث تغييرات جوهرية فى نسيج المجتمع .

ومن أهم تلك التعريفات الحديثة تعريف توكوفيل Tocqueville عام ١٩٥٥ م بأن الثورة هى سقوط السلطة الشرعية للنخبة فينشأ عنها تغيرات عميقة فى الوضع الاجتماعى والسياسى والاقتصادى، ثم تفرقة كرين برينستون Crane Brinston و جورج بلانكستين George Blanksten بين الثورة والانقلاب حيث أن الانقلاب Coup d'etat هو تغيير للنخبة أو للسلطة الحاكمة بطريقة سهلة.ونظرا لكثرة التعريفات الخاصة بالثورة وحتى لا يتيه القارئ فيمكن دمجها لنصل إلى مفهوم عام للثورة يتضمن ما يلى: الثورة هي تغيير كامل مفاجئ وجذري في النظام أي في الحكم ومؤسساته وما يرتبط به ليسقط النظام القديم ويتم تأسيس نظام جديد وينتج عنها تغييرات جوهرية في الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي للدولة وبالتالي تغيير جذري للمجتمع ككل. وقد تكون شرارة الثورة من النخبة ويتبعها الشعب ويسقط فيها ضحايا كثيرون وهو ما يطلق عليه الثورة الشعبية مثل الثورة الفرنسية أو الثورة الروسية – وكذلك الثورة المصرية عام ١٩١٩ م – أو تكون الثورة باستخدام القوة العسكرية – وحينئذ تسمي انقلابا– أو تتحول إلي ثورة حين يساندها الشعب كما حدث في مصر عام ١٩٥٢ م . وقد تأتي الثورة بنظام أحسن وأفضل من الناحية الديموقراطية والرخاء الاقتصادي والاجتماعى أو

[1] انظر قاموس ميريام وبيستر Merriam Webster فى معنى الثورة Revolution

تأتي بنظام أسوأ وأكثر ديكتاتورية ويظهر ذلك بعد عدة سنوات من قيام الثورة . كما قد تبدأ الثورة شعبية تتضمن كـل التوجهـات الأيديولوجية والسياسية وتنتهي بنظام أيديوجي واحد كما حدث مـع الثورة الشيوعية الروسية عام ١٩١٧م حيث اتبعت النهج الماركسي الشيوعي أو مع الثورة الإسلامية الإيرانية عام ١٩٧٩م حيث اتبعت النهج الإسلامي الشيعي .

أما فى اللغة العربية فالأمر مختلف فكلمة ثورة فى اللغة الفصـحى ليس لها نفس المعنى الحديث فبالرغم من وجود الفعـل ثـار يثـور بمعنى هاج يهيج أو غضب يغضب – يشبه فعل الثور عند هياجه – ووجود اسم الفاعل ثائر بنفس المعنى المتعارف عليه إلا أن المعنى المعروف قديما للمصدر وهو الثورة لم يكن متعارفا عليه حيـث أن الثورة هى البقرة أو أنثى الثور، لذلك لم تكن كلمة ثورة مسـتخدمة فى العصور القديمة بنفس المعنى الحديث بالرغم من وجود معنـى الثورة فى الإسلام حيث يمكن اعتبار فتح مكة ثورة إسلامية وبدايـة كل من الخلافة الأموية والعباسية ثورات أيضا ، وكانت العـرب لا تفرق كثيرا بين الحروب والثورات فهى تطلق عليها " أيام " فكلمـة " يوم " تطلق على الغزوة كما تطلق على الثورة بمعناهـا الحـديث فهناك "يوم حنين" أى غزوة حنين ، كما وردت كلمات مثل غزوة أو وقعة أو موقعة أو معركة أو محنة أو حتـى "هوجـة" أو "هجمـة" للدلالة على الحروب وأحيانا الثورات بمفهومها الحديث . أما كلمـة ثورة بمفهومها الحالى فلم تصل للعرب إلا مع وصول الفرنسيين عام ١٧٩٨ م لمصر وتعرف المصريين على الثورة الفرنسية وبالتـالي استخدام تلك الكلمة كترجمة للثورة الفرنسية .

ولكى نفهم معنى كلمة ثورة التى وصلت إلينا بالمفهوم الحديث ينبغي أن نلقى نظرة تاريخية على الثورات التى غيرت معنى الكلمة لـدى المجتمع الإنسانى الحديث ككل وخاصة الثورة الفرنسـية والثـورة الروسية اللتان غيرتا وجه العالم الحديث .

أشهر الثورات العالمية والشرق أوسطية فى العصر الحديث

لا تكاد تخلو منطقة فى العالم من ثورة حدثت خلال المائتى عام الأخيرة ولكن تختلف تلك الثورات عن بعضها فالكثير منها هى حركات تحرر من الاستعمار أقرب منها للثورات بدءاً من الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ م لذلك فهى غير قابلة للاستنساخ، ولكن القليل منها هى ثورات حقيقية كانت ملهمة للدول الأخرى لكى تكرر تجربة تلك الثورة مثل الثورة الفرنسية والروسية وبعضها كانت أمثلة لثورات بدت ناجحة ولكنها فشلت وسقطت مثل ثورات أوربا الشرقية الحديثة لذلك لابد من دراسة البعض منها بشئ من التفصيل لنتعرف على طريقة قيام واستمرار الثورات لأن ذلك سيفيد القارئ فى وضع تصور لما ستؤول إليه الثورات العربية الحديثة فما أشبه اليوم بالأمس من وجهة النظر التاريخية .

أولا : الثورة الفرنسية (١٧٨٩ - ١٧٩٩ م)

بالرغم من قيام ثورات متعددة قبل قيام الثورة الفرنسية منذ ثورة سبارتكوس أو ثورة العبيد قبل الميلاد بثمانين عاما والثورات الدينية التى تلت ذلك وصولا إلى الثورة الأمريكية عام ١٧٧٦ م بما كان فيها من تطورات أدت إلى تغيير خارطة العالم الجديد بالإضافة إلى ما حدث فى انجلترا من خلال الولوج إلى الديموقراطية من خلال الصراع بين البرلمان والملوك إلا أن الثورة الفرنسية تعتبر هى الثورة الشعبية الأولى فى التاريخ الحديث من حيث زخمها وريادتها للعالم فى الفترة التى تلتها حيث أحدثت تغيرا سياسيا واجتماعيا بل واقتصاديا وعلميا فى العالم آنذاك واستمر تأثيرها المباشر خلال القرن التاسع عشر وامتدت مبادئها إلى الآن معلنة للبشرية شعار "الحرية - المساواة - العدل" الذى جعل الناس فى كل بلدان العالم متساوين فلا فضل لأبيض على أسود ولا لمسيحى على يهودى ولا لرجل على امرأة فكل البشر سواء كما أشارت الأديان سابقاً.

ولكى نعطى كل ذى حق حقه فقد كانت الثورة الأمريكية على قدر كبير من الأهمية والرقى الفكرى والعملى بالإضافة إلى الريادة مع الثورة الفرنسية ولكن لبعدها عن العالم القديم لم تأخذ حقها آنذاك من الدراسة والتمحيص ولم يكن لها تأثير هام على منطقة الشرق الأوسط مثلما كان للثورة الفرنسية التى غزت كل أوربا ومنطقة الشرق الأوسط قبل أن تصبح من تراث البشرية الخالد .

أما فرنسا فهى البلد العريق الذى يقع فى الجنوب الغربي لأوربا والذي أوقف الزحف العربي الإسلامي منذ أربعة عشر قرنا من الزمان والذى لو قدر له اجتياح فرنسا لأصبحت أوربا كلها مسلمة ولكن صمود فرنسا أعطى للديانة المسيحية الحق في أن تبقى أكبر ديانة فى العالم من حيث عدد معتنقيها ([2]) كما أعطى لفرنسا الأفضلية فى أن تكون حامى الديانة المسيحية الكاثوليكية بعد إيطاليا بل وشاركت بصورة أساسية فى الحروب الصليبية على الشرق بدعوى نصرة المسيحيين منذ أكثر من ثمانية قرون. وبعد استقلال أسبانيا المسيحية عن العرب أصبح محور إيطاليا وفرنسا وأسبانيا هو المحور المسيحي الكاثوليكي ([3]) بعد انتشار البروتستانتية([4]) فى

---

[2] آخر تقدير صحيح أقيم عام ٢٠٠٩ فى الولايات المتحدة وفيه أن المسيحيين يشكلون ثلث سكان العالم والمسلمون أقل من الربع والباقى للديانات الأخرى انظر الموقع الأمريكى www.pewforum.org ..

[3] المسيحية الكاثوليكية : هى المسيحية التى تخضع لسلطة بابا الفاتيكان أو كنيسة روما وتعتبر هى والأرثوذكسية التى بنيت على الكنيسة الشرقية فى الاسكندرية قديما هما أقدم الفرق المسيحية منذ القرن الرابع الميلادى منذ عقد أول مجمع مسيحى فى حدود عام ٣٢٢ م وتبنى الكاثوليكية على الكتاب المقدس مع الكهنوت المسيحى للقديسين بطرس وبولس مما يضع البابا على هرم السلطة الدينية ويجب التسليم بكل قراراته وقرارات المجمع المقدس ولا يمكن انتقاده مما أعطى للكنيسة سلطة ونفوذا كبيرين خلال القرون من الحادى عشر إلى الخامس عشر الميلادى وحتى ظهور البروتستانتية التى قامت بالحد من سلطة ونفوذ بابا الفاتيكان فأصبح له السلطة الدينية فقط ، وتنتشر الكاثوليكية فى كل بلاد العالم خاصة أوربا والأمريكتين ويدين بها حوالى ١,٢ مليار نسمة وبنسبة حوالى ٥٥% من المسيحيين .

[4] البروتستانتية هى انشقاق مسيحى عن الكنيسة الكاثوليكية مع مطلع القرن السادس عشر على يد الألمانى مارتن لوثر ودعا فيه إلى الرجوع إلى الكتاب المقدس بصورة أساسية والحد من قداسة البابوات وعصمة رجال الدين والمظاهر والأسرار الكنسية أى الرجوع للديانة الأولى ، وانتشر ذلك المذهب فى شمال وغرب أوربا ويدين به أقل من ثلث المسيحيين فى العالم .

دول ألمانيا وما يحيط بها وكذلك فى انجلترا وشمال أوربا ، وتطور الفكر الفرنسى بعد ذلك لكى يميل إلى الليبرالية والتفكير الحر مع وصول مفكرين وفلاسفة لا يمكن حصرهم مثل رينيه ديكارت وجان جاك روسو فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين بالإضافة إلى الأدباء والفنانين الذين اعتنقوا نفس الفكر.
ولكى نعطى نبذة مختصرة عن الثورة الفرنسية لا بد أن نشير إلى أن القرن الثامن عشر انتشرت فيه العديد من آراء مفكرين متعددين مثل مونتيسيكو وفولتير وروسو تنادى بالحرية والعدل والمساواة بين البشر وهو ما لم يكن معروفا فى العالم آنذاك بل وتنادى بنبذ الملكية والإقطاع والأكثر من ذلك بدأت فى محاولات هدم سلطة الكنيسة الكاثوليكية ومحاولة فصلها عن الدولة بعد أن تورطت فى تعذيب البروتستانت ولكن تلك الآراء كانت تقال وتكتب بواسطة خطباء الثورة مثل روبيسبير للطبقة المتوسطة أما الطبقة العاملة وهى السواد الأعظم من الشعب فلم تكن تجد إلا الفقر والجهل والمرض بل والسجن من كثرة الضرائب والحجوزات حتى وصل الأمر إلى ذروته من الفساد والإقطاع والسخرة مع حكم الملك لويس السادس عشر وزوجته الملكة مارى أنطوانيت ومع طبقة من الإقطاعيين والنبلاء التى تحيط بهما وتحكم كل فرنسا – وكأنك تشاهد عزيزى القارئ النسخة القديمة من الرئيس التونسى السابق بن على وزوجته وحاشيته أو الرئيس المصرى السابق حسنى مبارك وزوجته وحاشيته أو حتى قيصر روسيا وزوجته وحاشيته – وهنا تضاءلت الطبقة المتوسطة التى أخذت تنحدر فى مكانتها وأصبحت طبقة مهمشة لا تأمل فى الحصول على أى مكاسب سياسية وساءت أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية ، أما طبقة الكادحين من الشعب فقد رزحت تحت جبال من الفقر والجهل والمرض والأوضاع الاقتصادية المزرية التى تشبه المجاعة فى ظل بطالة شديدة نتيجة نقص محصول القمح خلال السنين قبل الثورة مما جعل الشعب

الفرنسى على شفا الانهيار فبدأت الانتفاضات المتعددة فى أبريل عام ١٧٨٩م وكانت ذات طابع اقتصادي تصدت لها الشرطة وسقط قتلي ثم تطورت وأصبحت ذات مغزى اقتصــادي وسياســي يــوم سقوط سجن الباستيل الشهير بدءا من ١٤ يوليو ١٧٨٩ م ومن ثـم أدت إلى الثورة الكبرى فى باريس فى ٤ أغسطس عام ١٧٨٩ م .

وكان سقوط سجن الباستيل الذى يمثل سقوط الشــرطة هـو بدايــة الثورة حيث أطلقت حامية سجن الباســتيل – وهـم مـن الجنــود السويسريون – النار على المتظاهرين مما غــذى الثــورة وعجــل بسقوط الحصن أو السجن الذى سجن فيه كبار السياسيين إلى جوار كبار المجرمين ومن لفقت لهم القضايا أو حتى ممن سجنوا بدون أية قضايا ودون معرفة السبب .

وكان من الأسباب الرئيسية لبدء الشرارة هو تهميش وتحقير نــواب الشعب الموجودين فى مجلس النواب من غير النبلاء والإقطــاعيين ورجال الدين حتى أنهم عوملوا قبل قيام الثورة مباشرة عند دخــول البرلمان كما يعامل الخدم بالدخول من الباب الجانبى للبرلمان بالرغم من أنهم من نواب الشعب فقاموا بتأسيس الجمعيــة الوطنيــة التــى أخذت على عاتقها روح الثورة والمقاومة – وكأننى أقرأ نفــس مــا حدث فى مصر فى انتخابات عام ٢٠١٠ م وسقوط كل المعارضين وحينما كونوا برلمانا شعبيا قال لهم الرئيس السابق مبارك " خلــيهم يتسلوا " كناية عن الاستهزاء فما أشبه اليوم بــالأمس – وقــد قــام الملك قبل قيام الثورة بعدة أيام باتخاذ إجراءات متعــددة تحــد مــن سلطة الشعب وتبعث على الخوف من المستقبل مما أدى إلى العديــد من الاحتجاجات انتهت بسقوط سجن الباستيل وهنا رضـــخ الملــك وأعاد الوضع إلى ما قبل الثورة ولكن الثورة كانت قد قامت وارتفع سقف مطالبها بطلبات متعددة حيث انتشرت وطالــت كــل المــدن الفرنسية وبالتالى تكونت لجانا ثورية بديلة للجان المجلــس البلــدى الموجودة سابقا وحدث ما يشبه الانفلات الأمنى وأصبح الفلاحــون

يظنون أن النبلاء هم من يقفون وراء تجويعهم فنهبت قصور النبلاء وأحرقت خلال شهر يوليو من عام الثورة حتى ألغيت الامتيازات الخاصة بالنبلاء وألغى الإقطاع بعد ألف سنة([5]) وتم إعلان العدالة الاجتماعية يوم ٤ أغسطس عام ١٧٨٩ م ومن ثم الإعلان عن حقوق الإنسان والمواطن نهاية أغسطس من نفس العام وكان أول بنوده أن الناس يولدون أحرارا متساوين فى الحقوق وتم التصديق على الإعلان فى أكتوبر من العام نفسه من الملك رغما عنه بعد انتفاضة تسمى انتفاضة الخبز قامت بها النساء فى أول سابقة للثورة النسائية . ولم تمض الثورة على النسق المطلوب حيث هرب الكثير من النبلاء بأموالهم للخارج – مثلما حدث فى كل الثورات التى قامت بعد ذلك – مما أدى إلى تدنى الوضع الاقتصادي للبلاد بما يشبه الثورة المضادة وقد حاول من بقى من النبلاء وأتباعهم من قادة الشرطة والجيش مساعدة تلك الثورات المضادة ولكن لم يفلحوا، وفى النهاية حاول الملك الهرب والاستعانة بملك النمسا أخى زوجته ولكنه قبض عليه ورجع إلى قصره وتم حبس الملك فى أغسطس ١٧٩٢ م وفى هذا التوقيت بدأت الثورة المضادة التى ولدت على يد الاقطاعيين الذين يحلمون بعودة الأيام الخوالى فاتصلوا بالملوك المجاورين لفرنسا يحذرونهم من الثورة الفرنسية ويفشون أسرار البلاد فتجمعت كل الملوك ضد فرنسا ولكن انتصرت فرنسا انتصارا معنويا فى موقعة فالى ضد البروسيين مما أعطى الثورة نصرا جديدا. وأيضا ومن رحم الثورة الأم بدأ عصر الإرهاب والإعدام ما بين عامى ١٧٩٢م إلى عام ١٧٩٤ م كان من بينها إعدام الملك بداية عام ١٧٩٣ م وزوجته نهاية نفس العام . واستمر الحال فى الصراعات التى تمخضت عنها الثورة حتى بلغت ذروتها بعد خمس سنوات ثم بدأت فى الأفول بعد مرور سبع سنوات وانتهت مع تنامى قوة الجيش واستيلاء نابليون بونابرت على السلطة

---

[5] جسب تعبير لويس عوض انظر كتاب الثورة الفرنسية للويس عوض ١٩٩٢

عام ١٧٩٩م وبذلك أنهى عقد الثورة الفرنسية الذى استمر لسبع سنوات من الصراع وعشر سنوات من الانهيار.

ومن نتائج الثورة الفرنسية انتشار **الحرية والمساواة والعدل** فى كل العالم وبين كل البشر مما أدخل العالم إلى مرحلة تاريخية جديدة انتهى فيها عصر العبيد والإقطاع والتمييز بين البشر وامتد ليصل إلى كل الشعوب بعد ذلك ، وكذلك انتشار الفكر الليبرالى المتحرر الذى أدى إلى التطور العلمى والثقافى والاجتماعى والاقتصادى والصناعى خلال القرن التاسع عشر واستمرت آثاره إلى الآن ونحن فى بداية القرن الحادى والعشرين.

وبالرغم من دموية الثورة الفرنسية فإنها كانت حلم كل ثورات العالم ومحل دراسة كل المؤرخين الذين يرون فيها مرآة كل الثورات الشعبية التى حدثت والتى سوف تحدث فى التاريخ الحديث من حيث بواعث الثورة وطريقة سير الثورة والثورة المضادة ونتائج الثورة فى النهاية. ولكن الثورة الفرنسية نظرا لعظمتها التاريخية فقد خرجت من رحمها أوربا جديدة تتسم بالحرية والمساواة تربعت على عرش العالم الحر إلى يومنا هذا وامتدت لتصل إلى العالم الجديد فى الأمريكتين واستراليا .

ثانيا : الثورة الروسية (١٩١٧ م)

" يا عمال العالم اتحدوا " تلك الجملة التى أطلقها الفيلسوف كارل ماركس والمفكر فردريك انجلز عام ١٨٤٨ م من خلال البيان الشيوعى أو (المانيفيستو الشيوعى) ليبدأ بها عصر فلسفة جديدة لا تعتمد على النظرة العلوية لتفسير العالم كما كان عهد الفلسفة دائما ولكنها تجعل الفلسفة تنزل من برجها العاجى لتتحول إلى واقع معتمدة على مبادئ اشتراكية وفلسفة مادية للتاريخ والثورات حيث وضع أساسها الفيلسوف هيجل وطورها كلا من كارل ماركس ومن بعده فردريك انجلز وتبناها من بعده الثوريون أمثال لينين فى روسيا وماوتسى تونج فى الصين أو حتى فيدل كاسترو فى كوبا اعتمادا

على الجموع الغفيرة من الشعب أى الطبقة العاملة أو البروليتاريا التى تنضم إلى النخبة لتنشد "الحرية والخبز والسلام".
ومن المهم أن نعطى نبذة مختصرة عن روسيا ، فإمبراطورية روسيا آنذاك – قبل تكوين الاتحاد السوفيتي – هى أكبر بلد فى العالم تمتد من شرق آسيا إلى غربها كما تعتبر جزءا من أوربا بل وتسيطر على أجزاء كبيرة من أوربا ، واتساع حدود روسيا وتنوع جغرافيتها أعطى لها التفوق فى جميع المصادر الطبيعية من فحم وبترول ومعادن بالإضافة إلى التوسع الزراعي وتنوع محاصيله وكذلك كان لها أهمية صناعية عالمية ، أى يمكن اعتبار روسيا دولة قائمة بذاتها يمكن ألا تعتمد على أحد فى كل احتياجاتها ، ولم تنضم روسيا إلى القطار الأوربى لأسباب كثيرة منها اعتناق أهلها المسيحية الأرثوذكسية وقلة الكاثوليك والبروتستانت والمسلمين بها ، كما أنها تأخرت فى الناحية الفكرية قبل القرن التاسع عشر لذلك عملت على تضييق تلك الهوة بالاتصال الفكري والثقافي والعلمي مع دول مثل فرنسا مما أثرى الفكر الروسى ونتج عن ذلك جيل من المفكرين والأدباء أذهل العالم أمثال ديستوفسكى ومن بعده تولستوى.
وبالرغم من علاقات روسيا مع الغرب فقد كان لها علاقات ما بين سلم وحرب وبين كر وفر ليس مع دول أوربية فحسب بل مع كل من تركيا وإيران وما حولهما من دويلات وهى الدول التى تحدها من الجنوب الغربى لذلك فقد استنفذت الحرب مع تلك الدول خلال القرن التاسع عشر العديد من قدراتها العسكرية والاقتصادية الهائلة وكان ذلك فى صالح الدول الأوربية التى لا تريد شريكا كبيرا فى أطماعها العالمية آنذاك فالحرب والمناوشات بين تركيا وإيران المسلمتين وروسيا الأرثوذكسية يرهقهم جميعا ويأتي بالنفع على أوربا الاستعمارية القديمة.
والحقيقة أن تاريخ الأمة الروسية الحديث مثل تاريخ الأمة الفرنسية والإنجليزية والألمانية يعطى إحساسا بالعظمة التاريخية مما أعطى

أهمية تاريخية لثورتها استحقتها بالفعل كأهم ثورة عرفها العالم في القرن العشرين وامتدت آثارها إلى شرق أسيا ثم لتعبر البحار إلى أمريكا الجنوبية بالإضافة إلى الكثير من دول العالم الثالث .

وقد بدأت الثورة الروسية مثل كل الثورات باحتجاجات منذ مطلع القرن العشرين من الطبقة البرجوازية المثقفة التى تأثرت بآراء الثورة الفرنسية وكذلك أفكار " ماركس " و" انجلز " على الوضع المزرى الذى وصلت له روسيا من فقر وجهل وإقطاع وظلم للعمال والفلاحين وحكم قيصرى فاسد من القيصر نيقولا الثانى وزوجته وحتى حاشيته ومستشاريه وأشهرهم راسبوتين ، ومن ثم تأسست أحزاب معارضة بدءا من عام ١٩٠٣ م وانقسمت عام ١٩١٢ م إلى مانشوفيك – أى الأقلية – وبالشفيك وهم الأغلبية الذين تزعمهم شابا يقترب عمره وطريقته من عمر وطريقة مصطفى كامل فى مصر وتم نفيه للخارج ولكنه عاد مع الثورة عام ١٩١٧ م وهو فلاديمير إيليتش أو لينين .

ومع زيادة الفقر بعد انخراط روسيا فى الحرب العالمية الأولى تأثر الدخل القومى الروسى كثيرا وزاد الفقر وتضاعفت ساعات العمل للعمال حتى تحولوا إلى عبيد للحرب مما ساهم فى بدء الاحتجاجات مع بداية عام ١٩١٧ م وانضم الجنود إلى الثوار مع نهاية فبراير ١٩١٧ م لتبدأ الثورة فى كل أنحاء روسيا ويستجيب القيصر نيقولا الثانى فيتنحى لحكومة انتقالية لم تستطع إنهاء حكم القياصرة والإقطاع بصورة كاملة مما مهد الطريق للثورة البلشفية مع نهاية أكتوبر عام ١٩١٧ م .

لقد كان من نتائج مظاهرات فبراير وتنحى القيصر ووصول تروتسكى صاحب لينين لوزارة الدفاع أن ساعد على عودة كل المنشقين فى الخارج وعلى رأسهم بالطبع لينين قائد الثورة – كما عاد الخمينى لإيران عام ١٩٧٩ م فيما بعد – وهنا ظهرت قوة البلاشفة أو حزب الأغلبية المعارضة التى تبنت الثورة المسلحة حتى

تحقق لها الحلم يوم ٢٦ أكتوبر بالتقويم الروسى – الموافق ٨ نوفمبر بالتقويم الميلادي – وسيطر الثوار البلاشفة على مقاليد الحكم وتأسست أول حكومة ثورية في القرن العشرين برئاسة لينين الذي حاول أن يطبق أفكار أساتذته العظام أصحاب الفكر الاشتراكى والشيوعى " كارل ماركس " و" فردريك انجلز " على طريق الواقع فقد تحققت نبوءتهما بالفعل فى روسيا وليس فى انجلترا كما توقع كارل ماركس قبل وفاته .

ومن المهم الإشارة إلى المرحلة التى تلت الثورة والتى فاقت فى وحشيتها مرحلة الثورة الفرنسية ، فقد أعدم القيصر وزوجته وبناته عدا واحدة هربت بل وأعدم كل من له صلة بالقيصر والإقطاع ووصل الأمر إلى إعدام واغتيال عدة ملايين من الروس خلال عدة سنوات ، والأصعب هو وصول هذا العدد إلى عشرات الملايين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية خلال ثلاثين عاما .

ولكن لم يمهل القدر لينين ليتلمس آثار الثورة فتعرض لمحاولة اغتيال عام ١٩١٨ م كان لها الأثر فى اعتلال حالته الصحية حتى توفى مع بداية عام ١٩٢٤ م بعد أن قام بوضع أول لبنة فى بناء الاتحاد السوفيتى الذى نتج عن اتحاد أربع جمهوريات وليدة من رحم الثورة وهى روسيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا وجورجيا عام ١٩٢٢م توسعت فيما بعد لتضم خمسة عشر جمهورية . وبعد موت لينين وتولى ستالين حكم البلاد أخذت ظاهرة عالمية جديدة تغزو العالم وهى ظاهرة الديكتاتور القادم من الشعب بدعم الثورة والذى تكرر نموذجه فى إيران (رضا خان) وفى أسبانيا (فرانكو) وحتى فى ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية ولكنه فى روسيا لم يكن له مثيل حيث اتخذ ستالين مثالا لأبشع ديكتاتور فى تاريخ العالم الحديث حتى أن عدد من ماتوا فى عهده سواءً قبل الحرب العالمية الثانية أو بعدها يقال أنه وصل إلى ما يفوق الأربعين مليون شخص بل وقد يصل العدد إلى خمسين مليون شخص بدون أسانيد تاريخية .

وتكمن أهمية ثورة روسيا ليس فى أول طريقة لحكم الشعب للشعب فقط بل مساهمتها فى نقل أفكار الثورة إلى كل شعوب العالم المقهورة في كل الدول مما أعطى لها تأثيرا كبيرا على مجريات الحياة فى شرق أوربا والكثير من دول آسيا ومنطقة الشرق الأوسط وحتى أمريكا الجنوبية لذلك يمكن اعتبارها ثانى أكبر ثورة شعبية فى التاريخ الحديث بعد الثورة الفرنسية حيث أنها سيطرت بأفكارها على جزء كبير من العالم لفترة تزيد على خمسين عاما وألهمت العديد من الشعوب لكى تقوم بالثورات ونشرت الفكر الاشتراكي والماركسي عبر العالم منذ قيامها بعد الحرب العالمية الأولى إلى أوائل السبعينات من القرن العشرين ، وأيضا وضعت تلك الثورة الاتحاد السوفيتى السابق كأكبر قوة عالمية لمدة تزيد على خمسين عاما بالمناصفة مع الولايات المتحدة الأمريكية حتى بدأ انهياره نهاية عام ١٩٩١ م وبداية عام ١٩٩٢ م .

ثالثا : ثورات أوربا الشرقية الحديثة :

هناك بعض الثورات قد نلتفت إليها ليس لعظمتها ونجاحها ولكن لفشلها فمع نهاية ثمانينات القرن الماضى بدأت تسرى فى أوصال دول حلف وارسو – الاتحاد السوفيتيى وحلفاؤه – أعراض الوهن بل وامتد الوهن إلى العاصمة التى سمى بها الحلف حيث ظهرت فى وارسو ببولندا بوادر إنشقاق عن الشيوعية السوفيتية على يد ليش فاونسا منذ عام ١٩٨٩ م والتى انتهت بإقامة أول حكومة غير شيوعية عام ١٩٩٠ م وكذلك فى رومانيا ثم المجر وكذلك تشيكوسوفاكيا ويوغسلافيا اللتان انقسمتا إلى عدة دول بطريقة شبهها الغرب بطريقة لعبة الدومينو المتراصة أى توضع قطع الدومينو بجوار بعضها فإذا وقعت إحداها استمر تسلسل الوقوع حتى آخر قطعة دومينو وهذا ماحدث بالفعل فى دول أوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى السابق حيث وقعت كل الدول بطريقة الدومينو وكأن هناك

فاعلا خفيا يقف وراء ذلك ويساند تلك الحركة مثلما يحدث الآن فى الدول العربية حسب بعض التفسيرات على صحتها أو خطئها.
أما الثورة الهامة فهى الثورة الرومانية عام ١٩٨٩ م والثورة البرتقالية فى أوكرنيا عام ٢٠٠٤ م واللتان تشبهان إلى حد كبير الثورات العربية الحديثة كما فى مصر وتونس عام ٢٠١١ م ولكنهما للأسف انتهتا بنهايات مأساوية مثلما حدث لمصر فى ثورة عام ١٩١٩ م حيث لم يجن الشعب الرومانى أو الأوكرانى إلا القليل من الحرية والكثير من التخلف عن ركب أوروبا السريع وسنعرض لتلكما الثورتين اللتان اتخذناهما كمثال للثورات الفاشلة.

أ- الثورة الرومانية عام ١٩٨٩ م:

"نيقولاى شاوسيسكو" الزعيم الرومانى الذى ولد فى السنة التى ولد فيها العظماء من أمثال جمال عبد الناصر وأنور السادات عام ١٩١٨م والذى تدرج فى مناصب الحزب الشيوعى الرومانى حتى أصبح السكرتير العام فى سنة ١٩٦٥ م ثم استحق بالفعل لقب الطاغية الرومانى مع نهاية عام ١٩٨٩ م حيث أنه منذ توليه الرئاسة عام ١٩٧٤م وهو يمسك بقبضة من حديد على مقاليد الحكم فى رومانيا تلك الدولة الاشتراكية الشيوعية شرق أوربا ، فقد أغلق كل أبواب الحرية أمام الشعب الرومانى حتى القنوات التليفزيونية حولها لقناة واحدة لا تعرف إلا أخباره وأخبار زوجته إيلينا وبلغت فى عهده شطحات البذخ لتصل إلى حد إقامة الفيلات والقصور والمنتجعات الرئاسية فى كل مكان حتى أن أحد القصور الرئاسية وصل عدد غرفاته إلى ألف غرفة بنيت من دماء ورفاهية الشعب الرومانى بل وأصبح يقارن نفسه بيوليوس قيصر كما كانت تدعى وسائل إعلامه التى جعلته رب العائلة الرومانية .
وكعادة كل الطغاة استعان شاوسيسكو لتدعيم حكمه بالشرطة السرية أو " السيكيوريتات" التى تكمم كل الأبواق كما استعان بالجيش فى وئد كل القلاقل ووصل الأمر إلى أن كل رومانى سافر الخارج لأى

سبب حتى ولو للألعاب الأوليمبية كما حدث عام ١٩٨٤ م أخذ يفكر فى حق اللجوء السياسى للدول الغربية بالخارج حتى لا يعود للقهر فى رومانيا التى سيطرت عليها حاشية شاوسيسكو .

ومع نهاية عام ١٩٨٩ م وصل الأمر لذروته حين احتجت مدينة تيميشوارا شمال غربي العاصمة بوخارست ضد ترحيل قس من أصل مجرى يوم ١٥ ديسمبر من نفس العام وقيام قوات الجيش والشرطة بالتدخل لمدة خمسة أيام ضد سكان المدينة وقتلهم أكثر من مائة قتيل وعندما انتقلت شرارة الثورة يوم ٢٠ ديسمبر إلى للطلبة والشباب في العاصمة بوخارست واجهتهم قوات الأمن بكل عنف فقامت الثورة بالفعل فى بوخارست وحاول الرئيس شاوسيسكو إلقاء خطاب " الان فهمتكم " – كما فعل بن على فى تونس – ولكنه كان فى الهواء الطلق أمام قصره الرئاسى فدوت صيحات الإعتراض ثم ما ليثت أن قويت وتعملقت فانسحب الرئيس وحاول الهروب من القصر من أحد الخنادق السرية وهنا بدأت كل جماهير رومانيا فى الثورة ضد الظلم في كل المدن وحاولت الجماهير مقاومة الجيش والشرطة واستمالة أفراده وبالفعل مال بعض أفراد الجيش للشعب حتى اعتقلت قوات الجيش الرئيس قبل هروبه هو وزوجته .وبعد اعتقال شاوسيسكو تكونت محكمة عسكرية للرئيس وزوجته بسرعة وتم الحكم عليه بالإعدام هو زوجته ونفذ فيه الحكم فى ٢٥ ديسمبر عام ١٩٨٩ م وعندئذ تعالت أصوات الشعب فى كل مكان من رومانيا التى دخلت عهدا جديدا بلا حكم شيوعى وفتحت الباب لكل الدول الشيوعية لكى تنهض ضد حكامها الطغاة فقامت بولندا عام ١٩٩٠ م بتكوين أول حكومة غير شيوعية وحتى الإتحاد السوفيتى نفسه تفكك إلى دويلاته الأساسية عام ١٩٩١ م . ولكن الثورة لم تصل إلى أدنى تصور لطموح الشعب الرومانى فيما بعد وخلال السنوات القليلة التالية سقطت الثورة تماما ، وستجد عزيزى القارئ فى الباب الثالث الخاص بتصورات ما بعد الثورة المصرية ما بعزز ذلك .

ب- الثورة البرتقالية فى أوكرانيا ٢٠٠٤-٢٠٠٥ م:

حين ابتدأت الإنتخابية الرئاسية الحاسمة فى أوكرانيا الدولة الهامة التابعة لأول اتحاد سوفيتى – سابقا – نهاية نوفمبر ٢٠٠٤م بين المرشحين يوشينكو و يانوكوفيتش تم التلاعب فى النتيجة لصالح يانوكوفيتش الموالى للحكام الروس فقامت الدنيا ولم تقعد فى أوكرانيا بطريقة سلمية ترفع شعارات ذات لون برتقالى كان يرفعها يوشينكو أثناء الانتخابات واستمرت الاحتجاجات والاعتصمات فى كييف العاصمة وامتدت إلى كل المدن ضد الفساد والتزوير والبطالة والفقر حتى يناير من عام ٢٠٠٥ م حيث أعيدت الانتخابات ونجح فيها يوشينكو وتولى الرئاسة واحتفل الشعب الأوكرانى بانتصاره .

والعقبة ليست فى تلك الثورة ولكن فيما أتى بعد الثورة حيث فشلت الثورة فشلا ذريعا فى القضاء على الفساد أو حتى الحد منه ولم يلبث أن سقط الرئيس الذى قام بالثورة وعاد الرئيس القديم من خلال الانتخابات التى لعبت فيها سطوة المال والنفوذ مرة أخرى بعد أربع سنوات وبالتالى فشلت تلك الثورة فى الحصول على أية مكاسب مهمة للشعب الأوكرانى على مدار أربع سنوات لذلك تعتبر مثلا سيئا للثورات الفاشلة بعد قيامها .

رابعا : الثورات الشرق أوسطية :

إذا استثنينا الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م فقد يعتبر الباحث فى تاريخ الثورات أن ثورات منطقة الشرق الأوسط مثل معظم ثورات العالم الحديثة ذات طابع تحررى من الاستعمار حتى بداية عام ٢٠١١ م فلم تظهر بتلك المنطقة ثورات بالمعنى المفهوم بما فيها من إراقة دماء إلا فى مصر والجزائر ، فقد كانت ثورة ١٩١٩ م فى مصر وثورة الجزائر عام ١٩٥٤ م هما أكبر ثورتين شعبيتين فى تاريخ المنطقة الحديث بالرغم من قيام ثورات تحررية تم وئدها مبكرا فى معظم البلاد من سوريا إلى ليبيا إلى العراق ولكنهم بما فيهم الثورة المصرية عام ١٩٥٢ م والجزائرية عام ١٩٥٤ م لم يقدموا لشعوب

منطقتهم نموذجا يمكن الإقتداء به حيث نجحت ثورتا الجزائر ومصر فى محيط مجتمع ضيق لا يتعدى حدود الشعب الذى قامت فيه الثورة أو بعض الشعوب المجاورة فبرغم تعاطف كل العالم مع ثورة الجزائر ومصر إلا أنهما لم يصلا إلى مرحلة الاستنساخ إلى دول أخرى، لذلك تعتبر الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩م هى الثورة الشعبية الأولى القابلة للاستنساخ فى المنطقة حيث كان لها تأثير كبير على نفوس وأحاسيس شعوب المنطقة وحتى الخوف من تكرارها فى مناطق أخرى جعل الغرب يستمر إلى الآن فى محاربتها مما جعلنا نفرد لها فصلا منفصلا هو الفصل التالى .

وبداية نشير إلى أن تأثير الثورة الفرنسية امتد إلى منطقة الشرق الأوسط منذ غزو نابليون للشرق عام ١٧٩٨ م حيث تنبه الأوربيين وخاصة انجلترا إلى أهمية منطقة الشرق الأوسط التجارية فبدأت بوادر تقسيم المنطقة إلى مناطق نفوذ فرنسية مثل الشام والمغرب العربى ومناطق نفوذ إنجليزية تشمل باقى مناطق الشرق الأوسط وأدى الأمر إلى احتلال معظم البلاد العربية من هاتين الدولتين مع احتفاظ إيطاليا بالامتداد التاريخي لها فى ليبيا وبقيت كل من تركيا وإيران على أطراف الدول العربية وتم شغل كل منهما واستنفاذ قدراته بالحرب مع روسيا القيصرية .

ومع الاحتلال للدول العربية قامت عدة انتفاضات وثورات فى مصر أتت بمحمد علي واليا على مصر وفى الجزائر تم سحق الثورات بالقوة الغاشمة من قبل فرنسا وكذلك الثورة العربية فى العراق والأردن والثورة الليبية بقيادة عمر المختار وثورات وانتفاضات تالية شملت كل البلاد العربية تم وئدها جميعا من قبل المحتل الأوربي فى كل البلاد العربية .

ومن أهم الثورات ذات التأثير الإقليمى فى المنطقة العربية ثورة مصر عام ١٩١٩م وثورة عام ١٩٥٢م وثورة الجزائر عام ١٩٥٤م

وثورة ليبيا عام ١٩٦٩ م وسنتحدث عن كل منهم بنـوع مـن التفصيل لنتبين حكم التاريخ على كل منهم .

الثورة المصرية عام ١٩١٩ م :

" نحن الموقعين على هذا قد أنبنا عنا حضـرات : سـعد زغلـول (ورفاقه) في أن يسعوا بالطرق السلمية المشروعة حيثمـا وجـدوا للسعي سبيلاً في استقلال مصر تطبيقاً لمبادئ الحرية والعدل التـي تنشر رايتها دولة بريطانيا العظمى " . انتشرت تلك العبـارة علـى أوراق يتم التوقيع عليها من كل المصريين مـن الإسـكندرية إلـى أسوان ومن الشرق إلى الغرب وقد وقع عليها المتعلمـون وبصـم عليها غير المتعلمين عام ١٩١٨ م .

ولكن عام ١٩١٨ م كان هو العام الأسوأ فى تاريخ مصر الحـديث فمصر مثل باقى دول العالم اكتوت بنار الحرب العالمية الأولى وأخذ رجالها إلى الخطوط الخلفية للحـرب فـى عـدة دول وصـودرت المزروعات والماشية من فلاحيها لصالح الحرب خلال الفترة مـن عام ١٩١٤ م إلى عام ١٩١٧ م مما جعـل الفلاحـين والأجـراء يهربون إلى المدن ويشكلون جيشا من الجياع لا يجد قوت يومه حتى من الخبز فحدثت أزمة خبز فى هذا العام وأحس المصـريون بـأن بلدهم تنهب من الاحتلال الانجليزى فأقدم بلد مصدر للقمح فى العالم لا يجد أهله رغيف الخبز فأحس السلطان فـؤاد الأول – قبـل أن يصبح ملكا – بأن بوادر الثورة قادمة فحاول توزيـع الخبـز علـى الفقراء ونقل الفلاحين إلى قراهم مرة أخرى ولكنه لم يفلح فى وئـد الاحتجاجات التى طالت كل مكان فى مصر وكل نقابة وكل مدرسة خلال الفترة من أواخر عام ١٩١٨ م إلى بـدايات عـام ١٩١٩ م ، وهنا ظهر دور النخبة السياسية المتمثلة فى سعد زغلول باشا ورفاقه الذى شكلوا وفدا ليحضر مؤتمر باريس المنـادى بالاسـتقلال عـن الاحتلال البريطانى فقامت قوات الاحتلال بالقبض على سعد زغلول وبعض رفاقه وتم نفيهم إلى جزيرة مالطة أمام تونس فكانـت تلـك

الشرارة التى أشعلت الثورة فى كل ربوع مصر منذ اليوم التالى لنفى سعد زغلول بدءً من ٨ مارس ولمدة تصل إلى شهر ونصف حاول فيها المصريون استلهام الدور الروسى للثورة التى حدثت قبلهم بعام ونصف فقامت احتجاجات العمال وقطعت خطوط السكك الحديدية التى تنقل المؤن والأغذية للجيش البريطانى وردت قوات الاحتلال بعنف لم يسبق له مثيل فى مصر وساعدتها فى ذلك قوات الشرطة – حيث لم يكن هناك جيش قوى فى مصر – فقامت بالتعذيب والقتل والنهب فى كل قرى مصر المجاورة للسكك الحديدية ولكن المصريون لم يستجيبوا فاضطرت بريطانيا العظمى إلى الاستجابة لطلب الشعب وعاد سعد زغلول ورفاقه فى ٧ ابريل ليحضروا مؤتمر الصلح فى باريس الذى لم ينصف مصر ولم يجز لها الاستقلال عن بريطانيا فعاد الوفد خالى الوفاض فاشتعلت الثورة مرة أخرى وأعيد نفى سعد زغلول مرة أخرى ولكن إلى جزيرة سيشيل جنوب شرق أفريقيا ولكنه عاد مرة أخرى لمصر ورضخت بريطانيا وأصدرت تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ م والذى اعتبر مصر دولة مستقلة ذات سيادة يحكمها النظام الملكى وتقلص دور بريطانيا إلى دور الحماية لقناة السويس والمناطق الهامة .

وقد أخذت ثورة ١٩١٩ م حقها من الدراسة التاريخية فهى تعتبر أول ثورة للمصريين فى العصر الحديث ونتج عنها وضع أول دستور مصرى عام ١٩٢٣ م الذى اعتبر مصر دولة ملكية مستقلة وشكلت أول حكومة منتخبة ديموقراطيا عام ١٩٢٤ م بقيادة سعد زغلول مما أدى إلى قيام نهضة مصرية شاملة فى العديد من المجالات الثقافية والعلمية والاقتصادية وحتى الفنية وبالتالى حصل المصريون على قدر ما من الحرية والمساواة جعلت مصر قائدة العالم العربى خلال تلك الفترة وهو ما جعل المؤرخون يؤكدون نجاح الثورة كأول ثورة مصرية شعبية حديثة .

ولكن خلاصة القول أن الثورة نجحت في تحقيق الحرية والمساواة وفشلت في تحقيق العدل والعدالة الاجتماعية بالرغم من أن سعد زغلول نفسه كان وزيرا للعدل أو الحقانية أوائل القرن العشرين حيث ظلت الثروة في يد قلة من الإقطاعيين والباشاوات.
أما ما لم يجعل الثورة توضع في مجال الثورات العظام في تاريخ المنطقة العربية والشرق أوسطية فهو إخفاقها في تغيير النظام الموجود بالكامل فالثورة الروسية قبلها بعام ونصف أسقطت القيصر ونظامه كاملا ولكن الثورة المصرية كان لنخبتها طلب واحد وهو الاستقلال حتى أن بعض رفاق سعد زغلول الذين لم ينفوا معه كانوا هم من طلبوا من الشعب عدم القيام بالثورة بل طلبوا مساندة الملك والباشاوات ومن هنا يمكن اعتبار أن نخبة الثورة هي التي لم تحقق حلم الثورة برغم نجاح الشعب في ثورته - كما نجح الشعب من قبل في روسيا نهاية عام ١٩١٧م - أي أن نخبة ثورة مصر عام ١٩١٩ م وهم سعد زغلول ورفاقه قد سكنوا إلى أقل طموحات ممكنة تتضمن استقلالا زائفا وحكومة منتخبة استمرت لأعوام قليلة ثم عادت كل الأمور إلى طبيعتها مع القليل من التغيير بعد وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧ م، وإن اعتبر المصريون تلك الثورة تمهيدا لثورة ٢٣ يوليو التي حققت الكثير للشعب المصري بنقلة نوعية واضحة لطريقة حياة المصريين .

ثورة مصر في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م :

" بني وطني ... " تلك الكلمة التي كان الرئيس السادات يرددها دائما على أنها أول كلمات الثورة صبيحة يوم ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م بعد استيلاء الجيش على مقاليد الأمور في مصر وعزل الملك وتنحيته ثم خروجه يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٢م من الاسكندرية فتحولت ثورة ٢٣ يوليو من انقلاب عسكري إلى ثورة بعد مساندة الشعب لها .
لقد عرف كل المصريين وكل العرب تطورات ثورة ٢٣ يوليو وحفظوها عن ظهر قلب لمدة تصل إلى خمسين عاما ولم تترك تلك

الثورة كتاب تاريخ فى أى دولة عربية إلا وذكرت فيه وذكر قائدها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كأول حاكم مصرى حقيقى لجمهورية مصر عام ١٩٥٤ م بعد أكثر من ألفى عام من حكم غير المصريين لمصر عبر مراحل التاريخ المختلفة .

ولا نريد أن نحشو هذا الكتاب بما يحفظه المصريون عن تاريخ حكم مصر قبل قيام الثورة من فساد الملك والحاشية الذى لا يمكن لأحد أن ينكره فالملك له من العيوب ما فاق حسناته وله من الحسنات ما يجعله أفضل من رؤساء عرب ومصريين نهبوا شعوبهم وثرواتها ولكنه آثر السلامة ورحل فى لين ورفق تاركا للشعب حرية اختيار مصيره وهو ما يعكس عظمة هذا الشعب وتاريخه العريق وأدى إلى نجاح ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م .

وقد قامت الثورة على ما فشلت فيه ثورة ١٩١٩ م وهو تحقيق العدالة الاجتماعية فقامت الثورة بالفعل فى تحقيق تلك العدالة واستجاب لها الشعب المصرى بالكامل فتحول الفلاحون الأجراء إلى مالكين للأرض ودخل أبناؤهم المدارس وتعلموا وحصلوا على أفضل الشهادات وتم إنشاء العديد من الصناعات وتأميم الجزء الآخر واستوعبت المصانع والمزارع العمالة المصرية كما وضعت أول خطة خمسية فى تاريخ مصر عام ١٩٥٧ م نتج عنها دولة مصر الجديدة الحديثة ، والأهم من ذلك هو قيام جيش مصرى جديد عماده الشعب والمجندين وتم تحديثه بأحدث المعدات الموجودة فى ذلك الوقت ، أى يمكن القول أنه خلال تسع سنوات من قيام الثورة وحتى عام ١٩٦١ م استوعبت مصر كل المصريين وطورت حياتهم للأفضل مما أعطى أهمية كبرى لثورة ٢٣ يوليو فى المنطقة .

وقد حاولت ثورة ٢٣ يوليو استنساخ نفسها فى كل المنطقة سواءً فى سوريا أو العراق أو السودان أو اليمن أو الجزائر أو حتى ليبيا ولكنها لم تنجح لوقوف الدول الغربية ضدها بل ومساندة إسرائيل ودعمها وتقويتها لكى توقف الزحف المصرى على الدول العربية

وبالفعل نجحت إسرائيل فى ذلك وتم إبطاء عجلة الثورة المصرية بدءا من حرب اليمن عام ١٩٦١ م ومن ثم وقف تلك العجلة نهائيا على يد إسرائيل عام ١٩٦٧ م الذى يعتبر عام نهاية ثورة ١٩٥٢ م ونهاية عصر مصر القوية وبداية عصر مصر كدولة من دول العالم الثالث العادية ذات التأثير المحدود .
ولن نكثر من الخوض فى نتائج الثورة لأن كل المصريين يدركون فضل تلك الثورة عليهم وعلى تطورهم الاقتصادى والثقافى والتعليمى وعدالتهم الاجتماعية بالرغم من غياب الديموقراطية فيها حيث أصبح المصريون متساوين فى الحقوق والواجبات وفى حق التعليم والعلاج ولم يعد هناك سلطة لملك أو باشا كما لم يعد هناك احتكار للثروة خلال فترة تصل إلى ثلاثين عاما بعد قيام الثورة وعلى النقيض أيضا لم تكن هناك ديموقراطية حقيقية .

الثورة الجزائرية ١٩٥٤ - ١٩٦٢ م :

لم يعرف تاريخ المنطقة العربية ثورة قدم شعبها عددا من الشهداء مثلما قدمت الثورة الجزائرية التى وصل عدد ما قدمته من شهداء إلى مليون شهيد أو أكثر خلال سبعة أعوام ونصف - من عام ١٩٥٤ م إلى عام ١٩٦٢ م - من الكفاح المسلح ضد المستعمر الفرنسى الذى كان ينادى منذ مائتى عام بالحرية ولكنه قام بوئدها فى الجزائر حيث كانت فرنسا تعتبر الجزائر أرضا فرنسية منذ عام ١٨٤٨ م أى بعد ستة عشر عاما من احتلالها بعدد يصل إلى ١٢٠ ألف جندى وهو رقم كبير فى ذلك الوقت جعل من الجزائر بالفعل أرضا فرنسية وقتل فيها كل مقاومة بكل عنف ووحشية، وبذلك اعتبرت الجزائر هى الامتداد الطبيعى والتاريخى لفرنسا التى جعلت اللغة الفرنسية هى اللغة الأولى فيها واللغة العربية ولهجاتها لغات أجنبية ثانية واعتبرت فرنسا أن شعب الجزائر وأصله من البربر هو من الشعوب الأوربية وليس من الشعوب العربية ولكن فرنسا لم

تنجح في القضاء على الإسلام وبالتالي لم تنجح في القضاء على اللغة العربية ولا على عروبة الجزائر وشعبها .
وبعد هزيمة فرنسا في بلدها الأصلية – فرنسا – واحتلالها بواسطة هتلر أوائل الحرب العالمية الثانية لم تنهزم في الجزائر لذلك كانت الحامية الفرنسية بالجزائر ثابتة وهو ما أدى إلى طمع الجزائريين في نيل الاستقلال منذ عام ١٩٤٤ م على يد فرحات عباس ولكن فرنسا أغلقت الباب بشدة عام ١٩٤٥ م بعد النصر في الحرب فقتلت من الجزائريين عشرات الألوف مما جعل الجزائريون يجنحون إلى الكفاح المسلح الذي انطلقت شرارته الأولى من القاهرة حيث تم إشهار جبهة التحرب الوطني الجزائرى في اجتماع تم في أكتوبر عام ١٩٥٤ م من خلال ستة قادة للحركة وكلمة سر ، وبدأ العمل المسلح مع بداية نوفمبر عام ١٩٥٤ م بأشهر كلمة سر في التاريخ العربى الحديث وهي " خالد وعقبة " التي كان من يرددها يعني أنه من مناصرى الثورة وكان من نتائج هذا العمل المسلح الذي قامت مصر بدعمه أن حدث العدوان الثلاثي على مصر واشتركت فيه فرنسا للانتقام من عبد الناصر ودعمه للثورة الجزائرية وردت مصر بعد فشل العدوان الثلاثي بمساندة أكبر للثورة بدءاً من تهريب المال والسلاح عبر ليبيا إلى المجاهدين ثم تطورت المساندة إلى نوع آخر فلجأت إلى الفن ووسائل الإعلام وشرعت في تعبئة الجو العربي بأغاني المطربين العرب الوطنية بل وإنتاج فيلم عن المناضلة جميلة بوحريد فعرف العالم العربى ثورة الجزائر وزاد المصريون دعمهم بالموافقة على تأسيس أول حكومة جزائرية في المنفى عام ١٩٥٨م، واستمر الكفاح المسلح والانتهاك الفرنسي لكل الأعراف الدولية بحجة أن الجزائر هي مقاطعة فرنسية إلى أن وافقت على الاستقلال من خلال إجراء استفتاء عام ١٩٦٢ م أجاب فيه كل الشعب الجزائرى بنعم للاستقلال واعترفت فرنسا باستقلال الجزائر

فى ٥ يوليو عام ١٩٦٢ م بعد أن قدمت الجزائر لفرنسا ما يزيد على مليون فتيل وجريح لتوافق على هذا الاستقلال .
ولكن الجزائر بعد الثورة عانت مما عانت منه مصر من التفاف الجيش على الثورة وميوله إلى تحقيق العدالة الاجتماعية على حساب الديموقراطية ولكن الشعب الجزائرى اكتسب ثقته فى نفسه بعد ١٣٠ عاما من الاحتلال .
وبالرغم من أهمية الثورة الجزائربة إلا انها كما أشرنا من قبل لم تكن أبدا قابلة للاستنساخ فى مناطق أخرى من العالم العربى لكونها ثورة تحريرية لا تبتغي إلا الاستقلال كما فعلت من قبل ثورة ١٩١٩م المصرية إلا أنها قدمت عددا كبيرا من الشهداء والجرحى يفوق ما قدمه وسيقدمه العرب جميعا على مدى ثوراتهم التى حدثت والتى سوف تحدث خلال المائة عام القادمة .

ثورة الفاتح من سبتمبر الليبية ١٩٦٩ م :

" أتركم وانا أقول إن معمر هو الأمين على الأمة العربية " جملة قالها الزعيم جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ م عندما زار ليبيا بعد الثورة – أو الانقلاب – لتهنئتها على أنها أول مستنسخ حقيقى من الثورة المصرية بعد مرور ١٨ عاما على قيام الثورة المصرية .
فليبيا من أصغر البلدان من حيث عدد السكان فى شمال أفريقيا على كبر مساحتها ولم يتعد عدد سكانها حتى وقت قريب نطاق الخمس ملايين نسمة ولكن ما حدث بها فى أول سبتمبر عام ١٩٦٩ م كان غريبا على الأمة العربية فهناك عدد من الضباط الشباب لا يزيد عمر قائدهم عن سبعة وعشرين عاما يقومون بثورة تسيطر على بلد مساحتها تفوق مساحة مصر وبها من البترول ومصادر الطاقة بل ومصادر طبيعية من حديد وأسمنت ومعادن ما يكفى المنطقة لعدة عقود ، هؤلاء الشباب يقيمون أول جمهورية ويخرجون الشعب الليبى ذا الطبيعة البدوية القبائلية إلى مصاف الدول ذات التأثير العميق فى منطقة العربية وفى شمال أفريقيا بطرق غير معهودة فى

تاريخ الثورات فقد استغلت تلك الثورة أوراق العمالة الموجودة لديها والبترول والمال للضغط على الحكومات الأخرى المجاورة وتنفيذ مآربها وكأنك ترى قطا يحاول أن يقود أسود المنطقة وبالفعل نجح القط فى ذلك إلى حد بعيد ولكنه فى غمرة النجاح نسى شعبه وتحولت ليبيا كلها إلى رجل واحد، فهذا القط هو العقيد معمر القذافى قائد الثورة الليبية الذى أخرج الإيطاليين والانجليز والأمريكيين من ليبيا فقد كان للدول الثلاث قواعد عسكرية هامة فى ليبيا قبل قيام الثورة عام ١٩٦٩ م ثم حاول بعد ذلك بعشر سنوات إخراج الليبيين أنفسهم من ليبيا لعدم اقتناعه بإمكانية تطويرهم .

أما أهمية تلك الثورة فهى كونها وريثة "مصر جمال عبد الناصر" فى توحيد أفريقيا الجديدة فقد حاولت تلك الثورة أن توحد الجهود الأفريقية وتجعل افريقيا تنهض من عثرتها بل وتؤثر على حكومات العديد من الدول الأفريقية سواءً بالدعم المالى أو المعنوى مما جعل ليبيا هى الدولة الأشهر فى أفريقيا خلال العقد الأول من القرن الحادى والعشرين، وقد حاول العقيد القذافى إقامة حكم شعبى فى ليبيا ونجح إلى حد كبير فى وضع نظام جديد يمكن من خلاله حكم الشعوب ذات الطبيعة القبلية البدوية وسمى نظامه " الجماهيرية " أى حكم الجماهير، وقام أيضا بالحكم من خلال خلط الطريقة الكوبية بالطريقة الأفريقية أى بطريقة الثورة الدائمة التى اتبعها جيفارا صاحب كاسترو فى تصدير الثورة الكوبية إلى أمريكا الجنوبية ، لذلك حاول العقيد القذافى عمل نفس الطريقة فقد قام بتدريب قادته على أعمال المخابرات وفى نفس الوقت استضاف الإرهابى الشهير كارلوس ليعلمهم كيفية الهروب من المخابرات فأعد بذلك جيشا غير تقليدى بخليط من الشعب والمرتزقة كان سيغزو أفريقيا بلا شك فى وقت قريب لولا قيام الثورة الشعبية فى ليبيا ، ومن الغريب محاولته تجييش الشعب الليبى الموالى له فقد استطاع أن ينشأ أكبر جيش شعبى فى المنطقة برغم صغر عدد سكان ليبيا حتى يقال أنه من

أكبر جيوش شمال أفريقيا – بدون أى أسانيد يمكن الوثوق بها إلا معاصرتى لذلك – حيث قام بتطبيق الطريقة الإسرائيلية فى التجييش فى ليبيا فكل ليبيى أو ليبية خاصة من المنطقة الغربية ينبغى أن يتعلم العسكرية وهى نفس الطريقة التى اتبعتها مصر بعد نكسة عام ١٩٦٧م وما تزال إلى الآن تتبعها إسرائيل. أما عيوب الثورة القاتلة فهى تسخير مقدرات وثروات الشعب الليبى لأهداف الثورة الخارجية مما جعل الشعب يرى ثروته تتحول أمام عينيه إلى يد رجل واحد ينفق منها ما يشاء على من يشاء وهو قائد الثورة الذى يظن معظم معارضيه أنه مصاب بداء العظمة، لذلك يمكن القول أن الثورة الليبية عام ١٩٦٩ م كانت قابلة للاستنساخ فى أفريقيا ولكن نظرا لقيام ثورة ١٧ فبراير ٢٠١١ م والدعم الغربى المقدم لها للقضاء على قوات القذافى الضخمة فقد توقفت ثورة ١٩٦٩ م الليبية لأنها فقدت الدعم الشعبى مثلما فعلت ثورة ٢٣ يوليو المصرية بعد نكسة عام ١٩٦٧ م، لقد تذكر العقيد القذافى كل شئ عن الثورات العالمية ونسى الشعب الليبى الذى أصبح فقيرا وعاطلا ينظر بأسى إلى دول الخليج العربى التى تشبهه ولكنها أكثر ثراءً وغنى فحاول الشعب القيام بالثورة ولكنه لم ينجح بمفرده .

ولعلك تلاحظ عزيزى القارئ أن الثورات العربية التى قامت خلال القرن العشرين لم تقدم لشعوبها ما يجعلهم يرتقون إلى مصاف الدول الأكثر تقدما فكلها قدمت حكاما ديكتاتوريين أو أشبه بهم اختلفوا فيما بينهم فى درجة الديكتاتورية والتسلط فقط . أما الثورة الوحيدة التى قدمت فكرا جديدا للمنطقة بالرغم من كونه فكرا إسلاميا شيعيا فهى الثورة الإيرانية القابلة للاستنساخ فى كل المنطقة العربية والشرق الأوسط وحاربها ويحاربها الغرب إلى الآن والتى أفردنا لها فصلا كاملا لأهميتها برغم خلاف العرب والغرب معها وعليها ولكن للتاريخ حكم آخر حيث حكم عليها بالاستمرار لمدة تزيد عن ثلاثين عاما وبنفس الوهج والاشتعال .

الفصل الثانى

الثورة الإيرانية

عام ١٩٧٩ م

مقدمة تاريخية :

حين تقرأ عن تاريخ إيران أو قل بالأحرى تـــاريخ الإمبراطوريـــة الفارسية ستجد الأعاجيب التى تجعلك لا تملك إلا احترام تلك الأمـــة العظيمة التاريخ الضارب إلى أعماق تزيد عن سبعة آلاف عام وكان لها عصورا ذهبية احتلت فيها معظم منطقة الشرق الأوســـط خـــلال الفترة من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادى ولـــم ينازعها فى زعامة المنطقة سوى اليونانيين ثم الرومان مما يجعلنـــا نقول بأن تلك الأمة كانت هى المؤثر الخفى كثيرا والأوضح أحيانـــا قليلة فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط خلال الألفى عـــام الأخيـــرة ، وقد تدهش عزيزى القارئ من بعض الحقائق التاريخية التى تجعـــل من الإمبراطورية الفارسية هى صاحبة الفضل الحضاري والثقـــافي الأول على تقدم الأمة الإسلامية لأن العرب حين قاموا بنشر الـــدين الإسلامي لم يكن معهم من أدوات صنع التاريخ بعد اللغة إلا أنفسهم والإيمان بالدين الجديد ولم يواجهوا فى حروبهم الأولى أمما قوية إلا الفرس فهم حين حاربوا الروم حاربوهم فـــى أراض محتلـــة مـــن الرومان كما حدث فى الشام ومصر وبالتالى لم يجدوا عناءً شـــديدا فى تلك الدول بل ولم يتأثر الدين الجديد واللغة العربية الوافدة بثقافة تلك الدول تأثرا كبيرا ، وعلى العكس من ذلك نقلت الثقافة العربيـــة المحدودة إلى تلك الدول فى شمال غرب الجزيرة ، أما فـــى شـــمال شرق الجزيرة العربية التى تحكمها الإمبراطورية الفارســـية فكـــان الوضع مختلفا فالحرب مع الفرس حربا حقيقية بها كر وفـــر ، بهـــا تقدم وردة ، بها دماء مسالة للحكام والمحكومين من العرب ومـــن الفرس قتل خلالها أكابر الفرس واغتيل خلالها الخلفـــاء المســـلمون الكبار أمثال عمر بن الخطاب على يد أبى لؤلؤة الفارسى المجوسى، ولكن النهاية كانت للفتح الإسلامي العربي الذى لا يحمل معه ســـوى القرآن والإيمان بالدين الجديد ولم يكن من المشـــهورين مـــن ذوى الأصول الفارسية من الصحابة آنذاك غير سلمان الفارسى وبالتـــالى

فتحت بلاد الفرس وقتل كسرى حسب آراء كبار عصر عمر بن الخطاب آنذاك الذين اعتبروا العالم رأسه كسرى هرمز وجناحيه الفرس والروم [٦] ، ومن الواضح أن العرب اعتبروا كسرى هو رأس العالم الذى يجب قطعه ليحكموا كل الشرق . ولكن ما حدث بعد ذلك كان الأهم فبعد فتح بلاد فارس وما حولها تأثر الإسلام الأول تأثرا كبيرا بالتراث الفارسى والطريقة الفارسية فى التفكير أكثر من أى حضارة أخرى حيث اعتبروا كما اعتبر عمر بن الخطاب أن لدى الفرس فضل عقل تفوقوا به على العالم آنذاك ولعلك تدرك هذا من خلال العلماء والمفكرين من بلاد فارس وما حولها أو ممن لهم أصول فارسية خلال القرون الثلاثة الأولى للإسلام والذين كانوا الأكثر عددا بعد العلماء والمفكرين من أصول عربية ولكنهم اصطبغوا بصبغة إسلامية وانتشر أولئك العلماء والمفكرون ليتطرقوا حتى إلى قواعد اللغة العربية التى ليست لغتهم الأصلية فأبو النحو هو سيبويه الشيرازى الغير عربى ، بل والأعظم من ذلك أن حامل لواء السنة الإسلامية لألف ومائتى سنة صاحب الصحيح الإمام البخارى من أطراف بلاد تلك الإمبراطورية - من أوزباكستان - بل وحتى أقطاب الإسلام الشيعى هم من تلك الأمة ، وإذا أردت أن تعدد المفكرين والعلماء الأوائل فى شتى المجالات فسوف لا تستطيع الحصر ممن كانت أصولهم فارسية وأثروا فى تاريخ الأمة والفكر الإسلامى خلال حكم الدولة الأموية والدولة العباسية .

---

[6] ورد فى صحيح البخارى وهو أصح كتاب دينى إسلامى بعد القرآن تحت رقم ٣١٥٩ - " عَنْ جُبَيْرِ بْنِ حَيَّةَ قَالَ بَعَثَ عُمَرُ النَّاسَ فِي أَفْنَاءِ الأَمْصَارِ يُقَاتِلُونَ الْمُشْرِكِينَ ، فَأَسْلَمَ الْهُرْمُزَانُ فَقَالَ إِنِّي مُسْتَشِيرُكَ فِي مَغَازِيَّ هَذِهِ . قَالَ نَعَمْ ، مَثَلُهَا وَمَثَلُ مَنْ فِيهَا مِنَ النَّاسِ مِنْ عَدُوِّ الْمُسْلِمِينَ مَثَلُ طَائِرٍ لَهُ رَأْسٌ وَلَهُ جَنَاحَانِ وَلَهُ رِجْلاَنِ ، فَإِنْ كُسِرَ أَحَدُ الْجَنَاحَيْنِ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ بِجَنَاحٍ وَالرَّأْسُ ، فَإِنْ كُسِرَ الْجَنَاحُ الآخَرُ نَهَضَتِ الرِّجْلاَنِ وَالرَّأْسُ ، وَإِنْ شُدِخَ الرَّأْسُ ذَهَبَتِ الرِّجْلاَنِ وَالْجَنَاحَانِ وَالرَّأْسُ ، فَالرَّأْسُ كِسْرَى ، وَالْجَنَاحُ قَيْصَرُ ، وَالْجَنَاحُ الآخَرُ فَارِسُ ، فَمُرِ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَنْفِرُوا إِلَى كِسْرَى" .

أما الفكر الشيعى الإسلامي الذى تعتنقه غالبية الأمة الإيرانيـة الآن فإن الأمة الفارسية هى من ساعدت علـى نشـأته وتطـوره وتطبيقه عمليا على مر العصور حتى أصبحت الآن هـى الممثـل الحقيقى للفكر الشيعى الإسلامى ، كما أصبحت المملكـة العربيـة السعودية هى الممثل الحقيقى للفكر السنى الإسلامى فى العقـد الأول من القرن الواحد والعشرين ومع تقدم الدورين السـابقين تراجـع الدور العراقى الشيعى كما تراجع الدور السنى المصرى وتـركتهم كلهم تركيا لتتبع الفكر الإسلامى العلمانى .

كانت تلك مقدمة تاريخية تمهد لدراسة شخصية الدولة الإيرانية التى لا يمكن دراستها بدون دراسة تاريخها وخاصة الجانب الدينى منهـا لأن العامل الدينى كان أحد أسباب توحد الأمة الإيرانيـة المختلفـة الأعراق وكان السبب الرئيسى لنجاح الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ م بل أن هذا العامل هو المحرك الأساسى للسياسة الإيرانية فى عصر الثورة برغم وجود عوامل أخرى سنقوم بدراستها فيما بعد .

إيران وبقايا الإمبراطوريات الفارسية :

كانت إيران حتى الربع الأول من القرن العشرين تسمى " فـارس " وأهلها يسمون "الفرس" ولكن مع تولى رضا خان (بهلوى) السلطة عام ١٩٢٥ أصبحت تسمى إيران والآن تسـمى جمهوريـة إيـران الإسلامية ولم يبق من الاسم الفارسى القديم سوى " الخليج الفارسى " كتسمية عالمية للخليج العربى حيث أن الفرس يشكلون أكثـر مـن نصف عدد السكان بقليل من نسيج الأمة الإيرانيـة. ولكـن لـبلاد الفرس عصور زاهية فى تاريخ المنطقة فيروى عن بلاد فـارس أن زرادشت وهو الحكيم القديم الذى ظهر فى القرن السادس قبل الميلاد ودعى -مثلما دعى قبله اخناتون المصرى- إلى عبادة إله واحد هو إله النور والسماء بطريقة تشبه طريقة اخناتون مع استبدال الشـمس بالنور وقد روى فى الأثر الإسلامى عن زرادشت أنه نبى وله كتاب يسمى الأبستاق لم توثق كتاباته مثلما وثقت كتابات العهد القديم فـى

التوراة وذهبت فى الفضاء التـاريخى يتناقلـه أتبـاع الديانـة الزرادشتية الأولى التى اندثرت كما اندثرت بعدها الديانة المانويـة التى قامت بعد ميلاد المسيح وتأثرت بالثقافات الفارسية والهندية مع خلطها بالمسيحية ، ولكن مع ذلك ظهرت أمة غزت المنطقـة كلهـا خلال الملوك العظام من قورش الثانى منتصف القرن السادس قبـل الميلاد الذى احتل معظم بلاد المنطقة من الهند إلـى الشـام وآسـيا الصغرى والذى يعتبر القائد الأعظم فى تاريخ الحضارة الفارسية ثم ابنه قمبيز الذى فتح مصر ثم الملك الكبير دارا الذى بسط سـلطانه على كل المنطقة إلى مطلع القرن الخامس قبل الميلاد ولكـن مـع مقاومة منطقة اليونان يقل تأثير الملوك التوسعى إلى عصر الملـوك خلفاء أردشير الملك الذين ضعفوا حتى انتصر علـيهم الاسـكندر الأكبر واحتل معظم إمارات الإمبراطورية الفارسية الكبيـرة ، ولأن هذا الكتاب ليس كتابا تاريخيا أو دينيا فلن نخوض فى تاريخ الفرس ولكننا نشير إلى التحول بعد الفتح الإسلامى بنسبة كبيرة إلى الإسلام سواءً الإسلام السنى فى البداية ثم الشيعى فيما بعد بل وانبثقت منهـا ديانات ومعتقدات متعددة كان آخرها الديانة البهائية .

كل ما سبق من تاريخ ومعلومات تاريخية ذكرتـه لأن تلـك الأمـة الفارسية على مر العصور تقاتل العالم بطريقة " عنـاد تـاريخى " حيث يندر أن تستسلم الإمة الإيرانية (امتدادا للأمة الفارسية القديمة) لأى محتل لفترة طويلة ونادرا ما تجد حكامها يطـأطئون الـرؤوس ليعبروا العاصفة ولكنهم يقاومون عواصف الغزوات والعنـف مـن جيرانهم بإباء غريب ولو على حسـاب انهيـارهم وكـأن تلـك التوترات التاريخية مقابلة للتوترات الجغرافية التى تجعل من المنطقة الإيرانية ضمن أكبر منطقة زلازل فى الشرق الأوسط حيث يمر بها حزام الزلازل الأكبر فى المنطقة الممتدة من جبال الهملايـا شـمال شبه القارة الهندية إلى جبال الألب حنوب أوربا ، فهذه الامة لم تكن لتهنأ حتى فى أشد عصورها ازدهارا فغالبا ما يغتال ملوكها وتنتقـل

من ملك إلى ملك ومن حاكم إلى آخر بطريقة صعبة للغاية يصاحبها إسالة الدماء ولكن أشد الفترات تأثيرا فى التاريخ الحديث كانت لفترة الدولة الصفوية فيما بين عامى (١٥٠١- ١٧٣٦ م) وهى نفس الفترة التى اتسعت فيها الدولة العثمانية وانهارت فيها الدولة المصرية ، والدولة الصفوية هى أول دولة شيعية قوية فى المنطقة بعد الفاطميين فى مصر وبالتالى يمكن اعتبارها البذرة الأولى لإيران الحديثة فقد قام من خلالها الشاه إسماعيل الصفوى خلال الربع الأول من القرن السادس عشر بجعل المذهب الرسمى للحكم فى إيران وما حولها مما بسط سلطانه عليه هو المذهب الشيعى الاثنى عشرى مناوئا الإمبراطورية العثمانية الناشئة ذات المذهب السنى وقد تعددت الأقوال فى كون الدولة الصفوية صاحبة فترة دموية صعبة ضد كل من لا يتبع المذهب الشيعى وترتب على ذلك أن أصبحت دولة إيران هى أساس المذهب الشيعى الاثنى عشرى ([٧]) فى العالم وأصبحت النزعة الدينية واللغوية هى الرباط الأساسى الأول الذى يربط تلك الأمة وهو الرباط الأقوى حتى من الرباط الأممى للفرس والأزد والعرب والكرد والتركمان الذين يتكون منهم نسيج الأمة الإيرانية .

---

[7] يشكل الشيعة أقل من ثمن عدد المسلمين فى العالم بصفة عامة وأهم مذاهبهم المذهب الشيعى الاثنى عشرى الذى نشأ بصورة أساسية مع التشيع للإمام على رضى الله عنه ثم توثق بعد مقتل الإمام الحسين رضى الله عنه ويعتمد على ولاية اثنى عشر إماما لهم التبجيل والاحترام بعد النبى محمد صلى الله عليه وسلم بدءا من الإمام على رضى الله عنه ونسله من السيدة فاطمة رضى الله عنها وهما الحسن والحسين رضى الله عنهما ثم أبناء الحسين رضى الله عنهم جميعا وهم على زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم على الرضا ثم محمد الجواد ثم على الهادى ثم الحسن العسكرى وأخيرا محمد المهدى الذى يعتقد باختفاءه وعمره خمس سنوات ليظهر آخر الزمان وهو المهدى المنتظر . وتعتمد مبادئ الشيعة على القرآن الكريم والإحاديث التى تناقلها الأئمة السابق ذكرهم وليس الأحاديث باقى الصحابة التى وردت فى صحيح البخارى أو مسلم ومن أشهر كتبهم الكافى للكلينى الذى يساوى صحيح البخارى عند أهل السنة كما يعتمدون مبدأ ولاية الفقيه أى سيادة رأى الفقيه الإمام الذى يختاره الله لهم ومبدأ التقية أى القول بظاهر الأمور غير ما تضمر النفس من بواطن الأمور ويكون الحج عندهم إلى كربلاء والمزارات المقدسة لأضرحة الأئمة فى العراق وهو أهم من الحج إلى مكة والمدينة وينتشرون بصورة أساسية فى العراق وإيران واليمن وبصورة أقل فى بعض دول شرق الجزيرة العربية وسوريا ولبنان والدول المحيطة شمال وشرق إيران . ولا يعتبر الآن كل من الدروز والبهائيين تابعين للشيعة فقد انفصلت ديانة كل منهما عن الإسلام بصفة عامة وعن الشيعة بصفة خاصة .

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ومع الربع الأول من القـرن العشرين قامت فى إيران العديد من الإضطرابات التى أنهت حكم القاجاريين الذين حكموا من ١٧٨١ م إلى ١٩٢٥ م على يد أحد الضباط وهو رضا خان (فأصبح هو الشاه رضا بهلوى) فأسس بذلك أسرة جديدة حكمت إيران من عام ١٩٢٥ م، وقد حاول رضا بهلوى القيام بتطور جديد نحو التحديث على الطريقة الإيرانية الصعبة وليس على طريقة التطور التركى العلمانى على يد كمال أتاتورك عام ١٩٢٣ م أو على طريقة التطور المصرى البطئ بعد ثورة عام ١٩١٩ م ، وبذلك أصبحت إيران ثالث الثلاثة الكبار فى الشرق الأوسط مع الربع الأول من القرن العشرين وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية بمثلث تركيا-مصر-إيران بينما كانت المملكة العربية السعودية فى طور النشأة الحديثة وخبا نجم العراق وسوريا والمغرب العربى ولم تكن إسرائيل قد ظهرت بعد .

وتولى بعد ذلك الابن محمد رضا بهلوى عام ١٩٤١ حكم إيران وعمره اثنان وعشرون عاما بعد ان أطاحت الدول الكبرى بأبيه لرغبته فى مساعدة هتلر وإمداده بالبترول . وبعد توليه الحكم لم يكن قادرا بصورة كبيرة على حكم إيران ذات الشوكة لذلك قام انقلاب بعد انتخاب " محمد مصدق " رئيسا للوزراء وقيامه بتأميم النفط عام ١٩٥١ م مما أضعف سلطة الشاه بل وفراره عام ١٩٥٣ م ومغادرته البلاد ثم عاد بعد فترة قصيرة مع انقلاب آخر ساندته الدول الغربية وأشرفت عليه الولايات المتحدة بصفة خاصة بعملية مخابراتية حتى لا تفقد الدول الغربية إيران كما فقدت مصر مع قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م . وبعد عودة الشاه صار أكثر حزما وديكتاتورية حتى لا يقوم أى انقلاب آخر وسمى نفسه فيما بعد شاهنشاه إيران أو ملك الملوك وأعاد تكوين جهاز الشرطة السرية الشهير المسمى بالسافاك – الذى يشبه مباحث أمن الدولة فى مصر فترة حكم الرئيس مبارك – وقد تسبب السافاك فى انتهاك حقوق

الايرانيين من قتل الآلاف وتعذيب ما يصل إلى مليون شـــخص قبل نهاية حكم الشاه مما جعله أكبر جهاز أمنى فى المنطقة حينذاك.

ما قبل الثورة :

حاول الشاه فى فترة حكمه الأخيرة أن يضمن لنفسه ولاء الجــيش والشرطة لذلك أحكم قبضته على الجيش وأعطى للسافاك الحرية فى الاعتقال والتعذيب وحاول إرضاء القادة بالتغاضى عن فسادهم فــى سبيل الحصول على ولائهم التام له ، أما من الناحية الظاهرية فهــو يعد الشعب دائما بالديموقراطية وبحريات أكثر ولكن الشعب لم يلمس من الحرية إلا الكلام فقط لذلك لجأ الشعب إلى قادته الدينيين حيــث أن المذهب الشيعى يجعل الولاء للفقهاء والملالــــى (ج مـــلا وهــو الإمام بالفارسى) أكثر من الولاء للحكام والأمراء ، وأخذ الشـــعب يستمع إلى أشرطة التسجيل بصوت الإمام الخمينى التى تتسرب من مكان إقامته فى باريس وتتداول بين طلاب الجامعات والثوار فتغذى فيهم روح الثورة ضد الشاه وزوجته الشهبانو فرح بهلوى.

أما فترة حكم الشاه الأخيرة فبالرغم من اتهامه بالعنف المفرط مــع الشعب والبذخ المبالغ فيه من جانبه وجانب زوجته الشـــهبانو فقــد حاول أن يقيم نهضة صناعية إيرانية حديثة وقد أفلح نوعا مـــا فـــى ذلك حيث وضع إيران على خارطة الصـــناعات الحديثـــة والتقــدم الاقتصادي مستغلا قربه من الدول الغربيـــة بـــل وحـــاول أيضـــا الإصلاح الاجتماعي بتفعيل دور المرأة الإيرانية ، وقد استفاد مـــن بعض عوائد النفط الإيراني خاصة بعد زيادة ســـعره بعـــد حـــرب أكتوبر المصرية عام ١٩٧٣ م حيث ساهمت تلـــك الحـــرب فـــى مضاعفة ثروات دول النفط ومن بينها إيران ، وأصبحت الفترة مـــن عام ١٩٧٤ م إلى عام ١٩٧٩ م هى أصعب فتـــرات حكـــم إيـــران الحديثة حيث أن زيادة ثروات إيران الناتجة من عائدات الـــنفط لـــم تصل إلى الشعب كلها بل اتضحت وجهة جزء كبير منها إلى زيـــادة البذخ لدى عائلة الشاه وحفلاته الباهظة التكاليف وزاد الفســـاد إلـــى

درجة كبيرة فى الحاشية المحيطة به وكبار العسكريين مما ساهم فى زيادة الاحتقان لدى الشعب الإيراني حيث أنه يشاهد ثرواته وهى تنهب أمام عينيه بينما يتمتع بمثلها جيرانه فى دول الخليج وهو يتميز عنهم بوجود زراعة وصناعة إلى جوار البترول. أما أصعب ما فعله الشاه فى فترته الأخيرة فهو محاولة التدخل فى الأمور الدينية وهى من الخطوط الحمراء فى إيران حيث حاول الشاه إدخال إيران معترك العلمانية وحاول إلغاء الحجاب وتغيير العديد من التعاليم الإسلامية قوبلت جميعها بالرفض ليس حبا فى الدين ولكن كرها فى نظام الشاه ومن هنا بدأت الثورة .

قيام الثورة :

مثلما حدث فى الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ م والثورة الروسية عام ١٩١٧ م حدث فى الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ م من حيث سرعة القيام بالثورة وحتى وجود الملك لويس السادس عشر وزوجته أو القيصر نيقولا الثانى وزوجته أو الشاه محمد رضا وزوجته الشهبانو وعدم تقدير أيا منهم لقدرة شعبه على القيام بالثورة ، ولكن الشاه محمد رضا حاول قدر الإمكان تفادى قيام الثورة بضمان ولاء الجيش والشرطة وكذلك محاولة فرض نظرية الولاء فى الترقى واحتلال الوظائف العامة مما أدى إلى وصول قيادات حكومية غير ذات كفاءة ، لقد أفلح فى كل ذلك ولكنه لم يفلح فى ضمان ولاء الشعب له فالثورة الإيرانية بدأت باحتجاجات صغيرة عام ١٩٧٧ م كلها تدور فى فلك الفقر وسياسة التقشف الاقتصادي والعنف المفرط من الشرطة السرية ثم تطورت شيئا فشيئا حتى وصلت إلى ذروتها مع مطلع عام ١٩٧٨ م بعد اغتيال العديد من رجال الدين فى مدينة قم المقدسة إثر مظاهرة ضد التشهير بالإمام الخمينى مما جعل يوم ذكرى الأربعين للشهداء هو بداية انتفاضات متعددة عمت المدن الإيرانية وأدت فى بعض الأحيان إلى نهب وسلب متعمد – وهو ما يحدث فى معظم الثورات – ثم تواصلت الانتفاضة فاضطر الشاه

إلى استبدال رئيس الشرطة لإرضاء الشعب ولكن الشعب ارتفع سقف مطالبه بعد مظاهرة ٨ سبتمبر ١٩٧٨ م الكبرى في إيران حيث كان الجيش يحيط بالمظاهرات بدباباته وعرباته المدرعة فيقدم له المتظاهرون الورود لكي يستميلوا أفراده إليهم وفي كثير من الأحيان كان ينضم أفراد الجيش العاديين إلى المتظاهرين ، ثم زاد ارتفاع سقف مطالب الشعب ووصل إلى ذروته بضرورة رحيل الشاه بعد عيد عاشوراء المقدس لدى الشيعة في ديسمبر ١٩٧٨ م حيث تعدى عدد المتظاهرين المليوني شخص لا يخافون الدبابات ولا العربات المدرعة ولا القنابل المسيلة للدموع ، فكان ذلك أول ظهور لكلمة مليونية في المظاهرات الشعبية مما جعل الغرب يوقن باستحالة بقاء الشاه ومحاولة البحث عن بديل له من الجيش ولكن الثورة كانت أسرع من حسابات الغرب حيث قام الشعب بالضغط على الشاه فاضطر الشاه إلى مغادرة إيران في ١٦ يناير ١٩٧٩ م إلى غير رجعة ، وخلال عدة ساعات انطلقت مظاهرات الفرح في كل إيران وقامت الجماهير بحرق وكسر ونهب كل آثار الشاه وعائلته واضطر رئيس الوزراء المؤقت حينئذ " شهبور بختيار" إلى حل نظام الشرطة السرية المعروف بالسافاك والإفراج عن بعض المعتقلين ، وهنا يظهر " المخلص " الإمام الخميني الذي وصل بالطائرة من باريس أول فبراير ١٩٧٩ م واستقبلته الألوف التي لا تحصى ولا تعد في سابقة لم تتكرر في التاريخ الحديث من حيث العدد والزخم حيث يهبط القائد الفقيه " المخلص" صاحب الكاريزما الخطابية ويهتف كل الحاضرين في نفس الوقت الكلمات التي جعلتهم يبكون والعالم الاسلامي ينظر إليهم بإعجاب وهو يرددون :

" السلام عليكم أيها الإمام الخوميني "

فهم يهنئون أنفسهم بنجاح الثورة بوصول قائدها المغترب منذ أربعة عشر عاما إلى أرض الوطن كأول ثورة ذات طابع إسلامي في العصر الحديث .

إيران ما بعد الثورة :

بعد وصول الإمام آية الله الخوميني عين رئيس الـوزراء المؤقـت حينئذ مهدى باذرجان لكى يدير شئون البلاد وبدأ فى وضـع أسـس تكوين أول جمهورية إسلامية شيعية تعتمد مبدأ ولاية الفقيـه – أى حكم رجال الدين – كأساس لنظام الحكم ومطالبا بمحاكمة كل رموز النظام السابق بما فيهم الشاه وطالب مصر بتسليم الشاه ولكن مصـر لم تجب طلبه فكان العداء لمصر وللرئيس السادات حتى توفى الشاه عام ١٩٨٠ م ودفن بمصر ولكن العداء لمصر استمر حيث اتهمتهـا إيران بأنها مثل أمريكا تحاول القضاء على الثـورة الإسـلامية [٨]. وبالفعل تمت المحاكمات للعديد من رموز النظام السـابق وهـرب العديد من رجال الأعمال وقادة الشرطة والجيش فى محاولة مـنهم لوئد الثورة والهروب برؤوس الأموال إلى الخارج – كنـوع مـن الثورة المضادة – وقام الطلاب بمحاولة اختراق السفارة الأمريكيـة فحاول الرئيس الأمريكى آنذاك جيمى كارتر التدخل بعملية عسكرية فاشلة سقطت فيها الطائرات الأمريكية دون سبب واضح فانتصـرت الثورة الإيرانية انتصارا عظيما جعلها بحق أول جمهورية إسـلامية فى العصر الحديث .

والحقيقة أن النظام الإيديولوجى المعتمد على الدين نجح فى كل مـن إيران والسعودية وإسرائيل ولكنه فى إيران اصطبغ بصبغة ثوريـة جعلت كل دول العالم تخشى تصـديره إلـى رعاياهـا والحركـات الإسلامية الأخرى الموجودة بها ولكن تلك الدول لم تنجح فى وقـف الزحف الثورى الايرانى حيث انتهجته حركة حزب الله فـى لبنـان وحركة حماس فى غزة ونجحتا بينما فشلت طالبان والقاعـدة فـى

---

[٨] الحقيقة أن هناك علامة استفهام كبيرة كانت فى مصر آنذاك من استضافة الشاه برغم من تخلى أقرب مناصريه من الدول الغربية مثل الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا وألمانيا عنه وقبول الرئيس السادات به بحجج واهية عن مساعدته مصر أثناء حرب أكتوبر بينما الشاه هو المناصر الأول لإسرائيل فى المنطقة .

أفغانستان كما فشلت حركة الجهاد فى مصر برغم نجاحها فى اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ م . وقد حاول الغرب عام ١٩٨٠ م بمساعدة العراق القيام بانقلاب مستعينا بشهبور بختيار رئيس الوزراء السابق ولكن تسربت أنباء الانقلاب قبل وقوعه ففشل فشلا ذريعا مما مهد الطريق للعراق بمحاولته التدخل العسكرى لاسترداد أراض عراقية أخذها الشاه السابق فبدأت الحرب العراقية الإيرانية التى ساندها الغرب والعرب خلال فترة الثمانينات من القرن الماضى بكل قوة لكى تستنزف القدرات الإيرانية وكذلك العراقية وبالفعل لم تستطع إيران قطف ثمار الثورة ولكن الغزو أتى بنتائج عكسية على الغرب حيث سيطر رجال الدين سيطرة كاملة على الدولة بحجة الحرب حتى أن الرئيس العراقي صدام بعد ذلك عرض الهدنة فرفضتها إيران ولكنها قبلت بوقف الحرب بعد سبع سنوات من الدمار الذى عم كل من العراق وإيران. ولكن من نتائج الثورة أيضا أن الشعب الإيراني قطف ثمار الحرية والاعتزاز بالنفس بدرجة أعلى من فترة حكم الشاه ووصل الأمر مع عام ٢٠٠٥ م إلى إقامة انتخابات اتسمت بالنزاهة نوعا ما وأتت برجل من عامة الشعب برغم كونه مدرسا جامعيا إلى رئاسة إيران بطريقة شبه ديموقراطية وبنسبة فى حدود الثلثين من أصوات الناخبين ويستطيع هذا الرئيس أن يتجول بعدد قليل من الحراس فى شوارع إيران وهو ما لم يكن ليحدث فى إيران أو أى دولة عربية من قبل وهذا الرئيس هو محمود أحمدى نجاد وإن اختلف الغرب والعرب فى هذا الأمر واعتراضهم على الديموقراطية المعتمدة على المرجعية الدينية [9] فى إيران وكذلك اعتراضهم على طريقة إعادة انتخابه عام ٢٠٠٩ م التى اتسمت بمخالفات وأدت إلى تظاهر مئات الألوف ضده ولكنه حصل على أكثر من ثلثى الأصوات أيضا .

[9] بالرغم من الديموقراطية الظاهرية فى إيران تجاه انتخاب رئيس الجمهورية إلا أن اختيار من سيرشح نفسه رئيسا يجب أن يمر من خلال المرشد الأعلى للثورة وهو أعلى منصب دينى إيرانى وبالتالي لن يرشح نفسه إلا من رضيت عنه القيادة الدينية مما يجعل الديموقراطية الإيرانية مقيدة .

مستقبل إيران ما بعد الثورة :

الحقيقة أن الثورة التى بدأت عام ١٩٧٩ م فى إيران لم تنته إلى الآن فثورة إيران مثل الثورة الفرنسية والروسية جعلت الشعب فى ثورة دائمة نظرا لوجود حظر دولى على الصادرات إلى إيران فهى لا تستطيع منذ قيام الثورة أن تستغل كل طاقاتها سواء البترولية أو الزراعية أو الصناعية أو حتى البشرية فهى تقاسى من عداوات وتكاتف الدول الغربية والعربية ضدها حيث يحاول الغرب والعرب إدخالها فى نفق تلو النفق لكى لا تقوم لها قائمة تجعلها تصدر الثورة للدول العربية والإسلامية الأخرى وهذا الأمر ثد يحدث فى مصر إن وذهبت إلى الطريق الإسلامى كما سنوضح فى الباب الثالث.

ولكن المتابع لوسائل الإعلام يجد أن وجهة نظر الغرب تنظر إلى القلاقل فى إيران على أنها كبيرة وتحاول تعظيمها حتى تفل عزم الإيرانيين ولكن المتابع لوسائل الإعلام الإيرانية يدرك عظمة هذا الشعب من استمراره برغم الحصار والحروب التى يلاقيها منذ أكثر من ثلاثين عاما ولم يخفض رأسه بل أقام نوعا من العدالة الاجتماعية وقطع شوطا كبيرا فى الديموقراطية ليست موجودة فى بلاد عربية عديدة وإن كان يعترف بأنه يحمل أيديولوجية دينية شيعية مثله مثل السعودية ذات الأيديولوجية الدينية الإسلامية السنية أو حتى إسرائيل ذات الأيديولوجية الدينية اليهودية ، فهذه الأيديولوجيات الثلاثة فى منطقة الشرق الأوسط عادة ما تقيد حرية الأقليات وحتى حرية التعبير وإن اصطبغت بصبغة ديموقراطية شبه حقيقية كما فى إسرائيل أو بصبغة ملكية كما فى السعودية ، وأيضا استطاعت إيران إقامة نهضة صناعية فى كل المجالات الصناعية برغم وجود حصار صارم وكذلك نهضة عسكرية غير عادية جعلها تطور العديد من المعدات العسكرية البرية والبحرية والجوية فأصبحت هى الصانع والمطور للصواريخ والزوارق الحربية

والمدافع والرشاشات وحتى مقذوفات البنادق (الرصاص) مما جعل إسرائيل الولايات المتحدة تتخوفان من ترسانتها العسكرية.
أما لجوء إيران إلى المفاعلات الإيرانية فقد نظر إليه الغرب نظرة الشك والريبة حيث أن إيران حينما لجأت إلى الدخول المعترك النووى لم تفعل مثل باكستان وتستورد المفاعلات بل لجأت إلى محاولة سبر أغوار تلك الصناعة بل وصناعة أجهزة الطرد المركزى وما يتعلق بها وليس استيرادها فحسب مما أخاف الغرب.
وبناءً على وسائل الإعلام الإيرانية فإن إيران سوف تحقق نهضة شاملة خلال العقد الحالي شريطة وقف الحظر الدولي عليها .
أما تأثير الثورة الإيرانية على المنطقة فهو ما يزال واضحا إلى الآن فالخوف من تكرار واستنساخ التجربة الإيرانية جعل الغرب يتخوف من أى فكر سياسي يحمل مغزى دينى فى المنطقة منذ عام ١٩٧٩ م وهو وإن لم ينجح فى القضاء على الثورة الإيرانية فقد نجح على الأقل فى وقف نمو الثورة لكى لا تعصف بالمنطقة وساعد دولا مثل مصر والجزائر وتونس والأردن وليبيا واليمن والبحرين بصورة واضحة وباقى الدول العربية بصورة أقل وضوحا على الاستخدام المفرط للقوة مع الإسلاميين أيا كانت عقيدتهم للحيلولة دون تفوقهم مما كان له الأثر الكبير فى قيام ثورات عام ٢٠١١ م.
لذلك يتضح لنا أهمية الثورة الإيرانية حيث أنها قابلة للتطبيق فى مصر خلال الفترة القادمة إن حدث – لا قدر الله – وقامت حرب أهلية أو صدام بين الجيش والشعب في مصر فحتما سينتصر الشعب وستتحول مصر إلى بلد ذات أيديولوجية دينية ثورية وهو ما سنتطرق إليه فى الباب الأخير .
ولعلك لاحظت عزيزى القارئ أن الثورات معظمها متشابهة الظروف وإن اختلف السبب فى قيامها فالشعوب واحدة التفكير والتنفيذ فى كل مكان فى العالم لأنها – أى الثورات – بنيت على الفكر الإنسانى المتواجد فى كل البشر على مر العصور.

الفصل الثالث
الثورة التونسية
ثورة الياسمين أو ثورة الأحرار عام ٢٠١١ م

أول ثورة شعبية عربية فى القرن الحادى والعشرين.

" ارحل " degage قالتها الشرطية فادية حمدى باللغة الفرنسية في ولاية سيدى بوزيد التونسية بعد أن صفعت أحد الشباب الذين يبيعون الخضروات على عربة يدوية فى العاصمة التونسية برغم حصول ذلك الشاب على مؤهل جامعى ، وقد ذهب الشاب إلى كل الأماكن التى يمكن أن يشكو فيها ما فعلته الشرطية ومساعداها معه إلا أنه كان يقابل بالرفض فقام بحرق نفسه على مرآى ومسمع من سكان الولاية التونسية فانتشرت قصته كما تنتشر النار فى الهشيم وكانت السبب فى قيام الثورة التونسية ، فكانت تلك الصفعة المفعمة بكلمة " ارحل " سببا في رحيل الشرطية و الشرطة ووزير الداخلية وحتى رئيس الجمهورية وتغيير النظام التونسى بل وأصبحت كلمة "ارحل" هى شعار الثورات العربية الحديثة ، وبقيت حكاية الشاب البوعزيزى أيقونة الثورة التونسية الذى سيسجل التاريخ اسمه كما سيسجل شبيهه المصرى خالد سعيد الذى لقى حتفه على يد رجال الشرطة فى مصر قبل البوعزيزى بعدة أشهر.

تونس أفريقيا والتاريخ :

هل تصدق أن بلدا صغيرا مثل تونس يسمح له التاريخ بأن يستعير جزء من اسمه القديم لكى يطلق على قارة بأكملها ، فكلمة Africa المكونة من مقطعين " أفرى " ومن أحد تفسيراتها أنها كلمة تونسية قديمة كانت تطلق على بعض البربر أو الكهف الذى يسكنون فيه أو بلاد تونس ومقطع "كا" اللاتينى يعنى الأرض وبالتالى تونس فى عصر الرومان هى أرض الأفرى التى عاصمتها قرطاجنة أو قرطاج والتى انطلق منها الاسم ليشمل قارة بأكملها إلى الآن . والحقيقة أن المتتبع لتاريخ تونس يجدها على صغر مساحتها كان لها تأثير كبير لكونها الأقرب لأوربا عن طريق إيطاليا وصقلية ولكون ميناءها القديم قرطاجنة هو الأكبر بعد الإسكندرية ولكون قائدها هانيبال أو هنيبعل من مشاهير القادة العسكريين فى التاريخ الرومانى حيث ولد فى قرطاجنة بتونس عام ٢٤٧ ق.م ووصل بجيشه إلى

أسبانيا واحتل من بعدها إيطاليا فى حدود عام ٢٠١ ق.م ولكنه . عاد إلى شمال أفريقيا ليقاتل الاحتلال وانهزم فرجع وأصبح حاكما لقرطاجنة ولكنه هزم مرة أخرى وفر منها ثم تناول السم لكى لا يقع فى الأسر ، أما الفتح الإسلامى فقد قابل فى تونس الأعاجيب حيث أن الفتح الإسلامى العربى فتح مصر كاملة فى عدة أشهر وتوقف سنوات طويلة حتى يسيطر على تونس بطريقة كر وفر بين العرب والبربر كل منهما يستولى عليها ثم يطرد منها ([١٠]) إلى أن استولى عليها العرب بصورة دائمة بعد دخول مصر بعشرات السنين حيث بدأ عملية الفتح عقبة بن نافع فى حدود عام ٥٠ هـ ٦٧٠ م وأنشأ مدينة القيروان ورجع عنها ثم استكملها حسان بن النعمان الغسانى عام ٨٢ هـ ٧٠١ م بعد قتل الكاهنة ملكة الأوراس زعيمة البربر ، وبعد أن تم عزله تولي موسى بن نصير الحكم فجعل القيروان عاصمة له عام ٨٦ هـ ٧٠٥ م .

أما العلاقة بين مصر وتونس فقد بدأت مع وصول الفاطميين أو العبيديين الشيعة للحكم فى تونس وهم من الطائفة الشيعية الإسماعيلية وبدأت فتوحات غزو مصر على يد القائد جوهر الصقلى عام ٩٦٩ م فى عهد المعز لدين الله الخليفة الرابع الفاطمى واستولوا عليها وأقاموا أقوى دولة شيعية وهى الدولة الفاطمية وتم نقل العاصمة إلى القاهرة عام ٩٧٣ م وأصبحت أقوى دولة فى المنطلقة لمدة تزيد على مائتى سنة . أما المشترك التاريخي الأعظم بين مصر وتونس فهى قصة بنى هلال أو السيرة الهلالية التى تروى فى كل المناطق فى مصر وليبيا وتونس بصور مختلفة ففى أرجح الأقوال أنها ترجع إلى أن أحد ملوك تونس الذى يحكم باسم الفاطميين انشق عنهم وانحاز للعباسيين فحاول الفاطميون تأديبه فأرسلوا له قبائل بنى هلال وبنى سليم العربية الموجودة فى صعيد

---

[10] يذكرنا ذلك بما حدث بين قوات القذافى ومعارضيه فى ثورة ١٧ فبراير الليبية من كر وفر فى الاستيلاء على المدن الليبية .

مصر لغزوه وبالفعل وصلت إليه وعاثوا فى ارضه فسادا ونهبا وقضوا عليه وقسموا تونس إلى دويلات لم تتوحد بصورة دائمة إلا مع وصول الدولة الحفصية عام ١٢٣٦ م والتى تولدت من دولة الموحدين واستولت على الحكم حتى دخول العثمانيين عام ١٥٧٤ م وحكموا تونس بطريقة تشبه طريقة المماليك فى نفس الفترة فى مصر حيث كانت تظهر آثار الدولة وعمرانها ولكن لم يكن هناك أى تقدم تاريخى . أما الاحتلال العثمانى للشرق فقد وصل تونس بعد مصر أيضا بعشرات السنين وفى حدود عام ١٥٧٤ م واستمر الحكم العثمانى تحت إمرة الدايات مفرد داى والبايات مفرد باى لتونس حتى جاء الحكم الحسينى للدولة التونسية الحديثة والذى بدأ عام ١٧٠٥ م واستمر إلى عام ١٩٥٦ م حتى الاستقلال الحديث بطريقة تشبه حكم أسرة محمد على فى مصر حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م، وكان أهم حكام تلك الفترة على بن حسين (١٧٥٩-١٧٨٢ م) ومن بعده حمودة بن حسين (١٧٨٢-١٨١٤ م) الذى يشبه محمد على فى مصر ، ومن عجائب القدر أن يوجد أيضا شبيه الخديوى إسماعيل وهو محمد الصادق بن حسين الذى أنشأ أول دستور فى المنطقة العربية معتمدا على الفكر الفرنسى عام ١٨٦١ م - كما أنشأ الخديوى إسماعيل أول مجلس نيابى - ولكن فى عصره زاد التدخل الفرنسى إلى أن وصل الأمر إلى فرض الوصاية والاحتلال عام ١٨٨١ م على تونس بعد مؤتمر بوردو . ما هذا التشابه العجيب بين مصر وتونس حتى فى طريقة وتوقيت الاحتلال !!! .

تونس قبل زين العابدين بن علي :

تتميز تونس على صغر مساحتها بوجود موارد زراعية كبيرة بالمقارنة بعدد سكانها كما تتميز بوجود المعادن مثل الفوسفات والحديد لذلك بدأ الإستعمار الفرنسى بالتوجه إليها ووصل الأمر إلى الاحتلال الفرنسى عام ١٨٨١ م ، ولكن الاحتلال وحد التونسيين وبدأ الشعور القومى يجتاح تونس لتظهر معالم الدولة الحديثة مع

بداية فرنجة التعليم فتكونت الحركات والجمعيات بطريقة تشبه طريقة مصطفى كامل فى مصر، فمع نهاية القرن التاسع عشر تكونت جمعية الخلدونية عام ١٨٩٧ م نسبة إلى ابن خلدون على يد زعماء مثقفين مثل الوزير خير الدين باشا الى كان وزيرا لمدة قصيرة خلال الفترة من ١٨٧٣- ١٨٧٧ م فساهمت مع جمعية أخرى هى الصادقية فى نشر الوعى الثقافى والسياسى والتعليمى بين الشعب حتى تكونت حركة الشباب التونسى ما بين عامى ١٩٠٧ م و ١٩١٨ م ، وبعد قيام ثورة ١٩١٩ م فى مصر تأثرت بها تونس وتم تأسيس الحزب الدستورى التونسى عام ١٩٢٠ م وبرزت أسماء حزبية مثل عبد العزيز الثعالبى والطاهر بن عمار وأسماء لها ثقل عمالى مثل محمد على حامى الذى أسس أكبر وأول اتحاد عمال عربى وهو جامعة عموم العملة التونسيين ، وكذلك ظهرت أسماء لها تأثير ثقافى مثل الطاهر الحداد وزين العابدين السنوسى وبيرم التونسى وأبى القاسم الشابى صاحب القصيدة الشعرية أيقونة الثورات " إذا الشعب يوما أراد الحياة ... فلا بد أن يستجيب القدر".

ويبدأ التاريخ الحديث لتونس قبل الحرب العالمية الثانية ومع تأسيس الحزب الدستورى الجديد عام ١٩٣٤ م وظهور نجم الزعيم الأشهر فى تاريخ تونس وهو الحبيب بورقيبة الذى انشق عن الحزب الدستورى القديم وأسس مع بعض الشباب الواعد حينذاك الحزب الجديد الذى حكم تونس فيما بعد .

واستمر التضييق على الحزب من جانب الاحتلال الفرنسى وبدات أكبر انتفاضة شعبية تونسية عام ١٩٣٨ م وبعدها قامت الحرب العالمية الثانية واحتلت قوات ألمانيا وإيطاليا تونس عام ١٩٤٢ م بعد غزو ألمانيا لفرنسا وهروب قادتها إلى الجزائر، وقد حاول الاحتلال الجديد التقرب من الشعب فأفرج عن المعتقلين وسمح بتكوين الأحزاب وعاد بورقيبة لتونس بعد نفيه ولكنه أعلن مساندته للحلفاء ضد المحور فنفى مرة أخرى للخارج، ومع قرب انتهاء الحرب

رجع الحزب الدستورى للعمل وتأسس الاتحاد العــام للعمــال التونسيين الجديد عام ١٩٤٥ م وبدأت حركات المقاومــة للظهــور عام ١٩٤٦ م حتى عاد بورقيبة عام ١٩٤٩ م .
بعد قيام الثورة المصرية عام ١٩٥٢م انتفضت تونس مــرة أخــرى وبدأت حركات الاحتجاج تزداد بالمنادة بالاستقلال وعاد بورقيبة مرة أخرى عام ١٩٥٥ م وبدات مفاوضات الاستقلال عام ١٩٥٦ م حتى تحقق عام ١٩٥٧م بإعلان الجمهورية وتم تكليف الحبيــب بورقيبــة برئاسة الدولة وقد نجح أيضا كأول رئيس منتخــب عــام ١٩٥٩م. ومنذ عام ١٩٥٦ م أخذت تونس فى المضى قدما فى عــدة طــرق متوازية منها تكوين جيش وطنى وتونسة الإدارة والعمل - بــإحلال العمال التونسيين مكان الفرنسيين والأوربيين - وتأميم القطاعــات الحيوية للدولة وتأسيس دولة حديثة عصرية . أما أهم ما ميز تونس عن الدول العربية الأخرى فهو ليبراليتها ، فقد بــدأت فــى وضــع قوانين جديدة وبالرغم من اعتمادها على الشريعة الإسلامية كأساس للتشريع إلا أنها اختارت من التشريعات ما يقترب من التشــريعات الفرنسية فمنعت تعدد الزوجات وسهلت عملية الطلاق وإتاحة حرية المرأة وحق الانتخاب لها وحق توليها المناصب وحتى تحديد ســن الزواج وأمور كثيرة لم تعتد عليها الشعوب العربية فى ذلك الوقــت مما أعطى لتونس - مع لبنان - الفضل فى قيادة الحرية الاجتماعية العربية وفصل الدين عن الدولة بصورة رسمية وبدون أى معوقــات شعبية . وقد استمر حكم الحبيب بورقيبة على هذا النسق الجيد حتى عام ١٩٦٤ م حين بدأ يستأثر بالسلطة بل ويؤسس ديكتاتورية جديدة فى ثوب علمانى، وكان من الزعماء العرب القلائل الذى طلب مــن الفلسطينيين الاعتراف بقــرار التقســيم عــام ١٩٤٧ م المتضــمن الاعتراف بإسرائيل ، واكتمل تأسيس تلك الديكتاتورية عام ١٩٧٤ م حين قام بتعديل الدستور ليكون رئيسا مدى الحياة لتــونس وبــدأت تخرج من تونس الأفكار الليبرالية المناقضة للمتعارف عليه فى باقى

الدول العربية والإسلامية – عـدا لبنـان وتركيـا– فالعطلـة التونسية الأحد ، ويوم الجمعة تقام صلاتان للجمعة لكى لا يتوقـف العمل ، وإفطار رمضان من الأمور الغيـر مسـتهجنة ، والخمـر متوفرة بدون قيود ، وغيرها من الأمور المقيدة للتعاليم الإسـلامية بل وقام بورقيبة بالقبض على المتشددين الإسلاميين ونفيهم خـارج تونس ما أمكنه ذلك.

والحقيقة أن الشعب التونسى تقبل تلك الليبرالية ولم يعترض لكثـرة المغتربين فيه فقلما تجد تونسى لم يخرج إلى فرنسا أو أي من الدول الأوربية ولكن الشعب لم يتقبل تقييد الحرية بعد تعديل الدستور عـام ١٩٧٤ م فكثرت الاحتجاجات الطلابية مع نهاية السبعينات وبدايـة الثمانينات وتصاعدت حدة الاعتراضات نتيجة الأزمـة الاقتصـادية التى أتت بالفقر فتم رفع سعر الخبز بداية عام ١٩٨٤ م مما أشـعل انتفاضة شعبية شبيهة بانتفاضة ١٨-١٩ يناير ١٩٧٧ م فى مصـر ولم تهدأ تونس بعدها لكثرة عدد القتلى فى تلك الانتفاضة ولكن مـن نتائج تلك الانتفاضة أن بزغ نجم لاعب جديد هو زين الدين بن على الذى كان مديرا للأمن الوطنى بالجيش ثم عين سفيرا لتـونس فـى بولندا وعاد ليتولى الأمن الوطنى ومن ثم وزارة الداخلية التونسية ثم رئيسا للوزراء ١٩٨٧ م إثر تدهور حالة بورقيبة الصحية .

والحقيقة أن حقبة الحبيب بورقيبة تشبه حقبة الرئيس السادات فهناك من يعتبرها حقبة تاريخية حتى عام ١٩٧٤ م وهناك مـن يعتبرهـا كلها تاريخية وآخرون يعتبرونها فترة حكم تسببت فى تـأخر تقـدم تونس منذ عام ١٩٥٧ م وإلا لكانت مكانة تونس أعلى من مكانتهـا الحالية لولا استئثار بورقيبة بالسلطة ، ولكن جميع التونسيين يؤمنون بأن بورقيبة هو من وضعهم على طريق المدنية الأوربيـة الحديثـة وبث فيهم روح العلمانية الإسلامية التى لم تتكن لتتواجد فى بلد غير تركيا ولبنان وكذلك حثهم على التعليم.والقضاء على الأمية فى تونس

وهو ما كان يخشاه كل الحكام العرب جراء ازدياد عدد المتعلمين والمثقفين وزيادة الوعى الذى سيؤدى حتما إلى الثورة .

زين العابدين بن علي:

يوجد العديد من الحكام العرب العسكريين - بدءا من محمد على باشا فى مصر - الذين لا يحملون شهادة عليا أو حتى متوسطة ولكن تعليمهم العسكري ارتقى بهم لدرجة أعلى من حملة الدكتوراة ، ذلك ما حدث مع الرئيس التونسى السابق زين العابدين بن على الذى ولد عام ١٩٣٦ م ولم يثبت عمليا حصوله علي شهادة حتى ولو متوسطة مدنية ولكن بعد انخراطه فى الخدمة العسكرية ساعده حماه - الضابط ذو الرتبة الكبيرة - فى الحصول على الدبلوم العسكرى من فرنسا ثم شهادة فى المدفعية من أمريكا ولكنه أتقن علم الاستخبارات العسكرية بعد حصوله على تدريب فى الولايات المتحدة فى CIA مما جعله يتولى الأمن الوطنى للجيش - المخابرات العسكرية - فترة طويلة ثم عين سفيرا ثم عاد مديرا للأمن الوطنى التونسى عام ١٩٧٧ م برغم صغر سنه آنذاك مما يدل على إتقانه لعمله حتى أن العقيد معمر القذافى تعرف عليه فى تلك الفترة وأعجب بقدراته على تسيير الأمور بل واقترحه على الرئيس بورقيبة لكى يسند له منصبا وزاريا ، وبعد عدة سنوات عين سفيرا لتونس فى بولندا وقامت ثورة الخبز عام ١٩٨٤ م فرأى الرئيس بورقيبة استدعاءه لتولى الأمن الوطنى التونسى فقبل الأمر ثم تولى وزارة الداخلية ثم رئيسا للوزراء فى أكتوبر عام ١٩٨٧ م ، وهنا أحس زين العابدين بتدهور الحالة الصحية للرئيس بورقيبة التى تشبه الحالة الصحية للرئيس الأمريكى ريجان من بوادر زهايمر واضحة فقام يوم ٧ نوفمبر بانقلاب سلمى تولى على إثره رئاسة الدولة التونسية ولم يعترض أحد على الأمر لأن الرئيس بورقيبة اعتبر ميتا بالفعل لكبر سنه والذى وصل إلى ٨٤ عاما آنذاك [11] .

---

[11] توفى الرئيس التونسى الحبيب بوررقيبه عام ٢٠٠٠ م

اد زين العابدين بن على تحولا مهما فى تونس عـــام ١٩٨٧ م
توليه رئاسة الجمهورية التونسية وحـــاول فـــى ســـنواته الإولـــى
سترضاء الشعب والطلاب ففتح الباب للتعامل مع الأحزاب الأخرى
العديد من المثقفين ولكنه اصطدم بحائط الصد المنيع المتمثل فـــى
التيار الإسلامي وهنا أخذ التجربة المصرية مـــع خلطهـــا بـــالمنهج
التركى العلماني فى التعامل مع الإسلاميين حيث انتهج نفس الـــنهج
من التعذيب والتضييق والمعاداة بل ووصـــل الأمـــر إلـــى تحـــريم
الحجاب وهو ما لم تفعله الدول الأوربية المسيحية فاستحق أن يكون
أكثر الحكام العرب عداوة للإسلاميين بجميع طوائفهم فكانت تـــونس
تضم بصورة دائمة مؤتمر وزراء الداخلية العرب لتتعـــرف علـــى
وسائل التبادل الأمنى وكيفية قمع المتظاهرين ودحـــر الإســـلاميين
والاستفادة من التجارب المصرية والسورية والعراقيـــة فـــى تلـــك
المجالات فكون جيشا من الشرطة على الطريقة الإيرانية للسافاك أو
طريقة الجيستابو الألمانية النازية . وحاول بن على الاستفادة مـــن
ذلك بالتقرب من الدول الغربية حيث كان يستخدم الاسلاميين كفزاعة
لفرنسا والغرب لذلك تغاضى الغرب عن كـــل ممارســـاته القمعيـــة
الوحشية وفساد حاشيته برغم علمه بها تفصيليا .

قيام الثورة :

بدأت ملامح الثورة تتضح مع يوم ١٧ ديسمبر حـــين شـــاهد كـــل
التونسيين عبر الفضاء الالكترونى حريق البـــوعزيزى فهبـــت كـــل
المدن التونسية إثر هذا الحادث وفى اليوم والأيام التالية من خـــلال
تحالف كل شباب الفيسبوك وتويتر على القيام بالاحتجاج فـــى كـــل
تونس وهو ما حدث بالفعل فبدأت الشرطة للتصـــدى للمتظـــاهرين
فسقط الشهداء فى كل المدن مما غذى الثورة وزاد اشتعالها وقابلتها
الشرطة بالعنف وزاد التظاهر مما جعل الرئيس بن على يظهر على
شاشات التليفزيون التونسى ليقول للشعب خطابـــه الشـــهير " الآن
فهمتكم وفهمت مطالبكم " وظنها مطالب كلها ضد البطالـــة والفســـاد

وعدم ترشحه للرئاسة فقط ولكنه لم يدرك أنها مطالب للحرية أولا ثم العدالة الإجتماعية وما سياتى بعد ذلك سيكون من توابع الحرية ، ولكن الخطابين لا الأول ولا الثانى ولا حتى تغيير الوزراء المكروهين والمشهورين بالفساد استطاع إرضاء جماهير الشباب الى زادت إلى مئات الألوف وارتفع سقف مطالبها إلى رحيل الرئيس فلم تستطع قوات الشرطة السيطرة على الأمر فبدأت حرائق أقسام الشرطة ومقار الحزب الدستورى التونسى وحتى المقار الحكومية ووصل الأمر إلى انتواء الجماهير الانقضاض على القصر الجمهورى الذى أحيط بسياج من القوات فى جميع مداخله وهنا أحس الرئيس بن على بالخطر ففر هاربا يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١م . وسيناريو هروب الرئيس بن على غير محدد المعالم حيث يقال بأن العقيد القذافى صديقه القديم ساعده فى ذلك وعرض عليه الوصول إلى ليبيا ولكنه خشى من قرب ليبيا إلى تونس مما سيساعد على اغتياله فاستقل الطائرة التى كان خط سيرها به مالطا وفرنسا ولكنه فى النهاية استقر فى المملكة العربية السعودية البلد الأشهر فى استضافة كل زعماء العالم الإسلامى المغضوب عليهم من شعوبهم أو حكامهم الجدد وهو ما اعترفت به المملكة السعودية فى اليوم التالى لتنحيه عن السلطة .

وبعد تنحى الرئيس بن على تولى محمد الغنوشى رئيس الوزراء مهام رئيس الجمهورية ثم تولاها فؤاد المبزع رئيس مجلس النواب ووعد بإجراء الانتخابات خلال فترة لا تزيد عن ستة أشهر .

والحقيقة أن الثورة التونسية كانت تقف كملهمة وراء كل الثورات العربية الحديثة التى قامت وستقوم خلال الأعوام التالية وحتى الثورات التى ستقوم فى دول أخرى من دول العالم الثالث فى أفريقيا وأسيا لأنها استطاعت لأول مرة فى القرن الحادى والعشرين تخليص الشعب من الحكم الديكتاتورى الفاسد وتغيير النظام المستبد والتحول نحو الديموقراطية الذى سيتم حتما فى تونس خلال السنوات

القليلة القادمة وكان ذلك من خلال توظيف التكنولوجيا الحديثة كالكمبيوتر والانترنت لتجميع الشباب من مختلف المدن والمحافظات وقيامهم بالثورة فى نفس الوقت مما شتت قوات الأمن فهى لا تستطيع مجابهة الأعداد الهائلة من المتظاهرين خاصة إذا كانوا فى محافظات متعددة متباعدة الأطراف .

ومن سوء حظ الثورة التونسية من الناحية الإعلامية هو قيام الثورة المصرية بعدها مباشرة مما خطف الأضواء منها ومما يحدث فى تونس في مرحلة ما بعد الثورة ولم يكتف التاريخ بذلك بل قذف بثورات أخرى فى البحرين واليمن وليبيا وسوريا كلها أخفقت الأنوار عن المسرح التونسى الذى مازال ينبض إلى الآن .

أما النتائج المتوقعة للثورة التونسية فهى بقاء تونس حرة لفترة قادمة من الزمن لا يعلم مداها إلا التاريخ الذى سيدونها بأحرف من ذهب حيث أنها أشعلت الجذوة فى كل الفروع العربية لتنطلق نحو التحرر الذى سيهب حتما على الدول العربية جميعها خلال العقد الحالى سواءً بالثورة أو بالتغيير السلمى أو حتى العسكرى حيث سيكون العقد الحالى وحتى سنة ٢٠٢٠م هو عقد التحرر العربى كما حدث فى أوربا الشرقية منذ عام ١٩٨٩ م وحتى نهاية حرب البوسنة بعد ذلك بعشر سنوات تقريبا .

الباب الثانى
مصر وثورة ٢٥ يناير

الفصل الأول

الثورات فى تاريخ مصر الحديث

مقدمة :

حين تتابع التاريخ المصرى منذ عصر الفراعنة حتى الحملة الفرنسية لا تجد أى ثورة شعبية لها أثر كبير إلا حين ترى أن هناك غزوا خارجيا يتجمع الشعب خلاله مع الحاكم أو الجيش لدحر المعتدين كما حدث فى فترات القوة فى عصر الفراعنة أو حتى فى مقاومة الصليبيين فى عهد صلاح الدين فى العصر الإسلامى . ولكن هناك فى بعض الحالات القليلة كانت توجد بعض الثورات الشعبية الغير ناجحة قام بها المصريون فى العصر القبطى ضد تغلغل سلطة الكنيسة الرومانية أو الثورة الشعبية الناجحة ضد التتار التى توحدت بها مصر تحت قيادات مملوكية لسيف الدين قطز والظاهر بيبرس وكانت مصر بغير قائد رسمى آنذاك وفى كل تلك الحالات كان الهاجس الدينى هو المحرك الرئيسى للأحداث سواءً فى العصر القبطى أو العصر الإسلامى . ولكن ثورة الشعب التى قام بها أحمس وطرد فيها الهكسوس بمساعدة الشعب والجيش الذى كونه من الشعب هى الثورة الشعبية التاريخية الأولى الناجحة برغم عدم وجود معلومات كافية وواضحة عنها خيث أنها تمتد لأكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عام (حكم أحمس الأول من حوالى ١٥٥٠ ق.م إلى حوالى ١٥٢٥ ق.م) . فبالرغم من الأصول الملكية لأحمس الأول إلا انه استنهض الشعب فسار معه الشعب وسنه فى حدود ١٩ سنة – وهو سن يقارب سن شباب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ – ليحرر مصر كلها من الصعيد إلى الشمال ويقيم دولة مصرية جديدة قامت خلال حكم أسرته الثامنة عشر برفع اسم مصر عاليا حتى أصبحت خلال تلك الأسرة فى أوج حضارتها التى لم تصلها لا قبلها ولا بعدها إلى الآن . لذلك تعتبر ثورة أحمس هى أول ثورة شعبية تحررية للمصريين يعتمد فيها القائد على الشعب أولا ثم يكون من الشعب جيشا منظما حديثا تمكن من خلاله من طرد الهكسوس من مصر كلها ليصبح أول ملك شعبى فى تاريخ مصر يقدره الشعب

ويحترمه ليس لجذوره الملكية فحسب ولكن لقوته وانتصاراته وثورته برغم صغر سنه .

الحملة الفرنسية على مصر :

إذا عبرنا التاريخ القديم الضارب في العمق والذى بنى معظمه على تقديس وإجلال الحاكم أيا كانت ملته أو طبيعته نجد الشعب المصرى مثل شعوب الشرق عموما قليل الثورات يقبل حاكمه كما قبل الحاكم بأمر الله الفاطمى وكما قبل قراقوش وحتى المملوك بيبرس ليكون حاكمه بل ويمجده ، ومن الغريب أن معظم هؤلاء الحكام كانوا من غير المصريين ، ولكن التاريخ تغير قليلا مع وصول الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ م . فمع دخول نابليون مصر عام ١٧٩٨ م وقيام الثورة الشعبية ضد الفرنسيين ثم اندحارها ، اكتشف المصريون أنهم تخلفوا عن ركب الحضارة بضع مئات من السنين منذ عهد صلاح الدين وحتى دخول الفرنسيين مصر فقد كان صلاح الدين آخر حاكم آمن بالوحدة الوطنية وكان في بلاطه اليهود والنصارى إلى جوار المسلمين وكان يؤثر العلم على الجهل وحاول إقامة نهضة شاملة لا تقوم على أساس دينى مع عدم إغفال الدور الرئيسى للدين ولكنه اصطدم بالحائط الدينى الشيعى الذى أقامه الفاطميون من قبل ونشأ عنه قلة التسامح الدينى والاهتمام بالمظاهر الدينية قبل الاهتمام بجوهر الدين فقد كانت مصر تعج بالموالد والاحتفالات الغير مسبوقة العدد مما أضاع الكثير من جهد صلاح الدين فى معالجة أمور الدين التى جعلت من أتى بعده يرث تركة ثقيلة من التشرذم والضعف الديني استمرت لفترة طويلة .

لقد أحس المصريون مع دخول الفرنسيين مصر أنهم كانوا غائبين عن الحضارة وعن التاريخ الإنساني ككل حتى أن الفرنسيين الذين لا يتكلمون العربية يقومون باكتشاف آثارهم القديمة وتدوينها بل ودراسة دينهم الإسلامي والمسيحي وعاداتهم وتقاليدهم فى مختلف المحافظات بطريقة عصرية تدعو للدهشة ، ولعلك تتعجب عزيزي

القارئ إن قرأت ما أورده الفرنسيون في كتاب وصف مصر عن تلك الفترة ومنها أن المسلمين تركوا الآثار الفرعونية الهامة لأنها تعتبر من عصور الجاهلية وعبادة الأصنام ، وحينما قام الفنانون الفرنسيون برسم صور لبعض الأشخاص الأحياء فى صعيد مصر هرب المسلمون عند مشاهدة الصور واللوحات على اعتبار أنها من الجان أما المسيحيون فلم يهربوا من الصور بل ركعوا لها على اعتبار أنها صور لقديسين لأنه لم تكن هناك أية صور فى مصر إلا للقديسين . هذه كانت حالة مصر آنذاك ولكن مع مطلع عام ١٨٠١ م وبعد رحيل الجيش الفرنسي بدأ المصريون يدركون صعوبة حالهم وموقفهم من العالم الذى حركته الثورة الصناعية الأوربية فاستبقى المصريون بعض الفرنسيين ليقوموا بتعليمهم الأصول الحديثة للحضارة ومع بداية عصر محمد على ومنذ عام ١٨٠٥ م تحركت مصر أول خطوة على طريق الحضارة الحديثة حيث أرسل محمد على البعثات إلى فرنسا واستعان بالكثير من الخبراء الأجانب فى كل المجالات لتقوم مصر الحديثة مما جعل المصريون يقدرونه على اختلاف وجهات نظرهم فى كونه غير مصرى ويضعونه فى مصاف القادة العظام إلى الآن .

ثورات مصر الحديثة :

أخذ المصريون أكثر من خمسة وسبعين عاما حتى عام ١٨٨١ م لتقوم ثورة عرابى " هوجة عرابى " التى قام بها الجيش ولم يساندها الشعب نتيجة الخيانة وتضليل وجهل الشعب فى حرمانية قيام الثورة على ولى الأمر مما أدى إلى فشلها الذريع كأول ثورة مصرية فى العصر الحديث انتهج قادتها نهج الثورة الفرنسية عند تحدثهم مع الخديوى توفيق عن كون المصريين ولدتهم أمهاتهم أحراراً ولن يستعبدوا بعد اليوم ، ولكن الثورة انتهت باعتقال قادتها ونفيهم . واستمرت حركات الاحتقان منذ حادثة دنشواى التى أثارها الزعيم الشاب مصطفى كامل الذى يعود له الفضل فى نشر الوعى القومى

المصرى بموافقة من خديوى مصر آنذاك عباس حلمى إلــى أن قامت أول ثورة شعبية للمصريين فى العصر الحديث وهى ثورة عام ١٩١٩ م التى أشرنا إليها فى الفصل السابق والتى أشـعل جـذوتها الزعيم سعد زغلول ورفاقه والتى سوف نقوم بدراستها فى البـاب الثالث كأحد النماذج المقترحة التى يمكن أن تنتهجها ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م .

وقد كانت تبعات ثورة ١٩١٩ م كثيرة فخلال عشر سنوات وضعت مصر على قائمة الدول العريقة آنذاك فقد قامت حكومات برلمانيـة حقيقية ووضع دستور للبلاد عام ١٩٢٣ م وسنت العديد من القوانين التى تتعجب من ليبراليتها وعلمانيتها برغم اعتمادها على الشـريعة الإسلامية والتى تكرس الحياة المدنية ، بل وقامت حيـاة مصـرية ثقافية حرة وحياة اقتصادية وطنية وحياة فنية فذة لم يسبق لأى منها نظير فى تاريخ مصر برغم وجود نظام ملكى فاشل ، وانتهت تلك الحقبة تماما بما فيها من حريات وحراكات ثقافية مع معاهـدة عـام ١٩٣٦ م ، أى أن الثورة استمرت لمدة حوالى سبعة عشر عاما قبل أن تتغلغل بقيود الاحتلال والملكية الفاسدة والصراعات بين القصـر والاحتلال .

واستمرت الفترة من عام ١٩٣٦ م إلى عام ١٩٥٢ م بين كر وفـر من الشعب والاحتلال والقصر ولكن تنامى دور الجيش الـذى بـدأ المصريون من الطبقات الشعبية والمتوسطة فى الانخراط فيه بكثرة مع منتصف الثلاثينات وتخرجت من كليتـه الحربيـة العديـد مـن الدفعات خلال فترة الحرب العالميـة الثانيـة وتضـافرت الرتـب المتوسطة والصغرى فى الجيش من نقيب إلى مقدم لتقوم بثورة عام ١٩٥٢ م تحت غطاء من اللواء محمد نجيب الـذى يجمـع معظـم المؤرخين على أنه كان الغطاء التاريخى لصغار الضباط الذين قاموا بالثورة وقد أشرنا إلى ذلك سابقا .

وقد قامت ثورة عام ١٩٥٢ م دون علم واضح من الشعب حيث قام بها مجموعة من الضباط الشرفاء الذين يبغون رفعة شأن مصر وغالبيتهم من الشباب دون الخامسة والثلاثين، وقد كانت الثورة بدون دعم الشعب فى الفترة الأولى ولكنها اكتسبت ثقة الشعب مع الإنجازات التى انعكست على الشعب من قيام الثورة والتي تمثلت فى القضاء على الإقطاع ونشر المساواة والعدالة بين الناس ونشر الوعي القومي المصري الجديد . واستمر ذلك حتى عام ١٩٥٤ م حين قامت الثورة بتصحيح مسارها على يد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فاختارت الثورة العدالة الاجتماعية وتركت الديموقراطية ولكنها مع عام ١٩٦١ م تركت الاثنين لتنجرف مصر فى حروب إقليمية وصراعات متنوعة داخلية وخارجية أدت إلى تراجع الدور المصرى وانتهت بهزيمة عام ١٩٦٧ م والتى حاول النظام تحسين صورتها بتسميتها نكسة بدلا من هزيمة حتى لا يحبط الشعب المصرى ويستطيع القيام من عثرته وهو ما حدث بالفعل فقد تولدت روح مصرية جديدة مع نهاية عام ١٩٦٧ م اكتشف فيها الإنسان المصرى قدرته العجيبة على الكفاح والمثابرة خلال حرب الاستنزاف إلى أن توفى الرئيس جمال عبد الناصر عام ١٩٧٠ م والذى اعتبر آنذاك أول رئيس مصرى حقيقى يحكم مصر منذ عصر الفراعنة برغم ما شاب عهده من غياب للديموقراطية وفساد أمنى واضح لكل العيان انتهجته أجهزة المخابرات بأيدى الشرطة .

ومع نهاية عام ١٩٧٠ م تولى الرئيس محمد أنور السادات حكم مصر واستأثر بالحكم فى منتصف مايو عام ١٩٧١ م بما يسمى ثورة التصحيح ، ولكنه أيضا من قام بالانتصار العظيم فى أكتوبر عام ١٩٧٣ م وكان انتصاره هو أول انتصار مصرى فى حرب حقيقية منذ حرب التتار منتصف القرن الثانى عشر حيث أن الحروب التى كانت قبله أقرب إلى الغزوات والمناوشات منها إلى

الحرب الحقيقية والحروب الحقيقية انهزم فيها الجيش المصري كما حدث في نهاية عهد محمد على .

وقد بدأ الرئيس السادات فترة ديموقراطية بعد حرب أكتوبر استمرت لمدة أربع سنوات حتى يناير عام ١٩٧٧ م حيث قامت ثورة شعبية فاشلة هى انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير عام ١٩٧٧ م وقد فشلت تلك الانتفاضة لعدم وجود هدف محدد لها غير مقاومة الغلاء الذى فرضته الحكومة آنذاك وقد التفت حولها القوى السياسية المعارضة لتستخدمها لأغراضها كما استخدمها بعض ضعاف النفوس للسلب والنهب كما حدث فى معظم محال شارع الهرم وبعض محلات وسط القاهرة وانتهت تلك الانتفاضة بأبلغ الأثر فى تاريخ مصر الحديث حيث سادت فى مصر أساليب جديدة للأمن لم تكن قائمة من قبل وكذلك بدأت بوادر الفساد تستشري فى مصر من خلال بطانة الرئيس وحاشيته وأخذت الشرطة فى مصر بوضع مفاهيم جديدة للأمن المصرى يرتبط ارتباطا وثيقا بأمن الرئاسة وليس بأمن الشعب وأصبح أمن النظام هو نفسه أمن الرئيس وأمن عائلة الرئيس مما أدى إلى خلق عداوات من داخل المجتمع ذاته لنظام الرئاسة وانتهت بالرئيس السادات إلى اعتقال كل معارضيه من جميع الطوائف عام ١٩٨٠ م ، ولم يستفد الرئيس من النجاحات التى حققها فى مجال السلام مع إسرائيل ولكنه جنى من تلك الاعتقالات انتهاء حياته بالاغتيال فى أكتوبر عام ١٩٨١ م مما أدخل مصر فى النفق المظلم لحكم قانون الطوارئ منذ عام ١٩٨١ م حتى عام ٢٠١١ م .

ويجب أن نعترف بان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م كانت من أهم الثورات فى المنطقة العربي بل وفى العالم الثالث حيث ساهمت فى قيام معظم حركات التحرر فى أفريقيا ودول العالم الثالث مما جعل مصر تتبوأ مكانة عالية فى العالم وكانت من طليعة البلاد التى يخاف العالم منها وكونت مع الهند ويوغسلافيا وإندونيسيا بادرة دول عدم الانحياز عام ١٩٥٥ م ولكنها أهملت التطور الاقتصادي

المصرى منذ عام ١٩٦١ م ومع بداية حرب اليمن التى استنزفت القدرات المصرية ولم يكن لمصر فيها من ناقة ولا جمل حتى تدخل فيها بكل ثقلها بطريقة حرب عصابات قام بها اليمنيون أمام الجيش المصرى المسلح الذى لم يعتد على القتال فى النجوع والقرى والجبال مما جعل الحرب تستمر لعدة سنوات دون جدوى تذكر وتفقد مصر على إثرها الكثير من مواردها .

ويجب أن نعترف بأن مصر كانت تحتل مكان الصدارة فى المنطقة العربية والشرق أوسطية حتى منتصف السبعينات فبالرغم من تراجع الصدارة الإقتصادية إلا أن الصدارة السياسية والثقافية والفنية لها عامل كبير أيضا فى أهمية الدولة حيث أن الثقافة والفن والسياسة تشكل جميعها وجدان الأمة لأن الأمة العربية بصف عامة تعتمد شعوبها على العاطفة والوجدان أكثر من العقل وقد أشار الكاتب الراحل توفيق الحكيم إلى ذلك فى عدة روايات أهمها "عصفور من الشرق" حيث أشار إلى أن الشرق يعتمد على مكانة الروح فى الجسم بينما يعتمد الغرب على مكانة العقل فى الجسم . وفى نهاية الفصل نشير إلى أن مكانة مصر الإقتصادية والسياسية وحتى الثقافية والعلمية بدات فى التراجع مع نهاية عصر السادات وبداية عصر مبارك وهو ما سنشير إليه فى الفصل التالى .

الفصل الثانى
الوضع فى مصر قبل قيام الثورة

مع نهاية عام ١٩٨١ م واغتيال الرئيس السادات تولى الرئيس السابق محمد حسنى مبارك حكم البلاد، وقام مفهوم حكمه على نظام الديكتاتور العادل أى التضحية بالديموقراطية فى سبيل العدل مثل السنوات الأولى لثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ م ولكنه بدأ حكمه باعتقال كل الناشطين الإسلاميين وقد وافقه الشعب على ذلك خلال فترة حكمه الأولى على سبيل التجربة وحتى بداية حرب الخليج عام ١٩٩٠ م ، حيث أحس الشعب ببوادر تحسن اقتصادي ملموس على أمل أن يستمر هذا التحسن ويتقدم مضحيا ببعض المفاهيم الديموقراطية والحرية فى سبيل الانتعاش الإقتصادى. وبعد حرب الخليج بدأ ظهور نجم حرم الرئيس وأخذ اسمها يتردد فى المشروعات الاجتماعية مثلما فعلت حرم الرئيس السادات وأيضا كبر أولاد الرئيس وأصبح لابنه الأكبر " علاء " بعض التداخلات فى المشروعات الاقتصادية البسيطة داخل البلاد وخارجها ولكنه لا يميل إلى السياسة لذلك لم يسمع الشعب العادى عنه شيئا ولم يدركه إلا متأخرا أثناء مباريات كرة القدم ، أما المهم هو ظهور نجم ابنه الأصغر الأشهر" جمال " فى منتصف التسعينات بعد تداخله مع بعض الوزراء فى أعباء ديون مصر الاقتصادية أثناء عمله المصرفى فى انجلترا ثم استقراره بمصر ومتابعة عملية الخصخصة وساعده فى ذلك وجود رئيس وزراء مصر الأسبق عاطف عبيد الذى فتح الباب على مصراعيه لحرم الرئيس وابنه للدخول من باب السياسة المصرية إلى جوار الرئيس المصرى مع نهاية التسعينات من القرن الماضى وعلمت مصر كلها مع بداية الألفية الجديدة أن هناك مجلس ثلاثى لحكم مصر يتكون من الرئيس مبارك رئيسا وعضوية كل من السيدة حرم الرئيس وابنه جمال ، بل وقد اقترح بعض المتشائمين أن تكون هناك ثلاث جماعات وزارية لكل منهم فبعض الوزراء والمحافظين وكبار رجال الدولة يدينون بالولاء للرئيس والبعض الآخر لابنه والقليل لحرم الرئيس . وقد ظل الجيش

على امتداد عهده منذ عام ١٩٥٢ لا يدين إلا للرئيس فقط ولكن الشرطة تغيرت طبيعتها بعد عام ١٩٩٨ مع وصول الوزير حبيب العادلى الذى كان يتولى أمن الدولة من قبل لتهتم بصورة أكبر بالرئاسة ويصبح أمن النظام هو أمن الرئاسة فقط وبالتالى تقاربت مصالح وزارة الداخلية مع مصالح الرئيس وابنه وأصبحت كل قضايا مصر السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية والفنية والإعلامية بل وحتى الزراعية والصناعية والاقتصادية والتعليمية والصحية لها بعد أمنى ويجب أن تأخذ الإذن من الأمن قبل الدخول فى أى مجال فى أى قطاع مما أعطى انطباعا لدى قطاع الشرطة بجميع طوائفه أنه أهم قطاع فى الدولة وأصبح هو المتحكم فى جميع خيوط اللعبة فى مصر وتعاظمت قدرته ليتحكم فى السلطة التشريعية حيث يقوم بالتزوير ليحدد من ينجح ومن يخسر فى انتخابات مجلس الشعب والشورى بل وتدخل فى التأثير على القضاء من خلال محاكم ونيابات أمن الدولة ومصلحة الأدلة الجنائية والطب الشرعى مستعينا بقانون الطوارئ الذى يتم تجديده منذ عام ١٩٨١م بالإضافة إلى الهيمنة على إدارات مثل الجامعات والحكم المحلى والمحافظين بل وامتد هذا النشاط ليشمل كل من يريد أن يتولى وظيفة فى الدولة ليصل التقرير المسبق من أمن الدولة قبل تعيينه ، كل هذه التدخلات لابد أن تتم بالطبع بموافقة وعلم هيئة الرئاسة .
ولكن الشئ الغريب فى تلك المرحلة هو ظهور نظرية الولاء التام كأساس للاختيار لأى منصب كما سيتم توضيحه لاحقا .

الرئيس السابق حسنى مبارك :

حكم الرئيس مبارك مصر لفترة تقترب من ثلاثين عاما منذ ١٤ أكتوبر عام ١٩٨١ م إلى ١١ فبراير عام ٢٠١١ م بالإضافة إلى كونه نائبا لرئيس الجمهورية منذ عام ١٩٧٥ م .
ويمكن تقسيم تلك الأعوام التى حكم فيها مصر بالعديد من الطرق كالآتى :

الطريقة الأولى : يمكن تقسيم فترة حكم الرئيس السابق بثلاث فترات عشرية كل عشرة سنوات تقريبا تطورت فيها طبيعة وشكل الرئاسة أى من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٩٠ م كفترة حكم رشيدة كديكتاتور عادل ثم من عام ١٩٩١ م إلى عام ٢٠٠٠ م كفترة حكم مهتزة تشبه طريقة حكم الرئيس السادات بعد عام ١٩٧٧ م ثم الفترة من عام ٢٠٠١م إلى عام ٢٠١١ م كفترة حكم فاسدة لمع فيها نجم الابن جمال مبارك أكثر من نجم الرئيس نفسه .

الطريقة الثانية : يمكن تقسيمها إلى فترتين قبل عام ١٩٩٥ م وبعد عام ١٩٩٥ م أى بعد محاولة الاغتيال الفاشلة التى تمت فى العاصمة الإثيوبية أديسابابا حيث تغيرت طبيعة حكم الرئيس من حكم الفرد إلى حكم المجلس الرئاسى مع ابنه ومع حرم الرئيس فقد كان الرئيس حتى عام ١٩٩٥ م ينعم بالأمان التام وعدم التفكير بالموت ولكنه أدرك بعد ذلك أنه يمكن أن يموت فى أى وقت وبالتالى تغيرت طريقة التفكير ليحاول إدخال جمال الابن للرئاسة وبدعم من السيدة سوزان مبارك مما انعكس تدريجيا على التفكير الرئاسى والوصول إلى النقطة الحرجة نهاية عام ٢٠١٠ م بتزوير كامل للانتخابات التشريعية .

الطريقة الثالثة : التقسيم إلى خمسة فترات رئيسية حقيقية كل منها ست سنوات كالتالى :

١- الفترة الأولى من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٨٧ م
٢- الفترة الثانية من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٣ م
٣- الفترة الثالثة من عام ١٩٩٣ م إلى عام ١٩٩٩.م
٤- الفترة الرابعة من عام ١٩٩٩م إلى ٢٠٠٥ م
٥- الفترة الخامسة من عام ٢٠٠٥ م إلى عام ٢٠١١ م

وتعتبر التقسيم الأخير هو الأنسب من وجهة نظرنا لأنه يوضح التطور التدريجى للرئاسة فى عهد الرئيس مبارك وهى التى اعتمدنا عليها عند دراسة فترة الرئاسة وطبيعتها .

وتتميز كل فترة من الفترات السابقة بصفات خاصة للحكم الرئاسى للرئيس مبارك وعائلته وطريقة إدارة الحكم واختيار المعاونين حيث يدرك المصريون تماما بأن كل فترة رئاسية لها متطلباتها الخاصة ورجالها.

الفترة الأولى الديكتاتور العادل

من عام ١٩٨١ م إلى عام ١٩٨٧ م .

تتميز تلك الفترة من حكم الرئيس مبارك بالعديد من المزايا عن الفترات الأخرى فقد بدأ الرئيس مبارك بمفهوم الديكتاتور العادل أى أنه لا يهتم بالديموقراطية قدر اهتمامه بالعدل لذلك حاول فى تلك الفترة بعد الاستقرار السلمي مع إسرائيل وضع البلاد على الخريطة الاقتصادية الصحيحة فأقام العديد من المؤتمرات الاقتصادية وكلف رؤساء وزاراته فى تلك الفترة بالتركيز على الإصلاحات الاقتصادية منذ وزارة فؤاد محى الدين إلى وزارة كمال حسن على إلى وزارة علي لطفى ، وقد اهتم الرئيس مبارك ووزاراته بتلك الإصلاحات وبالفعل باتت تؤتى ثمارها مع نهاية الثمانينات وانخفضت ديون مصر وأحس الشعب المصري خلال تلك الفترة بنوع من الثبات الاقتصادي وليس الرخاء مما انعكس على تثبيت حكمه .

ونبغت فى تلك الفترة بعض الشخصيات مثل يوسف والى وزير الزراعة الذى فتح الباب للتعاون مع أمريكا وإسرائيل وكمال الجنزورى الذى وضع خطة للإصلاح لمدة عشرين عاما تمتد إلى عام ٢٠٠٣ م والمشير أبوغزالة كوزير للدفاع وعصمت عبد المجيد كوزير للخارجية بالإضافة إلى شخصيات هامة استمرت من حكم الرئيس السابق مثل النبوى إسماعيل وزير الداخلية وكذلك رئيس مجلس الشعب صوفى أبو طالب ثم رفعت المحجوب .

ومن المميزات الكبيرة لتلك الفترة هو انشغال الرئيس التام بشان مصر من إصلاح إقتصادى والسلام مع إسرائيل ومحاولة الانحياز التام للشعب المصرى بكل قطاعاته واستكمال بناء المجتمعات

العمرانية الجديدة فى جميع أنحـــاء مصـــر ومراعـــاة اختيـــار الوزراء على أساس علمى فنتج عن ذلك أيضا قلة الاحتجاجات لدى فئات الشعب العاملة وبداية نشاط قطاع هام من قطاعات الاقتصـــاد المهملة هو القطاع السياحي الذى امتد إلى منطقة البحـــر الأحمـــر وسيناء وغرب الإسكندرية بعد أن كـــان مقتصـــرا علـــى الجيـــزة والأقصر ، كما بدأ النشاط الصناعى للمدن الجديدة التى خطط لهـــا فى عهد الرئيس السابق أنور السادات مثل مدينة العاشر من رمضان ومدينة السادس من أكتوبر ومدينة السادات وغيرها وكـــذلك توجـــه بالإصلاح الزراعى من منطقة الصالحية إلى غرب النوبارية .
كما تتميز تلك الفترة بعدم وضوح دور السيدة سوزان حرم الـــرئيس فى أمور الدولة وحتى فى العمل الاجتماعى حتـــى عـــام ١٩٨٧ م حيث لم تكن لتظهر إلا فى الاحتفالات الرسمية فقط.
أما عيوب تلك الفترة فهى الاستمرار فى قانون الطـــوارئ وكثـــرة الاعتقالات خاصة للإسلاميين المتشددين وغير المتشددين ممـــا أدى إلى تنامى دور الشرطة فى القمع، ومع استمرار القمع تـــدهور دور التعليم العادى والتعليم العالى فى ظل غياب حرية الرأى .
إلا ان أهم عيوب تلك الفترة وهى عيوب خطيرة تتمثل فى التعـــدى على الأراضى الزراعية التى بدأت فى عصـــر الـــرئيس الســـادات ولكنها فى الثمانينيات تحولت إلى غابة من التعديات أدت إلى ظهور مناطق جديدة فى جميع أنحاء مصر تســـمى بالمنـــاطق العشـــوائية وبدأت تحيط بكل المحافظات وبدأت تؤوى فئات الشعب الفقيرة حيث أن تكلفة السكن فى تلك المناطق منخفضة تتناسب مع الدخول الفقيرة وأصبحت بعض منـــاطق محافظـــة القـــاهرة والجيـــزة والقليوبيـــة والإسكندرية يقطنها الملايين وبعض أطرافها تتكون مـــن منـــاطق عشوائية قليلة الخدمات الأساسية والصحية ،ففى محافظـــة القـــاهرة هناك المناطق العشوائية فى دار السلام وحول المرج وعين شـــمس والمطرية وحدائق القبة والساحل والشرابية وغيرها وكـــذلك الحـــال

بالنسبة لمحافظة الجيزة التى احتوت مناطق مثل بولاق الدكرور .
والعمرانية وامبابة والمنيب ونفس الحال فى محافظة القليوبية حيث أصبحت منطقة شبرا الخيمة وما حولها يفوق عدد سكانها عدد سكان بعض البلاد العربية وأصبح المثل القائل آنذاك بأن مأمور قسم شبرا الخيمة أو بولاق الدكرور أو البساتين ودار السلام يحكم عددا من الناس يفوق عدد بعض الدول العربية وأصبحت تلك المناطق تسمى فى عرف المصريين بـ" الصين الشعبية " . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل امتدت تلك العشوائيات لتغزو باقى محافظات مصر من الإسكندرية إلى أسوان ومن الإسماعيلية إلى مطروح ولم يستثن من ذلك إلا محافظات سيناء حيث كانت فى مرحلة الخروج من الاحتلال وبداية الإعمار .

ويمكن اعتبار تلك المرحلة مرحلة اختبار الشعب لرئيسه حيث اختبر فيها الشعب قدرات الرئيس ووافقه فيها خاصة أن الرئيس مبارك فتح باب الرزق بلا حدود للمصريين الراغبين للعمل بالخارج دون أى قيد أو شرط فى جميع البلاد العربية حتى المعادية لمصر مثل العراق التى استوعبت أكثر من مليون عامل مصرى خلال فترة الحرب مع إيران وكذلك السعودية والكويت والإمارات وليبيا ، وقد عمل بتلك البلاد أكثر من عشر سكان مصر ولم يعد فى العالم بلد غير الفاتيكان لا يعمل بها مصريون فى أى مجال وبالتالى خرج أكثر من عشر عدد سكان مصر من طابور الخبز المصرى للعمل بالخارج مما ساهم فى تخفيف حدة الديون وظهور بوادر الإصلاح الإقتصادى الناتج عن تحويل مدخرات العاملين بالخارج .

وعلى الجانب الأمنى تميزت تلك الفترة باستمرارية وجود المنصب السياسى للجيش متمثلا فى المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة الذى أعطى للجيش قوة تفوق قوة الشرطة لدى عامة الشعب المصرى .

أما فى جانب الشرطة فقد انقسمت تلك الفترة إلى قسمين قسم ما قبل الوزير أحمد رشدى ويعتمد على عدم استخدام القوة المفرطة إلا فى

المعتقلات مع تطبيق شعار الشرطة فى خدمة الشعب وقسم يبدأ من الوزير زكى بدر يعتمد على الاستخدام المفرط للقوة مع التعالى والاحساس بهيبة الشرطة وانتقل ذلك إلى الفترة الثانية .

وعلى صعيد الهيئة التشريعية وانتخابات مجلس الشعب فقد كان يشوبها العديد من التزوير حيث يتم التزوير فى بعض الدوائر التى بها وزراء أو رجال كبار من رجالات الحزب الحاكم ، وكان يتم التزوير بصورة كاملة فقط فى الاستفتاءات أو فى انتخابات مجلس الشورى لصعوبة ضبط دوائره المترامية الأطراف ولم يكن أحد من العامة ليذهب للإدلاء بصوته فى الاستفتاءات أو فى مجلس الشورى عادة لأنه معروف نسبتها مقدما وهى ٩٩,٩% من الحاضرين يقول نعم والباقى يقول لا كما كان يعلنها اللواء مجدى راسخ والد زوجة السيد علاء مبارك ، ولكن البرلمان آنذاك كان قويا ويضم العديد من الشخصيات المثيرة للجدل داخل الشارع المصرى سواءً من الحكومة أو المعارضة وكان الشعب المصرى يستمتع بجلسات مجلس الشعب والمناقشات بل و"الخناقات" التى تجرى داخله فقد حمل بعضهم الرغيف المدعم وعرضه على المجلس وقام أحدهم بالتشابك مع وزير الداخلية زكى بدر وغير ذلك من المواقف الغريبة التى لم يشاهدها الشعب المصرى بعد سنة ١٩٩٠ م .

وقد انتهت تلك الفترة مع نهاية وزارة الدكتور على لطفى تقريبا لتبدأ مصر مرحلة جديدة مع وزارة الدكتور عاطف صدقى .

وقبل أن نترك تلك الفترة نود أن نشير إلى أن الرئيس مبارك أقنع الشعب بأنه رئيس حقيقى ولكنه لم يكن قادرا على إقناع العالم بذلك قبل عام ١٩٩٠ م حيث أشارت السيدة مارجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا إلى أن فترة حكم الرئيس مبارك ستكون قصيرة جدا ولعدة سنوات ، ولكن للأسف تركت هى رئاسة وزراء بريطانيا بعد كلمتها تلك وتركتنا نحن لرئيسنا لفترة تصل إلى ثلاثين عاما وكذلك فعل الرئيس الأمريكي رونالد ريجان الذى لم يكن مقتنعا تماما بقدرة

الرئيس مبارك على حكم دولة كبرى مثل مصر فانضم إلى معسكر مارجريت تاتشر الذى يرى عدم صلاحية الرئيس مبارك للحكم لفترة طويلة .

الفترة الثانية : أنا الدولة :

من عام ١٩٨٧ م إلى عام ١٩٩٣ م

تعتبر تلك الفترة أخصب فترات حكم الرئيس مبارك حيث تغير أسلوب الرئاسة تغيرا جذريا مع نهاية عام ١٩٨٩ م حيث بدأ الرئيس مبارك فى الدخول فى أحلاف سياسية عربية بغرض طرق الأبواب العربية واستعادة مكانة مصر العربية وبالفعل نجح فى استعادة الجامعة العربية من تونس (مرة أخرى تشاركنا تونس فى الجامعة العربية كما شاركتنا فى الثورة) ولكنه لم يفلح فى استعادة العلاقات الكاملة مع الدول الغربية بالرغم من المساعدات التى تقدمها الولايات المتحدة لمصر فى شتى المجالات العسكرية وغير العسكرية آنذاك ولكن مع بداية غزو العراق للكويت فى الثانى من أغسطس عام ١٩٩٠م تغيرت وجهة الرئيس مبارك فقد أدار وجهه للرئيس العراقى صدام حسين واتجه بوجهه إلى دول الخليج من جهة وامتدت يده للدول الغربية لجنى ثمار تأييد الموقف الغربى المتمثل فى تخفيض الديون المصرية من جهة أخرى ، وبالفعل نجح الرئيس مبارك فى ذلك وتقلصت ديون مصر بصورة كبيرة بل وهبطت ثروات الخليج على مصر كمكافأة على موقفها المساند للكويت فى صورة استثمارات متعددة وأحس الرئيس مبارك بالقوة وحصافة الرأى مما انعكس ايجابيا على مكانة مصر العربية . وكذلك استفاد الرئيس مبارك من زلزال عام ١٩٩٢ م وقدمت العديد من الدول المساعدات لمصر وانضمت تلك المساعدات إلى مساعدات ومنح حرب الخليج لتذوب فى خبايا الدهاليز المصرية الغير معروفة . ولكن هذا التطور فى السياسات الخارجية الذكية بفضل المستشارين السياسيين للرئيس أمثال الدكتور أسامة الباز لم يقابله نفس التطور

فى السياسات الداخلية حيث انكفأ المصريون على البحث عن "لقمة العيش" وأصبح رب الأسرة مضطرا للعمل معظم ساعات اليوم ليلبى احتياجات أسرته ، وبدأ المصريون فى الدوران حول أنفسهم وبدأت معالم أحادية الرأى والمفهوم لدى الرئيس مبارك تظهر ولم يترك الفرصة لأحد لكى يبدى أى نوع من الاقتراحات فقد أصبحت كل الخيوط فى تلك الفترة في يد شخص واحد أخذها بعنف فكان الرئيس مبارك هو رئيس الحزب الوطنى الحاكم ورئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة بعد إقصاء الوزير القوى المشير أبوغزالة ورئيس المجلس الأعلى للشرطة بعد وصول وزراء داخلية مشهود لهم بالعنف من أمثال زكى بدر وحسن الألفي ، وكذلك رئيس المجلس الأعلى للقضاء ، ولا تتم أى خطوة فى السياسة الخارجية إلا بإذنه، أى أن مصر أصبحت رجلا واحدا قويا هو الرئيس مبارك ومن اللافت للنظر أن الولايات المتحدة شجعته فى ذلك كمكافأة على الموقف من غزو الكويت وأغدقت عليه بالمعونات والاستشارات الأمنية وتغيرت السياسة الأمريكية لتؤمن بنظرية أن المصالح الأمريكية في يد ديكتاتور متعاون خير منها فى يد ديموقراطية غير متعاونة لذلك غضت الطرف عن الممارسات غير الديموقراطية التى اتسم بها النظام المصرى خاصة مع المتشددين الاسلاميين .

أما اللافت للنظر فى تلك الفترة وخاصة أولها هو بزوغ نجم السيدة الأولى سوزان مبارك فقد بدأت فى الظهور فى الفعاليات الاجتماعية المختلفة خاصة المتعلقة بالطفل والقراءة للجميع والجمعيات الخيرية والأنشطة الثقافية والإعلامية وكذلك ارتفاع مكانة الدكتور زكريا عزمى كرئيس ديوان رئيس الجمهورية ليصبح على درجة أقرب للوزير -قبل أن يصبح وزيرا بالفعل- وبروز أدوار لاعبين جدد مثل الدكتور أحمد فتحى سرور كوزير للتعليم ثم رئيس مجلس الشعب والدكتور مفيد شهاب مع استمرار دور الدكتور يوسف والى

والدكتور كمال الجنزورى والدكتور عاطف عبيد والسيد صفوت الشريف والدكتور مصطفى كمال حلمى .

ومع استمرار وزارة عاطف صدقى بدأت عملية الخصخصة فى الاتساع وبدأت مكاسبها تثير اللعاب مما دفع نجل الرئيس الأكبر السيد علاء مبارك للدخول فى العديد من الاستثمارات الزراعية والعقارية وبدأت فى الظهور بوادر فك الاحتكارات التجارية وإعادة ترتيب الأوراق التجارية لتظهر مافيات جديدة لكل تجارة فهناك مافيا اللحوم والسكر والسلع التموينية والقمح والحديد والأسمنت وحتى السيارات وأصبح من المستحيل أن تكون وكيلا لأى تجارة شهيرة دون وجود وسيط وموافقة من الجهات الأعلى أيا كانت تلك الجهات التى تعطى مظلة الحماية . ومن الغريب أن تلك الفترة لم تشهد أى نشاط ملحوظ لنجل الرئيس "جمال " حيث كان فى مرحلة التدريب على الأعمال البنكية فى انجلترا ولكنه بدأ فى الانخراط فى دراسة الاشتراك مع الشركات التى يمكنها أن تتكسب من تحمل مخاطر الديون المصرية بعد بيعها.

أما من ناحية ترتيب البيت فى داخل الرئاسة –حيث تستطيع تلك الهيئة الرئاسية من المحيطين بالرئيس وعائلته تقديم وتأخير التقارير وبالتالي القرارات– فقد كانت تلك الفترة عصيبة جدا حيث شهدت سقوط وصعود العديد من الرجال المحيطين بالرئيس وهو أمر معهود دائما فى شئون الرئاسة ولكنه كان شديدا فى تلك المرحلة حيث كانت الصراعات والوشايات معظمها سياسية وقليل منها صراعات اقتصادية أو صراعات مصالح وترتب على ذلك وصول رجال جدد للرئاسة والمخابرات والحرس الجمهورى أى أن الوجوه تبدلت لتبدأ حاشية جديدة تنقل وجهات النظر والتقارير للرئيس وعائلته وتتحكم فى وصول تلك التقارير والأخبار وهو أمر لم يكن مهما قبل ذلك ولكن مع وصول تلك النخبة أصبح أمر شئون رئاسة الجمهورية هو رابع أضلاع المربع الحامل لكرسى الرئاسة وهم

الجيش والمخابرات والشرطة وشئون الرئاسة بل وأصبح الضلع الأول لكل من السيدة سوزان مبارك والسيدين علاء وجمال مبارك حيث أن أمور الوزراء والحزب الوطني وما شابه لم تكن ذات أهمية فى تلك الفترة لأن الوزراء والحزب ينفذون تعليمات الرئيس مبارك بحذافيرها حيث أن الرئيس مبارك هو الدولة .

الفترة الثالثة : بناء دولة المصالح :

من عام ١٩٩٣ م إلى عام ١٩٩٩ م

شهدت تلك الفترة تغيرا شديدا فى سلوك الرئيس مبارك حيث يقر معظم العاملين فى رئاسة الجمهورية والمقربين من الرئيس أن هناك تغيرا طرأ على الرئاسة مع نهاية عام ١٩٩٣ واختيار كل من السيد المشير محمد حسين طنطاوى كوزير للدفاع والسيد اللواء عمر سليمان كمدير للمخابرات العامة وتربع الدكتور زكريا عزمى على منصب رئيس ديوان رئيس الجمهورية وتعرض الرئيس لعدة محاولات اغتيال سواءً فى أديسابابا بإثيوبيا كما شاهدها العالم عام ١٩٩٥ ونجا منها الرئيس بأعجوبة أو فى بورسعيد كما تصورها او صورها المعاونون عام ١٩٩٩ م وكذلك تعرضت مصر للكثير من الحوادث والمآسى التى أضرت كثيرا بالسياحة .

وقد بدأت تلك الفترة بالانحياز إلى خصخصة شركات مصر الحكومية أو شبه الحكومية وشركات القطاع العام وقطاع الأعمال وقد حاول الدكتور كمال الجنزورى رئيس الوزراء أن يستفيد من خصخصة الشركات الخاسرة ليعيد بناء مشروعات أخرى زراعية سواء جديدة مثل توشكى أو تطوير مناطق مثل النوبارية وغرب محافظات الصعيد أو سيناء أو مشروعات صناعية فى مدن أكتوبر والعاشر والسادات وبرج العرب وشرق بورسعيد وغيرها أو حتى مشروعات عمرانية فى طريق مصر الاسكندرية الصحراوى وشرق وجنوب وشمال طريقي الإسماعيلية والسويس ومشروعات غرب الاسكندرية والساحل الشمالى حتى مطروح ولكنه كثيرا ما كان

يصطدم بطموحات رجال الأعمال القريبين من الرئاسة والــذين يودون السيطرة على تلك الشركات والأراضى الجديدة والمجتمعات العمرانية الناشئة وقد ترك الدكتور الجنزورى الوزارة فى نهاية تلك الفترة وقد حاول قدر الإمكان المحافظة على مكتسبات الخصخصة ولكنه فشل مع إقصاءه فى نهاية الفترة ، ويحكى عنه كل المصريين بدون استثناء أنه كان آخر رئيس وزراء حقيقــى يمكــن أن يأخــذ قرارات بعد إقناع الرئيس بها ومن كان بعده كان لا يقترح أى رأى ولكن ينفذ ما يملى عليه فقط وعلى ذلك فقد اعتبر من أتى بعده مــن رؤساء الوزارات هو مدير الوزراء وليس رئيسا للوزراء .

ولكن ما يميز تلك الفترة هو كثرة الحــوادث المأســاوية البحريــة والحوادث الإرهابية التى أضرت بسمعة مصــر الســياحية بــل أن حادث محاولة اغتيال الرئيس نفسه يعتبر من الحــوادث الإرهابيــة ولكن أشدها كان حادث الأقصر عام ١٩٩٨ م والذى تأثر به قطــاع السياحة فى مصر لعدة أشهر وأتى بوزير الداخلية الأشهر فى تاريخ مصر وهو حبيب العادلى حيث قام العادلى بتطبيق مفهوم أمن الدولة بمعناه الحرفى لينطبق بصورة كاملة على كل المصريين من جميــع الأعمار والفئات وهو ما سيتضح خلال الفترة التالية لحكم الــرئيس مبارك حيث أصبح أمن الدولة مثل السافاك الإيرانى أو الجيســتابو الألمانى وبدأ فى محاولة تصنيف المصريين أمنيا.

ومن اللافت للنظر فى تلك الفترة هو صعود نجم الســيدة ســوزان مبارك فى المجالات الإجتماعية والثقافية والإعلامية ولــم يعتــرض الشعب على ذلك فقد كان همها الأساسى حقــوق المــرأة والطفــل والقراءة والثقافة والمعلومات وهى أمور لا تشغل بــال المصــريين البسطاء الذين يعانون ويقاسون الويل فى الحصــول علــى القــوت اليومى وليس القراءة والمعلومات – علــى أهميتهــا – وأصــبحت مناصب مثل وزير الإعلام ووزير الثقافة ومحافظ القــاهرة وأمــين المجلس الأعلى للآثار وأحيانا الصحة والسكان لابد أن تدين بالولاء

أولا للسيدة الأولى قبل ولاءها للرئيس مبارك بالرغم من أن الرئيس مبارك نفسه هو من اختارهم، ولكنها لم تنجح ولا نعلم لماذا - أو قل هناك العديد من علامات الإستفهام حول ذلك - في محو أمية المصريين التى كانت من وجهة نظر الكثيرين أهم من الثقافة والقراءة فى تلك المرحلة حيث أنها تصل إلى ما يقرب من ٣٥% من عدد السكان . ويحكى عن تلك الفترة كما ذكر فى وسائل الإعلام أن السيدة سوزان مبارك أقنعت الرئيس مبارك بضرورة دخول نجل الرئيس جمال مبارك المعترك السياسي ليكون هو الرئيس القادم وقد اعتقد العاملون برئاسة الجمهورية هذا الاعتقاد مع عرض الكثير من التقارير على السيد جمال مبارك ليقول رأيه فيها أو حتى ليطلع عليها من باب العلم بالشئ أو التدريب، ولم يكن غالبا ليحضر الاجتماعات الرئاسية فى تلك الفترة ولكنه كان قد بدأ فى دور آخر له صبغة اقتصادية تمثلت فى مكاسب كبيرة وفرها له وزير قطاع الإعمال آنذاك الدكتور عاطف عبيد من خلال مخاطر إئتمان قروض مصر وعمولات رسمية بصفته مصرفيا تدخل فى ضمان تلك القروض ولم تنف الدول الأوربية ذلك لأنها تبيح ذلك للشركات العاملة فى المجالات الإقتصادية ما دامت بطريقة شرعية ولكنها كانت تعترض على الممارسات الإقتصادية للسيد حسين سالم المقرب من الرئيس مبارك وخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية التى تغاضت عن اتهامات ضده لقربه من السلطات المصرية آنذاك .

وفى شئون الرئاسة لمع بصورة كبيرة نجم الدكتور زكريا عزمى كرئيس لديوان رئيس الجمهورية بدرجة أكبر فأصبح وزيرا وبالتالى لا يكون له تجديد مع سن المعاش ولأول مرة يصبح هذا المنصب هو أحد المناصب الوزارية مثل مدير المخابرات العامة ولكن لا يكتب قبل منصبه كلمة وزير ويعتبر الدكتور زكريا عزمى من أذكى الشخصيات التى كانت تجمع بين حب الشعب لمعارضته الواضحة للحكومة والريبة منه لكونه رئيس الديوان ولكنه بذكائه الشديد جمع

كل خطوط اللعبة فكان صديق كل عائلة الرئيس مبارك والسيدة سوزان والسيد جمال والسيد علاء ومصدر ثقتهم جميعا وكان شخصية بارزة فى الحزب الوطنى آنذاك وعضو الحزب عن دائرة مجاورة لدائرة مصر الجديدة هى دائرة الزيتون وقد خدم أهل دائرته بكل صدق خلال تلك الفترة ولكنه أيضا هو من يعطى التقارير عن كل وزير فأصبح مهيبا من كل الوزراء يخافونه كأنه هو رئيس الوزراء أو نائب رئيس الوزراء وكما كان يقول المقربين منه فى حقل الرئاسة أنه مثل الثعبان أو الحية " لسعته والقبر" أى أن عدم رضاءه عن شخص تعنى إنهاء حياته السياسية " لبشرب الليمون "[12] أو يلبس " الجلباب الأبيض " كما كانوا يقولون فى حقل الرئاسة.

وإجمالا يمكن اعتبار تلك الفترة آخر فترة يعيش فيها المصريون قبل الدخول تحت خط الفقر حيث انتهت تلك الفترة والمصريون معظمهم على خط الفقر يعملون لفترات طويلة كى يهربوا من خط الفقر فحدث بناءً على هذا العمل بداية التفسخ الأسرى والجرائم الإجتماعية الناشئة عن بعد الأب عن الإسرة وظهرت جرائم القتل العنيف والذبح والتقطيع والقتل بالسم والخطف والاغتصاب وهى جرائم كانت غائبة عن المجتمع المصرى العادى كما انتشرت المخدرات غير العادية بصورة لم يسبق لها مثيل حيث اعتاد المصريون على "الحشيش والأفيون" ولكنهم فى تلك الفترة لمسوا كل أنواع المخدرات بصورة واضحة كانت تظهر على استحياء فى الفترات الرئاسية السابقة . أما تلك الفترة من الناحية التكنولوجية فقد بدأت مصر فى فقد مكانتها العلمية على المستوى العالمى وأصبحت الدراسة العلمية من الصعوبة بمكان حتى أصبح من يدخلون القسم الأدبى والكليات النظرية يفوق بكثير طلاب الكليات العملية وبدأ الفساد يستشرى فى مراكز البحوث والكليات بحيث تكاثرت سرقة الأبحاث، بل أن بعض

---

[12] ينتشر تعبير " شرب الليمون " فى نطاق الجيش حيث يحكى من باب التندر عن استدعاء رئيس الأركان أو رئيس شئون الضباط لمن يحال للتقاعد من الرتب الكبيرة لمكتبه ويطلب له الليمون المثلج قبل إعلامه بنبأ إحالته للتقاعد فيرتدى بعدها " الجلباب الأبيض" بعد تأديته العمرة كناية ايضا عن الحالة للتقاعد .

الأساتذة كانوا يفرضون على طلابهم العمل لهم لعدة سنوات قبل الحصول على الماجستير أو الدكتوراة وبالتالي لـم تواكـب مصـر النهضة التكنولوجية العالمية التى أعد لها الرئيس الأمريكي السـابق بيل كلينتون من خلال نشر الانترنت والبث الفضائي والتحدث عبـر الموبايل أو الجوال ولم تحصل جامعاتها على ترتيب هام عالميا.

الفترة الرابعة : نظرية الولاء التام :

من عام ١٩٩٩ م إلى عام ٢٠٠٥ م

كل المصريون عاصروا تلك الفترة التى بدأت بتحول أفكار الرئاسة لتعتمد إجراءات جديدة لاختيار المرشحين لأى منصب بدايـة مـن الوزير للغفير معتمدة على الولاء وليس على الكفاءة وقد لمسها كـل المصريين حيث تم حظر جميع الوظائف الحكومية وحظر الترقيات إلا اعتمادا على مدى القرب والولاء من الرئيس المباشر وامتد هـذا الأمر ليصل لحد التوريث فى كل الوظائف وكل المصالح الحكومية وتحولت كل مصلحة إلى ملكية أو "أبعدية" لمديرها أو رئيسها يفعـل بها كما يشاء طالما حافظ على الولاء لرؤسائه . وقد بدأت تلك الفترة فى مصر مع البيع المريب لشركات القطاع العام وقطـاع الأعمـال ليشتريها المستثمرون بأبخس الأثمان ثم يقومون بعـد فتـرة ببيـع أراضيها أو تطويرها لتصبح شركة كبيـرة حتـى أن العديـد مـن المصريين لمسوا قيام بعض مجالس إدارات الشركات بمحاولة دفـع الشركات للخسارة ليتم بيعها للمستثمرين بأرخص الأثمـان وشـاهد المصريون بأعينهم بيع مصانع مثل حديد الدخيلة وشركات الأسمنت وشركات صناعية كبرى وحتى الفنادق الشهيرة بأبخس الأثمان .

ولم يكتف البيع بالشركات فقط بل امتد ليشمل الأراضى الزراعيـة والصناعية بالتخصيص المباشر دون المرور بالقواعـد المتعـارف عليها فى كل دول العالم للوصول لأعلى سعر للبيع بل وبدأ التحايل على تحويل الأراضى الزراعية التى يتم تخصيصها بأقل من دولار واحد للمتر لتصبح أراضى سكنية فيما عرف فيما بعد بأنه " تسقيع

الأراضى والوحدات السكنية " وحملت تلك الأفكار لأصحابها ملايين الجنيهات وامتد بعضها إلى المليارات لتظهر طبقة جديدة من رجال الأعمال استفادت من قربها من السلطة فى الحصول على الأموال بطرق غير مشروعة وظهرت الملايين فى مرتبات وعمولات رؤساء البنوك ورؤساء الصحف القومية ورؤساء الهيئات وحتى الوزراء والمحافظين ورؤساء الأحياء ووصل الأمر إلى مرتبات ضخمة وعمولات لمديري مكاتب وسكرتارية الوزراء وأصحاب المناصب العليا، وبالطبع ترتب على ذلك نظرا لارتفاع سقف المكاسب أن تقوم تلك الفئة بالمحافظة عليها بمنع دخول دماء جديدة لتلك المنظومة لتستفيد منها ويجب المحافظة على مبدأ التوريث أو الولاء التام حتى لا يتم كشف المستور ، وأصبح المصريون كلهم يلمسون نظرية محجوب عبد الدايم فى فيلم القاهرة ٣٠ الذى سوف يتم ترقيته لأنه يعلم خبايا وخفايا رئيسه ويتستر عليها وبالفعل يتم ترقيته كلما ترقى رئيسه – ما أروع كاتب تلك القصة نجيب محفوظ – أى أن مصر عادت لفترة ما قبل ثورة ١٩٥٢ م من فساد الحاشية الذى امتد ليشمل معظم مصالح الدولة .

والأدهى من ذلك هو الاستعانة بمنظومة من محترفى " تفتيح المخ " لتتوه القضايا فى دهاليز القضاء إذا تم اكتشافها أو وردت فى تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات أو الرقابة الإدارية ، أو الاستعانة بالبلطجية للتخلص من المواقف الصعبة . إذن لقد وضعت مصر فى تلك الفترة على أول طريق الانهيار الكامل .

وأهم ما ساعد تلك الفترة على ظهور الفساد هو بزوغ نجم أمن الدولة بصفة خاصة والداخلية بصفة عامة لتتحكم فى كل المجالات والقضايا وتقوم بتحويلها إلى قضايا أمنية فلا يمكن تعيين مدير لأى مدرسة أو عميد لكلية أو مدير عام أو رئيس لأى مصلحة دون الرجوع إلى تقارير أمن الدولة وامتد الأمر ليشمل الأمن العام والأمن المركزى فقد اتسعت دائرتهم لتحيط بكل المصريين فقد

أحيطت جميع الجامعات بأرتال من عربات وجنود الأمن المركزى ترابط بصورة دائمة وأصبح مشاهدة تلك العربات بجوار الأقسام وفى الميادين العامة من الأمور المعتادة للعين المصرية وأصبح التقييد على المصريين فى كل النواحى الأمنية هو السمة السائدة وتم استبدال شعار " الشرطة فى خدمة الشعب " بشعار " الشرطة والشعب فى خدمة الوطن " وأصبح المصريون يتعجبون كيف يخدم الشعب الوطن لأنه بعد الشعب لا يوجد معنى لكلمة وطن، بيد أن حبيب العادلى وزير الداخلية كان يقصد الشرطة والشعب فى خدمة النظام الرئاسى لأن كلمة النظام والوطن ضاقت فى عهده لكى لا تنطبق إلا على الرئاسة فقط .

ولم يكتف حبيب العادلى بذلك بل حاول إجهاد المواطن العادى بإدخاله فى متاهات الأزمات المرورية والقوانين المقيدة للحريات وأصبح رجل الشرطة هو العصا الغليظة للنظام فهو المتكبر المتعالى وهو الذى يقوم بتحصيل غرامات المرور الفورية القانونية وغير القانونية وهو الذى يقوم بتحصيل رسوم استخراج جواز السفر أو بطاقة الهوية أو رخصة القيادة أو شهادة ميلاد وهى فى معظم دول العالم بدون رسوم بل الأدهى من ذلك أن يشاهد كل الشعب تجار المخدرات والبلطجية المعروفين لجميع ضباط المباحث وهم يتركون ليعيثوا فى الأرض فسادا ولا يطبق عليهم قانون الطوارئ . كل هذه الأمور تزايدت حدتها فى الفترة التى تولى فيها حبيب العادلى وزارة الداخلية منذ نهاية عام ١٩٩٨ وامتد الأمر ليصل إلى الانتخابات البرلمانية لتقوم عمليات التزوير على استحياء وفى الخفاء يتم استبدال الصناديق بصناديق المرشحين المطلوب نجاحهم وهكذا تحولت مصر فى تلك الفترة إلى دولة بوليسية حقيقية سمع كل العالم بما يجرى فيها وشاركها فى ذلك تونس وليبيا وسوريا والعراق بصورة واضحة وباقى البلاد العربية بصورة أقل وضوحا .

أما من ناحية الرئاسة فقد بدأ نجم السيد جمال مبارك في الوضوح وأصبح يضم حوله كل رجال الأعمال المستفيدين من السلطة وأصبح ذا كلمة مسموعة فى الحزب يتصرف وكأنه نائب رئيس الحزب الوطنى وبدأت صوره تظهر فى وسائل الإعلام المختلفة وكأنه التمهيد الرسمي لتوليه الرئاسة حيث خصصت له حراسات تفوق الوزراء وتقارب نائب رئيس الجمهورية وليس ابن الرئيس وأصبح يتحدث فى الحزب ومع الشباب ولكنه لم يكن يجيد التحدث ولا يملك "كاريزما" الحكام التي امتلكها والده لذلك كان لابد من تسويقه لدى الشعب فتكونت لجنة السياسات التى رأسها لتضع قوانين وسياسات الحزب الوطنى وقام بإعادة هيكلة الحزب الوطنى ليضم دماءً جديدة تدين له بالولاء التام فبدأ بزوغ نجوم جدد أو تلميع نجوم قدامى مثل أحمد عز ومحمد أبو العينين وإبراهيم كامل ورشيد محمد رشيد وأحمد نظيف وبطرس غالى وإبراهيم سليمان وعلى الدين هلال وإبراهيم نافع وسمير رجب وعبد الله كمال وأسامة سرايا وغيرهم واندثرت الوجوه القديمة تماما مثل المشير أبوغزالة الدكتور كمال الجنزورى والدكتور أحمد الجويلى وحسب الله الكفراوى ومنصور حسين ومحسن محمد ومن شابههم .

أما اللاعبين الكبار فى الفريق الرئاسى فاستمروا كما هم الدكتور زكريا عزمى والدكتور فتحى سرور والسيد صفوت الشريف والسيد كمال الشاذلى والدكتور مفيد شهاب والسيد حبيب العادلى والدكتور عاطف عبيد والدكتور يوسف والى بالإضافة إلى فريق الرئاسة من وزراء الخارجية والدفاع والمخابرات ومستشارى الرئيس .

أما من الناحية الاقتصادية فبالرغم من تنامى البورصة المصرية وحتى بداية النمو الاقتصادى فلم تصل إلى المواطن العادى أية إشارة تنبئ بالخير وذلك لعدم وجود عدالة اجتماعية ، بل وزادت على المافيات الخاصة بالسلع والأراضي مافيات جديدة خاصة بالقروض والبنوك تساعد رجال الأعمال على الاقتراض بضمانات

وهمية والهرب بالملايين خارج مصر ثم يجرى التصالح بما يضر بالبنوك واستفاد من تلك المافيا وذلك الفساد معظم رجال الأعمال الناشئين المحيطين بالرئاسة وبالسيد جمال مبارك فقد أعطيت قروضا كبيرة لرجال أعمال بدون ضمانات حقيقة واضحة وتم إحالة مسئولين متعددين للتحقيق ببنوك متعددة أشهرهم بنك القاهرة وبنك النيل وبنك مصر اكستريور ولكن لم ترجع تلك الملايين حيث أنها قد طارت وهاجرت كما هاجر أصحابها ، كما ظهرت مافيا جديدة تقترب جدا من الرئاسة تحتكر المنتجات البترولية من غاز طبيعى وغاز أنابيب ومنتجات بترولية بل وأصبحت تتم عليها أزمات مفتعلة فيتم تخزينها وبيعها بعد غلاء أسعارها وتطرق الأمر – بدون شواهد ثابتة وواضحة – إلى أقوال وشائعات قد تبدو أقرب للصدق من كثرة ترددها وعدم نفيها عن ظهور مافيا للثروات المعدنية مثل الذهب والمعادن ترتبط أيضا بأشخاص مقربين من الرئاسة بالتعاون مع أشخاص من وزارة البترول . كما حدثت فى تلك الفترة أول المصائب الكبرى فى عدد القتلى وهو حادث قطار الصعيد الذى احترق بمن فيه ليصل عدد القتلى إلى المئات ويؤدى إلى استقالة وزير النقل لإرضاء الشعب.

وإجمالا يمكن اعتبار تلك الفترة هى فترة الفساد الأولى من حكم الرئيس مبارك والتى مهدت لفترة الفساد الأعظم مع نهاية عام ٢٠٠٥ م .

الفترة الخامسة : فترة الانهيار :

من عام ٢٠٠٦ م إلى عام ٢٠١١ م

اقتنع كل المصريين وبدون أية شواهد بأنه لو انكشف كل الفساد فى تلك الفترة لتعدى التريليون جنيها مصريا (ألف مليار) فقد أصبحت كلمة مليون ومليونير فى تلك الفترة لا تدل على الغنى وأصبحت كلمة مليار وملياردير هى الكلمة المعتادة المعبرة عن الأغنياء وبحسبة بسيطة لو أن هناك ألفا منهم لأصبح معهم تريليون جنيه هذا

هو ملخص تلك الفترة . ونظرا لأهمية تلك الفترة فـي كونهـا الفترة التى تسبق الثورة فيينغى تسليط الضوء على كل جـزء مـن مكوناتها ودراسته بصورة مستفيضة حيث أن تلـك المرحلـة هـى مرحلة التمهيد لقيام ثورة ٢٥ يناير لأنها ضمت كل السلبيات التـى توجد قبل كل الثورات من فقر وقمع وفساد مع عدم وجـود عدالـة اجتماعية . وتتضمن تلك المرحلة البنود التالية :

أولا : انتخابات الرئاسة عام ٢٠٠٥ :

بدأت الفترة الأخيرة لحكم الرئيس مبارك بتمثيلية ديموقراطية متقنـة الشخوص والحبكة الفنية فى انتخابات الرئاسة نهايـة عـام ٢٠٠٥م حيث ألغى نظام الاستفتاء وأصبح رئيس الجمهورية بالانتخاب ولكن مع من سيتبارى الرئيس ؟ فلم يكن ليتواجد أحد مشهود له بالقيمـة حسب قوانين الترشح للرئاسة إلا السيد أيمن نور وكانت تحوم حوله وحول أجندته الشبهات حسب أقوال الحكومة ولم ير الشعب أشخاصا مثل عمرو موسى أو الجنزورى أو الجويلى أو أبوغزالة وجمـيعهم يقدرهم الشعب تقديرا كبيرا ولكنهم رأوا أشخاصا غيـر معـروفين بعضهم رؤساء أحزاب عدد أعضاؤها لم يصل إلـى عـدة آلاف ، وطبعا وحتى بدون تزوير سوف ينجح الرئيس مبـارك فـى تلـك الانتخابات وقد فهم الشعب الفكرة ، فالتزوير اليوم ليس بالصـناديق ولكن بالأشخاص المرشحين للرئاسة بحيث لا يكون هنـاك منـافس حقيقى للرئيس مبارك وبالتالى نجح الرئيس مبارك بالأغلبية المطلقة بنسبة تقارب ٨٨% بل وتم التخلص من كل من تحدث بصوت عال وتصور أنه فى انتخابات حقيقية فقد سجن أيمن نور الحـائز علـى أعلى الأصوات بعد الرئيس مبارك بنسبة حـوالى ٨% واسـتبعد نعمان جمعة الحاصل على نسبة حوالى ٣% من حزب الوفد .

وبالتالى أصبح الرئيس مبارك أول رئيس منتخـب بصـورة شـبه حقيقية منذ عصر محمد على وبداية مصر الحديثة وإن اختلف الناس

فى صحة طريقة الترشيح إلا أنهم اتفقوا بصورة ضمنية على صحة الانتخابات الرئاسية .

ثانيا : الانتخابات البرلمانية عامى ٢٠٠٥ م :

بالرغم من أن تلك الانتخابات تمت عام ٢٠٠٥ م فقد آثرت ضمها لفترة الرئاسة الأخيرة لأنها كانت بداية الانهيار لوصول تحالف المال والسلطة لمجلس الشعب.

فقد أقيمت انتخابات مجلس الشعب تحت الإشراف القضائى وكان من حسن الطالع أن تتم على ثلاثة مراحل خسر فيها الحزب الوطنى فى المرحلة الأولى العديد من المقاعد الهامة فانتبه رجال الحزب وقاموا بالتزوير الواضح في المرحلتين التاليتين حتى لا تحصل المعارضة على نسبة تتعدى الثلث من أعضاء مجلس الشعب وبالتالى يمكنها أن توقف تدفق القوانين وحدثت مشادات بين القضاء والشرطة نتيجة الإشراف القضائى وتمسك بعض القضاة برفض التزوير .

إلا أن أهم ما فى تلك الانتخابات هو ظهور قوتين جديدتين لم تكن تتضح معالمهما فيما سبق من انتخابات بالرغم من تواجدهما سابقا بالإضافة إلى سقوط قوة الأحزاب السياسية جميعها بما فيها قوة الجزء السياسى للحزب الوطنى الحاكم . وهاتان القوتان هما :

القوة الأولى : وهى القوة الأكبر وهي قوة رجال الأعمال التى غزت مجلس الشعب بعدة طرق القليل منها بالكفاءة والغالبية الأعم بالتزوير و بشراء الأصوات والتبرعات وقد لمس الشعب المصرى وصول قيمة الصوت فى بعض مناطق بالقاهرة إلى ٣٠٠ جنيه فى انتخابات الإعادة ، وانتشرت تلك القوة فى كل المحافظات وإن كانت بصورة أقل فى صعيد مصر وبذلك أصبح أكثر من نصف أعضاء مجلس الشعب من رجال الأعمال وليسوا من السياسيين وقد لوحظ قربهم جميعا من حاشية الرئاسة وخاصة حاشية السيد جمال مبارك فتكونت بذلك قوة جديدة هى قوة رجال أعمال السلطة التشريعية وسقطت بذلك القوة السياسية لكل الأحزاب .

القوة الثانية : القوة الأصغر وهى قوة الإخـوان المسـلمين[13] المعارضة بحصولهم على نسبة تقارب خمس الأعضاء المنتخبين فى مجلس الشعب وقد حاولت الحكومة والرئاسـة والحـزب الـوطنى استغلال ذلك فى ترويع الشعب ودول الغرب من وصول الإخـوان للسلطة حيث أنهم ذوى أيديولجيات دينية وسيقيمون دولـة إسـلامية تشبه إيران وبالتالى يجب التضييق عليهم فى كل المجالات فطـالتهم الاعتقالات وصودرت أموالهم وحوصروا فـى أعمـالهم بطريقـة تصورهم على أنهم هم الإرهابيون بعينهم ولم يكن ليجرؤ أى كاتـب فى صحيفة أو معلق تليفزيوني على لفظ كلمة الإخـوان المسـلمين واستبدلت بكلمة الجماعة المحظورة ، ولكن الشعب الـواعى كـان الأذكى فقد انتخبهم وأعلى قدرهم ليس حبا فيهم كما يتصورون بـل نكاية فى الحزب الوطنى ولكن الحزب الوطنى لم يفهم أو لم يحاول فهم ذلك . وكان الصراع فى مجلس الشعب منذ عام ٢٠٠٦م إلـى نهاية عام ٢٠١٠م هو صراع غير متكافئ بين هاتين القـوتين دون وجود فعلى لكل الأحزاب بما فيها الشق السياسى الحزب الوطنى.

وقد نتج عن مجلس الشعب السابق تمريـر التعـديلات الدسـتورية الخاصة بالرئاسة والمقيدة لترشيح أى شخص لمنصب الرئاسة عـدا من سيختاره الحزب الوطنى كما تم تمرير كل القوانين والقـرارات التى تخدم رجال الأعمال وتم تقسيم وتوزيـع أراضـى وممتلكـات الدولة وحماية التوكيلات التجارية والاحتكارات وتوزيع الشـركات الخاسرة ليشتريها رجال الأعمال بل والمتاجرة فى قرارات العـلاج على نفقة الدولة وزيادة الأعباء على كاهل المواطن العادى بزيـادة فواتير الكهرباء والغـاز والاتصـالات والنظافـة وزيـادة سـعر المحروقـات كـالبنزين والغـاز والسـولار وزيـادة الضـرائب والاقتطاعات والرسوم القانونية ، كل ذلك كان يتم مع التعتيم الكامل على تقارير الجهاز المركزى للمحاسبات وجهاز الرقابـة الإداريـة

---

[13] انظر الملحق رقم ١ الخاص بجماعة الاخوان المسلمين لمعرفة افكارهم وتوجهاتهم .

ودفنها فى غياهب مجلس الشعب حيث أن المجلس دائما سيد قراره سواءً بالإحياء أو الدفن ولا وجود لقوانين حماية المستهلك .

ثالثا : حكومة الدكتور احمد نظيف الثانية نهاية عام ٢٠٠٥ م :

حين تولى الدكتور أحمد نظيف رئاسة الوزراء فى منتصف عام ٢٠٠٤ م استبشر العاملون فى مجال المعلومات خيرا بوصوله لكرسي رئاسة الوزارة بعد أن كان وزيرا للاتصالات ولكنهم فوجئوا بدخول بعض الوزراء من رجال الأعمال مما أوحى لكل الشعب أن الدكتور أحمد نظيف ليس رئيس الوزراء بل منسق الوزارات أو مدير الوزارات أما الرئيس الحقيقي فهو السيد جمال مبارك لأن كل رجال الأعمال الموجودين فى الوزارة بينهم إما قرابة أو صداقة وجمعهم الولاء التام للسيد جمال مبارك وبالتالى وقعت مصر ومواردها فى أيدى مجموعة من الوزراء من رجال الأعمال .

وقد كان فى الوزارة الأولى عام ٢٠٠٤ م بعض الوزراء من الوجوه القديمة وكأنها وزارة انتقالية قبل الانتخابات التالية عام ٢٠٠٥ م وهناك غير الفاعلين من التكنوقراط المتخصصين فى مجالهم مثل وزير التعليم الدكتور محمد جمال الدين والدكتور عزت سلامة وزير التعليم العالى والدكتور عصام شرف وزير النقل ولم يمكثوا فى الوزارة طويلا . أما الوزراء التكنوقراط مثل الوزير الدكتور طارق كامل وزير الاتصالات الذى كان يحلم حينما كان بمركز معلومات مجلس الوزراء بمجانية الاتصالات والانترنت فقد تحول فجأة إلى محصل بعصا غليظة لكل الاتصالات والانترنت بمصر وأصبح شغل وزارته الشاغل كيفية تحقيق أكبر ربح ممكن بغض النظر عن أعباء المواطن وكذلك وزير الصحة الذى كان عديم الوجود إلا أثناء الوعكة الصحية التى أصابت الرئيس وانتقل للعلاج منها إلى ألمانيا فأصبح الوزير هو المتحدث الصحى باسم الرئيس. أى يمكن القول بأن الوزراء من غير رجال الأعمال تحولوا إلى خدمة الرئاسة وليس خدمة المواطن فانضموا لقائمة رجال

الأعمال ومن لم يرض منهم فقد أقيل فى التعديل التالى نهاية عام ٢٠٠٥ م .

وفى التعديل الذى تم بعد انتخابات مجلس الشعب فى نهاية ديسمبر عام ٢٠٠٥ م تم إضافة وزراء جدد من رجال الأعمال وهم الدكتور حاتم الجبلي للصحة وعلي مصيلحي وزيرا للتضامن الاجتماعي والدكتور هاني هلال للتعليم العالي والسيد أمين أباظة للزراعة والسيد زهير جرانة للسياحة والسيد محمد منصور للنقل كما انتقل السيد أحمد المغربى للإسكان والسيد أنس الفقى للإعلام وبقى المهندس رشيد للتجارة . وبالطبع ستجد مافيا رجال الأعمال قد اتضحت فى تلك الوزارة فقد أصبحت تضم أكثر من نصفها من رجال الأعمال أو ممن لهم شركات أو يساهمون فى شركات تجارية خاصة حتى وزير الصحة كان مساهما رئيسيا ومديرا لأكبر مستشفى خاص علما بأن أيا منهم لم تتوقف أعماله الخاصة أثناء توليه الوزارة وهو ما دفع جموع الشعب إلى القول بأن حكومة رجال الأعمال بدأت فى تقسيم مصر بالتعاون مع رجال أعمال مجلس الشعب، وبذلك اتحدت سلطة المال المتمثلة فى رجال أعمال السلطة التشريعية (رجال أعمال مجلس الشعب) مع رجال أعمال السلطة التنفيذية (رجال أعمال وزراء) وساندتهم رجالات أمن الدولة المصرية والقيادات الشرطية المختلفة وأصبحت المعادلة الاقتصادية هى "رجال أعمال+رجال أعمال= فساد فى كل مجال" .

رابعا : الفساد السياسى والاقتصادى والادارى:

اتسمت فترة الرئاسة الأخيرة للرئيس مبارك بوصول الفساد السياسى والإقتصادى والإدارى إلى قمته وتأخرت مصر فى الترتيب حسب قائمة الشفافية الدولية وارتفعت درجتها فى الفساد على مستوى العالم حيث استشرى الفساد فى كل قطاعات الدولة وعلى كل المستويات حتى أنه قلما تجد قطاعاً فى الدولة لا توجد فيه رشوة أو فساد مالي وإداري وقد لمس كل المصريين على اختلاف طوائفهم ذلك الفساد

فانخرط معظم المصريين فيه سواءً برضاهم أو بغير رضاهم ولم ينج من ذلك إلا من اعتزل العمل السياسي والتفت لدينه أو من ضيق العمل الاقتصادي على نفسه بمشروعات بها عدد أقل من الأيدى العاملة وبالتالى قلة الاحتياج إلى المصالح من الدولة ، وأصبح الدخول والانتساب للحزب الوطنى ليس حبا فى السياسة بل تقربا من السلطة وذوى النفوذ أو الحصول على الحماية .

وقد اتضح الفساد السياسى والاقتصادى على المستوى الأعلى بدءاً من الوزراء وخاصة رجال الأعمال منهم حيث بيعت ووزعت أرضى الدولة على فئة قليلة من المستفيدين وبعضها بأوامر مباشرة واتسعت دائرة الأراضى شيئا فشيئا لتصل إلى ملايين الأمتار المربعة وفى مختلف محافظات الجمهورية واستفاد منها أيضا أعضاء المجالس النيابية والشعبية والمحلية وتضخمت ثروات العاملين بالمحليات لتصل إلى أرقام خيالية تحتوى على سبعة أصفار فأكثر من الجنيهات وأصبحت الرشاوى بالملايين أو بالمشاركة فى بناء الأبراج والفيلات والقصور أو الأراضي الخاضعة لملكية الدولة وامتلأت ترعة المنصورية وترعة المريوطية وطريق الاسكندرية والاسماعيلية الصحراويين كما امتلأت من قبل مارينا والغردقة بالفيلات والقصور، بل وأصبحت هناك مناطق معينة تتجاوز فيها بعض الفيلات والقصور عشرات الملايين من الدولارات وليس الجنيهات وأصبحت بعض المنتجعات فى البحر الأحمر لا تختص إلا بالمليونيرات وأحيانا بالمليارديرات ولا يستطيع الرجل العادى دخولها أو الاقتراب من سورها بل أن بعضها به مهابط للطائرات الخاصة أو بالقرب من مطارات تسمح بهبوط الطائرات الخاصة .

والأغرب من ذلك ظهور " بيزنيس" من أنواع جديدة مثل العلاج على نفقة الدولة فى الداخل والخارج بمليارات الجنيهات سنويا وكذلك ظهرت شركات من أنواع جديدة تحت المسميات القديمة فهناك شركات للأدوية تستورد المنشطات الجنسية وغيرها التى يقوم

بتهريبها رجال الأعمال وهناك شركات للسمسرة فى التعيينات الحكومية وغير الحكومية تحت مسميات الموارد البشرية وشركات لتحصيل الديون بالبلطجة تحت مسميات مكاتب الاستشارات القانونية أما شركات التسويق العقارى وتقسيم الأراضى وشركات السياحة والعمرة والحج والتايم شير والمضاربة فى الأوراق المالية فحدث عنها بلا حرج فقد تكاثرت إلى درجة أخطبوطية مخيفة وأصبحت كلمة "جروب" تطلق على الشركات المتنوعة والمتداخلة الأغراض.
وعلى مستوى شركات رجال الأعمال فقد كانت المنافسة شديدة فيما بينها للفوز باحتكار سلعة ما فتغولت كل شركات ومستوردى كل صنف معين فأصبحت مافيات مثل مافيا اللحوم من القوة بحيث تحتكر – ليس اللحوم فى داخل مصر – بل قبل دخولها مصر فى البلاد المصدرة لها فلحوم البرازيل لها مستوردها ولحوم الهند لها آخر ولحوم استراليا لها ثالث ولحوم أثيوبيا لها من يغرقها فى البحر ولحوم السودان لها من يصيبها بأفتك الأمراض حتى لا تصل ، وما يقاس على اللحوم يقاس على كل السلع وقد شاهدنا كلنا أحد كبار مافيا الحديد حاول الدخول إلى دهاليز مافيا القمح فما كان منه إلا أن قضى فترة فى السجن خرج بعدها " يدعو " على من دله على طريق القمح ، وبذلك أصبح لكل سلعة رجل أعمال يسمى الحوت .
أما على مستوى الطبقة المتوسطة فقد أصبحت هى وقود الفساد فانقلب حالهم ليصبحوا مع طبقة الفقراء بما يرزحون من أعباء اقتصادية جديدة تبدأ من الرسوم الشهرية للكهرباء والغاز والمياه والنظافة والتليفون والعلاج ثم رسوم الدروس الخصوصية الناتجة عن صعوبة المناهج الدراسية ثم أعباء السيارات من ارتفاع أسعار المحروقات وزيادة رسوم المرور والضريبة وبالتالى بدأت تلك الطبقة فى التآكل والانقراض لتنضم إلى الطبقة الفقيرة فتحولت مصر إلى طبقتين فقط طبقة عليا فى حدود ٥% من السكان تملك

كل شئ وتستحوذ على ٨٠% من الدخل القومى المصرى[١٤] وطبقة دنيا من محدودى الدخل فى حدود ٧٥% من السكان لا تملك الكثير ولكن تكدح وراء لقمة العيش بصورة يومية وبدخل متوسط يكاد يقيم الحياة غير السليمة – أقل من ثلاثة دولارات يوميا للفرد[١٥] – وتملك فى حدود ٢٠% من الدخل القومى وبالتالى انضم معظم المصريين لتلك الطبقة أما باقى السكان وهم فى حدود ٢٠% فهم لا ينتمون للطبقات أصلا لأنهم ميتون واقعيا فى غياهب العشوائيات والقرى والنجوع على مستوى الجمهورية ولا يمكن بأى حال ضمهم لطبقة الفقراء لأنهم معدومو الدخل يقضون معظم يومهم فى طابور الخبز أو فى التسول بأى صورة ويفرحون بقدوم شهر رمضان والدخول فى موائد الرحمن المجانية وينتظرون من بائعى الدجاج الحصول على هياكل الدجاج العظمية أو من الجزارين الحصول على العظم لكى يتم طبخه ويذهبون لسوق الخضار فى نهاية اليوم للحصول على الخضروات المجانية الملقاة على الأرض ، وليس هذا الكلام من باب التندر أو الكلام فى الهواء ولكنه حقيقي شاهده كل من عاش فى كل المناطق الشعبية فى القاهرة والجيزة والقليوبية والإسكندرية ومعظم المحافظات المصرية فلأول مرة فى مصر خلال الخمس سنوات السابقة تباع أو تعطى مجانا للفقراء هياكل ورؤوس الدجاج بعد أن كانت تعطى لمنتجى الأعلاف بأسعار شبه مجانية. وإذا أردت أن تتحدث عن الفساد السياسى والاقتصادي والإداري فى مصر فسوف تكتب من المجلدات ما يملأ ميدان التحرير بدلا من المتظاهرين ، لذلك سنكتفى بهذا القدر .

---

[14] أشارت تقارير التنمية البشرية للأمم المتحدة وتقارير البنك الدولى للأعوام من ٢٠٠٥ إلى ٢٠٠٨ إلى أن ٢٠% من المصريين يملكون ٨٠% من الدخل القومى وبالتالى يوجد ٨٠% من المصريين يملكون ٢٠% من الدخل القومى مما يعنى قلة العدالة الاجتماعية واستشراء الفساد . ولكن الوضع تغير عامى ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ ليقل الرقم عن ٢٠% ..

[15] فى حالة حساب دخل الأسرة المكونة من اربعة أفراد فهو فى حدود ١٢ دولار يوميا أى ٦٨ جنيها يوميا أى حوالى ٢٠٠٠ جنيها شهريا وهذا هو خط محدودى الدخل العالمى الذى يستوجب منحة حكومية وبالتالى يوجد ٧٥% من السكان من هم دخلهم يساوى أو يقل عن هذا الدخل الشهرى.

خامسا : الفساد الأمنى:

مررنا سابقا على مظاهر الفساد الإداري والاقتصادي والسياسى فى الدولة لكننا خصصنا هذا البند للفساد الأمنى لأنه كان أحد الأسباب الهامة لقيام ثورة ٢٥ يناير. وإذا نظرنا للناحية التاريخية لهذا الفساد سنجد أنه كان متواجدا قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو فى صورة البوليس السياسى ثم تطور مع ثورة ١٩٥٢م ليكون القمع من خلال تنفيذه لقرارات المخابرات مع نهاية الستينات إلا أنه تغير تماما مع وصول اللواء النبوى إسماعيل كوزير للداخلية وقيام انتفاضة ١٨ و ١٩ يناير عان ١٩٧٧ م . حيث كان من الدروس المستفادة من تلك الانتفاضة هو الحاجة إلى زيادة أعداد قوات الشرطة لتقوم بدور جديد يتعدى مفهوم الدفاع المدنى القديم وساعده فى ذلك أمران الأول هو موافقة الرئيس السادات على قمع كل معارضيه فى نهاية حكمه عام ١٩٨٠ م والثانى هو استيعاب الشباب من غير المتعلمين الذين سيرفضهم التجنيد فى القوات المسلحة بعد تحديد عدد القوات حسب معاهدة السلام وتفضيل القوات المسلحة للمتعلمين الحاصلين على الشهادة الإعدادية على الأقل ، وبالفعل بدأ مفهوم التوسع فى استيعاب قوات للأمن المركزى من المجندين يعملون فى كل المجالات الشرطية من أمن عام وحراسات للمنشآت إلى تنظيم المرور بالإضافة إلى فض المنازعات والمظاهرات ونظرا لتزايد عدد المجندين فقد استحدثت وظيفة جديدة هى أمين الشرطة وتم زيادة عدد المتطوعين المطلوبين وكذلك زاد عدد ضباط الشرطة الذين يقومون بالإشراف على هذه الأعداد الكبيرة . وبعد اغتيال الرئيس السادات ووصول الرئيس مبارك للحكم وفى ظل هذه الأعداد الكبيرة المتنامية من الجنود والأمناء والضباط والصف ضباط على مر السنين بدأ الوزراء التالين للنبوى إسماعيل فى توظيفها فى مجالات أخرى اتسعت مع اشتداد قوة الجماعات الإسلامية المتشددة ومع تغلغل الشرطة فى قطاعات مثل التعليم الجامعى والحراسات

الخاصة للشركات والبنوك الحكومية والخاصة وهنا بدأت هيبة الشرطة وذراعها القوى فى الظهور بقوة فى كل مكان .
وبعد انتشار تجارة المخدرات بصورة غير مسبوقة فى منتصف الثمانينات وظهور حالة التمرد عام ١٩٨٦ م فى معسكرات الأمن المركزى والتى أدت إلى القضاء على آخر وزير للداخلية يتسم بالتواضع وهو اللواء أحمد رشدى تغير مفهوم مصر الأمنى ليشتد عود فرع من فروع الأمن فى مصر وهو أمن الدولة وأصبح من يتولى هذا الجهاز بمثابة رئيس أركان وزارة الداخلية أو من يلى مدير المخابرات العامة والعسكرية فى الأهمية وأخذ الجهاز يرصد كل الحركات فى مصر من إرهاب إلى مخدرات إلى جامعات إلى اقتصاد إلى سياسة وأصبحت تقاريره تمتد لتشمل كل المجالات وأصبح له عيون فى كل مكان فى مصر وأصبح راصدا لكل التحركات الإسلامية العادية منها والإرهابية فى كل محافظات مصر وأصبح له عين حاضرة فى كل مسجد وكنيسة وكلية وجامعة بل وحتى المدن الجامعية وتجمعات الطلبة خارج الجامعة ووصل كذلك إلى المصانع والشركات الكبرى كما فى مصانع المحلة أو مصانع حلوان وتغلب عليه الهاجس الدينى والسياسى أكثر من الهاجس الأمنى البحت المتمثل فى الأمن الداخلى للدولة لذلك قام بنجاح فى وأد معظم العمليات الإرهابية ولكنه ترك الكثير من مهربى المخدرات ليفترسوا الشعب فى الفترة الثانية والثالثة لفترة حكم الرئيس مبارك وليس ذلك عن موالسة بل عن عدم اهتمام بهذا الجانب وتركه لإدارات أخرى خاصة بالمخدرات والمباحث العامة وظهر ذلك بوضوح بعد نجاة الرئيس من محاولة اغتياله عام ١٩٩٥ م حيث تحولت كل قضايا مصر إلى قضايا أمنية.
أما العلامة الفارقة فى تغيير المفهوم الأمنى الجديد فى مصر فهو حادث الأقصر عام ١٩٩٨ م حيث تم عزل اللواء الألفى واستبداله برئيس مباحث أمن الدولة آنذاك والذى تنبأ بالحادثة قبل وقوعها وهو

اللواء حبيب العادلى ، ومع وصول العادلى لكرسى الوزارة طغى مفهوم أمن الدولة على مفهوم الشرطة العادية وزاد تغلغل الشرطة فى كل مكان فى مصر وأصبح جهاز الأمن العام وأمن الدولة هو من لديه كل التقارير عن كل المصريين توضع تحت يد من يطلبها من أولى الأمر بإذن الرئاسة . ومع هذا التغلغل أصيب رجال وضباط الشرطة بالكبرياء والتعالى على عامة الشعب فهم من يملكون كل خيوط اللعبة وهم من يقابلهم المواطن العادى بصورة غير عادية تزيد عن الاحتكاك الذى يقابله الرجل العادى مع الشرطة فى أى دولة فى العالم ، فرجل الشرطة يبدأ معك فى الصباح فى المرور وقد تضطر لدفع الغرامة المالية إن خالفت القواعد أو لم تخالفها وهو الذى تشاهده فى كمين فى كل الميادين وحول كل أبواب الجامعات وعند مدخل كل هيئة أو بنك حكومى أو غير حكومى ورجل الشرطة أيضا هو المصاحب لرجل التموين ورجل الصحة والطب البيطرى ورجل المصنفات الفنية ورجل التأمينات ورجل القوى العاملة فى كل حملاته التى يقوم بها والتى تنتهى عادة بدفع رشوة لكى يتم التغاضى عن المخالفات ويظن دافع الرشوة أن رجل الشرطة موالسا مع رجل الحملة المشار إليه سابقا وفى نفس الوقت يترك مروج المخدرات والبلطجى المعروف فى كل شارع ومنطقة يعيش طليقا تحت حماية غير معلنة من ضباط مباحث كل قسم .

كل هذه الصدامات التى يقابلها الشخص العادى يوميا مع الشرطة بالإضافة إلى الأكمنة التى تقوم بها الشرطة على الطرق السريعة وغير السريعة مما يؤدى إلى تعطيل المرور تجعل الرجل العادى يزيد من حنقه على رجل الشرطة . أما ما يحدث داخل قسم الشرطة فهو يفوق الوصف حتى أن الناس فى تلك الفترة كانوا يؤثرون ضياع حقوق هم على التوجه للقسم للابلاغ عن مخالفة أو ضرر لأنهم يعرفون مقدما أنه إن لم يكن لهم " واسطة " أو " معرفة " فى ذلك القسم فسوف يهانون أو تضيع حقوقهم بصورة مؤكدة ، وهنا

لم يعد يشعر المصرى بعد عام ١٩٩٩ م بأى أمان مع وجـود الشرطة التى هى مخصصة للأمان وأصبح البعـد عـن أى التقـاء بالشرطة هو قمة الأمان عند المصرى العادى ، وكلنا عاصر تلـك الفترة التى كان يتم إنزال من له لحية من كل وسـائل المواصـلات ويتم ضربه أمام العامة وأخذه فى سـيارة الشـرطة . ولـو أنـك عزيزى القارئ تصورت حال ذلك الرجل أو من هو أشد منه مـن السلفيين [١٦] بعد الثورة فماذا تظن أنه فاعل بنا جميعا ؟ أتـرك لـك الإجابة فهى ليست بحاجة إلى حكم تاريخى ، وإذا أردت أن أساعدك فى الإجابة -" أغششك " - فلسوف تشاهد بعد الثورة ولمدة طويلـة نتيجة لانتزاع الخوف من القلوب بعد الثورة ما لم تشاهده من قبـل فلسوف تهاجم أقسام الشرطة والسجون ويهاجم رجال الشرطة حتـى فى بيوتهم إن علم أماكن سكنهم ممن قاموا بالتعذيب وأيضا ستهاجم الكنائس ودور عبادة الأقليات وحتى المساجد التى بها قبور بالإضافة إلى محال البيرة والخمور تحت أى سبب وسيغتال العلمانيون بحجـة كفرهم وستضرب النساء المتبرجات فى الشارع ... كفى ... لنعـد إلى موضوع الفساد الأمنى أفضل لنا لأننا سنرجع لفترة السـبعينات التى حدث فيها ذلك بالتفصيل مع السلفيين منذ عام ١٩٧٢ م.

أما ما يحدث فى الانتخابات وعلاقتها بالفساد الأمنى فسوف نتحـدث عنه بالتفصيل فى البند التالى . ولكن كل تلك الأمور ولـدت عنـد رجل الشرطة الكبر والتعالى وولدت عند الرجـل العـادى الحنـق والغيظ المكبوت المكتوم لينتظر من يخرجه وقد أخرجته جمعـة ٢٨ يناير ٢٠١١م حيث هوجمت معظم أقسام الشرطة وتم حرقهـا كمـا هوجمت السجون وتم تهريب المعتقلين منها وتم حرق العديـد مـن مقار مباحث أمن الدولة بل وامتد الأمر ليصل إلى مديريات الأمـن فى العديد من المحافظات والأدهى هو محاولـة الوصـول لـوزارة الداخلية نفسها فى القاهرة ولم ينقذها سوى تدخل الجيش .

---

[16] انظر الملحق رقم ٢ الخاص بتعريف السلفيين والاقتراب من مفاهيمهم الدينية .

سادسا : الحركات و الاحتجاجات بعد عام ٢٠٠٥ م :

انتشرت الحركات والاحتجاجات التى لم يسمع عنها الرجل العادى وكانت تكتب عنها بعض صحف المعارضة وبعض مواقع الانترنت منذ عام ٢٠٠٥ م فقد ظهرت حركة كفاية التى تطالب الرئيس بالرحيل وتضافر معها بعض الأحزاب مثل حزب الغد والحزب الناصرى والجبهة الوطنية وحزب الكرامة وشباب الأخوان المسلمين وبعض الناشطين السياسيين ثم ظهرت حركة ٦ ابريل ٢٠٠٨ م التى بدأت بعد انتفاضة المحلة الكبرى والإضراب العام الذى شارك فيه كل المثقفين المصريين والأحزاب المصرية للتعبير عن رفضهم للحكومة والممارسات الأمنية الزائدة ، وتعتبر تلك الحركة يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م هو أول يوم حراك جماعى عبر الانترنت أو الواقع الافتراضى اشترك فيه كل فئات المثقفين والأحزاب وشباب الإخوان لتجربة التعبير الجماعى ونقله من الواقع الافتراضى عبر الانترنت إلى الواقع العملى الحقيقى ، وقد حاولوا تكرار ذلك فى كل يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٩ م و٢٠١٠ م بنجاح أقل مما حدث فى عام ٢٠٠٨ م ولكن تلك التجربة كانت التجربة التمهيدية لما سيحدث فى الثورة من انتقال من واقع تخيلى يختفى وراء شاشات الكمبيوتر إلى واقع حقيقى فى الشارع [١٧]، كما انضم لهم أستاذة الجامعات الذين أسسوا حركة ٩ مارس ، ولكنهم وللأسف فى كل مرة لا يلاقون من الأمن إلا كل عنف كما حدث فى الاسكندرية والقاهرة والمحلة يوم ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م فقد تم القبض على العديد ممن نظموا تلك الحركات وأظهر الأمن العصا الغليظة التى تمثلت فى الضرب وحتى التحرش بالنساء والبنات المشتركات فى التظاهرة على يد من يرتدون الملابس المدنية من رجال الشرطة حتى لا يعودوا مرة

---

[17] هناك شائعات تتردد منذ عام ٢٠٠٨ م عن تدريب بعض قادة تلك الحركة بالولايات المتحدة وهو ما نفته الحركة وكانت تؤكده دائما مباحث أمن الدولة وهذا الأمر قد يكون غير حقيقى لأن الولايات المتحدة تحاول دائما التعرف على كل التحركات التى تتم فى البلاد المؤثرة مثل مصر وبالتالى فهى تدعو تلك الحركات لتعرف كل شئ عنهم فمن غير المنطقى أن تقوم الولايات المتحدة بعمل ما ضد حليفها الرئيسى الرئيس مبارك .

أخرى بحجة أن لهم أجندة خارجية حيث أن بعضهم قد سافر للخارج لحضور مؤتمرات للحريات فى عدة غربية وقد يحمل أجندات خارجية يريد تنفيذها فى مصر.
واستمرت تلك الاحتجاجات ولكنها زادت كثيرا عام ٢٠١٠ م وتحولت إلى اعتصامات من كل فئات الشعب من صحفيين لمحامين لأطباء لعمال مصانع وحتى لأناس عاديين ذوى مشاكل عائلية وكانت تلك الاعتصامات تتم أمام مجلس الشعب ودار القضاء العالى ودار الحكمة فى مناسبات متعددة وأيضا أظهر الأمن عصاه الغليظة للمعتصمين والمحتجين ولم تحاول الحكومة فهم مغزى تلك الاعتصامات التى خلع منفذوها ملابسهم الخارجية وبقوا بملابسهم الداخلية وظنت الحكومة انها مجرد مطالبات بزيادة الحد الأدنى للأجور ولكنها لم تدرك انها شذرات نار تحت الرماد تنتظر من يؤججها لتشتعل الثورة .

سابعا : حادث غرق العبارة عام ٢٠٠٦ م :

فى واحدة من أكبر الكوارث المصرية خلال العصر الحديث كانت حادثة غرق العبارة المصرية بعد اختفاءها يوم ٢ فبراير من عام ٢٠٠٦ م وعلى متنها أكثر من ألف وأربعمائة شخص غرق منهم أكثر من ألف شخص وتم العثور على مكان غرقها صباح اليوم التالى وانقاذ أكثر من مائة وثمانين شخصا من ركابها .
أما ما أحزن المصريون فهو الفساد الذى اتضحت معالمه فى قيام تلك السفينة بالتحميل الزائد للركاب والبضائع وحتى السولار بالإضافة إلى عدم وجود وسائل إنقاذ سليمة مصاحبة للسفينة بالرغم من أنها تم التصريح لها باستمرار العمل على الخط الملاحى البحرى بين ضبا السعودية والغردقة المصرية ، ولكن المصريون اكتشفوا بعد ذلك أن مالكها وهو صديق الدكتور زكريا عزمى وربما صديق من هو أعلى منه كانت تعطى له التصاريح الملاحية بدون تطبيق قواعد السلامة البحرية مما أدى إلى ارتفاع عدد الغرقى ليصل إلى

أكثر من ألف شخص بالرغم من عدم بعد المسافة التى تصل إلى حدود ٩٠ كيلومترا فقط يمكن بسهولة أن تقطعها سفن الانقاذ أو الطائرات فى أقل من ساعة إن علمت بغرق السفينة بسرعة ، ولكن لم تصل إشارة الاستغاثة ولا وسائل الانقاذ بالسرعة المطلوبة فتركت الجثث لأسماك القرش التى توحشت من الفتك بتلك الجثث وكأنها حين هاجمت شواطئ سيناء بعد ذلك بخمس سنوات عادت لتنتقم ممن تركوا لها الجثث .

ولم يقف أمر الفساد على غرق العبارة ولكنه امتد ليصل إلى اعتبار تلك الحادثة وهذا التقصير "جنحة وليس جناية" ثم امتد الفساد ليسمح بهروب مالك العبارة ورئيس مجلس إدارة الشركة الملاحية ممدوح إسماعيل إلى لندن فى تحد خطير وغريب لمشاعر الشعب المصرى الذى رأى أمام عينيه وسمع بأذنيه الدكتور زكريا عزمى وهو يدافع عنه مما كان له الأثر الكبير فى فقد شعبيته ، وهرب ممدوح إسماعيل وترك للشعب المصرى مرارة الكأس الذى تجرعه ليزيد الاحتقان خلال الفترة الأخيرة لحكم الرئيس مبارك .

ثامنا : عودة البرادعى :

مع نهاية عام ٢٠٠٩ م قام الدكتور محمد البرادعى بإلقاء أول حجر فى البحيرة السياسية المصرية الراكدة حيث أعلن نيته الترشح لانتخابات الرئاسة فى مصر عام ٢٠١١ م وقد أحدث هذا الحجر هزة كبيرة فى الحياة السياسية المصرية حيث وجده بعض المصريين " المخلص " القادم من مسلسل التوريث الذى يدار فى مصر وبالتالى أحس الحزب الوطنى بثقل تلك المهمة مع هذا الهبوط المفاجئ "بالبراشوت" على كرسى الرئاسة من حائز على جائزة نوبل فى السلام وحاصل على قلادة النيل والمدير السابق لوكالة الطاقة الذرية والمعروف فى كل العالم بمناوراته السياسية بين إيران ومن قبلها العراق وكوريا الشمالية من جانب والولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية من جانب آخر ، وهنا أدرك الحزب الوطنى أنه

ينبغى محاربته بكل الوسائل الشريفة وغير الشريفة وامتدت الحرب على صفحات كل الجرائد الحكومية واتسعت لتسفه من مكانته الدولية بل وتتهمه بحصوله على جنسيات أخرى ولكنه كان فى فترته الأولى يقف صلبا مقتنعا ومقنعا بأنه مصرى ومن أب مصرى كان نقيبا للمحامين أوائل الستينات من القرن العشرين وهمه الشاغل الآن هو تحرير مصر من براثن التخلف وأمله الكبير فى الشباب ويثق فى جموع الشعب المصرى لتقف وراءه ، والحقيقة أن جموع الشعب خذلت هذا الرجل فلم ييأس وأسس الجمعية الوطنية للتغيير التى ضمت مئات الألوف من المثقفين خلال عدة أشهر لدرجة أن دولة الكويت ألغت عقود بعض من ساندوا البرادعى وأعادتهم إلى مصر فى سابقة لم يكن لها مثيل فى العالم، ولكنه لم ييأس بل تحالف مع كل القوى السياسية ليستمر هذا الحراك ولكنه كان كثير السفر لإلقاء المحاضرات أو لقاء الجاليات المصرية فى الخارج مما أضر كثيرا بتحالفه ولكنه فى النهاية تحالف مع الإخوان المسلمين فتطورت الجمعية الوطنية للتغيير واجتذبت مليون مشترك على الانترنت وهو أكبر رقم تصل إليه مجموعة مصرية آنذاك حيث تجاوزت مجموعة "كلنا خالد سعيد " مما ساهم بنسبة كبيرة فى قيام ثورة ٢٥ يناير . ولكن فى النهاية اضطرت الجهات المعادية له إلى توجيه ضربات له "تحت الحزام".تخص أسرته وابنته مما اضطره إلى السفر لفترات أطول حين أحس بأن الشعب المصرى يحتاج لشئ أكبر لتحريكه . وقد قابلت الدكتور البرادعى حين كنت معه يوم ٢٨ يناير ٢٠١١م فى مسجد الاستقامة بميدان الجيزة وسوف أتحدث عن ذلك لاحقا .

تاسعا : "كلنا خالد سعيد" المفجر الحقيقى للثورة :

فى ٦ يونيو ٢٠١٠ م قتل خالد محمد سعيد صبحى [18] عن عمر يناهز ٢٨ عاما فى منطقة سيدى جابر بالإسكندرية وتختلف الآراء

[18] من فرط إيمانى بقضية خالد سعيد وضعت صورته مع غلاف ذلك الكتاب .

فى طريقة وسبب وفاته ولكن أقربها للصدق أن اثنين من المخبرين التابعين لقسم الشرطة هجما عليه فى مقهى انترنت وقاما باحتجازه وضربه مما أدى إلى إصابته إصابات بالغة وكل ذلك تم أمام أهل منطقته وقد حاول الاستنجاد بهم فلم يستطيعوا أن ينقذوه وأخذه المخبران وعادا به بعد عدة ساعات على وشك الموت ومنعوا الإسعاف من نقله حتى يموت ثم ألقوه فى مكانه ميتا عبرة لمن يقوم بالتشهير بالشرطة حيث ظنوا أنه وراء الفيديو المسرب على الانترنت عن قيام الشرطة بضبط كمية من المخدرات وتوزيع جزء كبير منها على الذين قاموا بضبطها من رجال الشرطة و"تحريز" المتبقى من الشحنة على أنها هى الكمية التى وجدت ، وعند قراءتى لتلك القصة بعد أيام من حدوثها تأثرت بها وتابعت .القضية التى ظن كل المتابعين لها معى أن الطب الشرعى قد جانبه الصواب فى تقريره عن ابتلاع خالد لفافة بانجو وهى التى أدت إلى اختناقه ثم محاولة الضغط على من شاهدوه لكى يغيروا أقوالهم وبالتالى حفظت القضية ، ولكن المظاهرات والاحتجاجات قامت من كل الطوائف أمام تلك القصة حيث اعتبرت كل الحركات السياسية أن خالد سعيد هو شهيد قانون الطوارئ واضطر النائب العام إلى إعادة التحقيق مرة أخرى وتم القبض على المخبرين ولكن لم يثبت عليهما أى دليل على قتله وتم تأجيل القضية عدة مرات حتى قامت الثورة .

أما تلك القصة فقد تأثر بها المصريون واعتقد الكثيرون أنها المفجر الأساسى لثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م فهى تذكرنا بالقصص الشعبية والدينية وإنى أعتذر مقدما إن قارنتها من ناحية تقبل الناس لما بعد القتل لما حدث عند شهادة الإمام الحسين رضى الله عنه – وعذرا مرة أخرى فلا يمكن ان تتم المقارنة بين الإمام الحسين رضى الله عنه وخالد سعيد – ولكن بعد موت الإمام الحسين أحس أهله ومتبعوه فى العراق أنهم لم يناصروه فى حربه وتركوه وأثروا السلامة مما أدى إلى استشهاد الحسين فندموا أشد الندم بعد ذلك

وكانت تلك الحادثة من أسباب نشاة المذهب الشيعى ، وأظن ذلك ما حدث مع خالد سعيد حيث علم معظم أهل الإسكندرية بالقصة وأحس أهل منطقته أنهم لم يساندوه حينما استنجد بهم قبل أن يقتله المخبران حسب رواية من شاهدوه وبالتالى حدث احتقان زائد لدى أهل الإسكندرية وانتقلت مصر وكل القوى السياسية إلى منزل والدة خالد سعيد وتحول الشارع الذى تقيم فيه إلى شارع سياسى .

أما ما جعل تلك القضية هي العامل الأول فى تفجير الثورة فهى كونها نقلت بالفعل إلى كل شباب مصر بعدما قام مجموعة من الشباب برئاسة وائل غنيم -الناشط الشبابى ومدير التسويق بشركة جوجل الأمريكية آنذاك- بإنشاء أشهر جروب مصرى على موقع فيس بوك سموه باسم " كلنا خالد سعيد " أوضحوا فيه للشباب أنه يمكن أن يحدث لأى منكم ما حدث لخالد سعيد وينبغى أن يقف الشعب المصرى كله فى وجه الظلم والقهر الذى لاقاه خالد سعيد على يد الشرطة المتكبرة مما أدى إلى وفاته ظلما وعدوانا.

وأصبح خالد سعيد هو الشرارة الحقيقية لقيام الثورة حيث زاد عدد الزائرين لهذا الجروب على فيس بوك بطريقة تدعو للدهشة وضمت تلك الصفحة مئات الألوف من الشباب وأصبحت هى المتنفس السياسى الأول لشباب الثورة حيث كانت تدار الحوارات والمناقشات فى شتى القضايا لتدفع الشباب باتجاه الثورة مما جعل الجكومة تحجب موقع فيس بوك بعد قيام الثورة خوفا من التنسيق بينهم ولكنها لم تنجح ونجحت الثورة وانتصر خالد سعيد وظهر كاريكاتور على الانترنت به صورة خالد سعيد وقد كبرت قبضته لتحاول ضرب صورة الرئيس مبارك التى تحولت إلى قزم صغير يحاول اتقاء الضربة ... لكنه لم يستطع الصمود أمام تلك الضربة وانتصر المرحوم الشهيد خالد سعيد وبكت أمه وأبكت الحاضرين معها فى ميدان التحرير بعد قيام الثورة وتقبلت العزاء أخيرا فى اينها الشهيد

خالد سعيد أما وائل غنيم فقد اعتقل منذ قيام الثورة ولم يفرج عنه إلا بعد أن أدرك النظام بأن نهايته قد اقتربت .
وقد نعتقد حسب قوانين التاريخ أن هذا النجاح الذى حققته تلك المجموعة سيجعل وائل غنيم وتلك المجموعة هم المفجرون الحقيقون فعلا للثورة وقد ينصفهم التاريخ بعد عدة سنوات ليحول أولئك الشباب إلى ضباط أحرار إلكترونيين جدد ويحول وائل غنيم إلى جمال عبد الناصر إلكترونى جديد وهذا ممكن فى ظل رقمنة كل أوجه الحياة التى حولت كل الأجهزة اليدوية إلى أجهزة إلكترونية حتى الثورة تحولت من ثورة يدوية بأسلحة ودبابات عام ١٩٥٢ إلى ثورة ديجيتال عام ٢٠١١ م ... فلننتظر عدة أعوام إذن .

عاشرا : انتخابات مجلس الشعب عام ٢٠١٠ م

لم تكد تمر عدة أشهر على قضية خالد سعيد وعنف الشرطة معه حتى شاهد المصريون قمة الجبروت السياسي فى انتخابات التجديد النصفى لمجلس الشورى فى سبتمبر ٢٠١٠ م حيث تم التزوير الواضح ونجح أعضاء الحزب الوطنى بالرغم من عدم حضور المنتخبين حيث تم تقدير العدد الحقيقى للحضور بأقل من ٣%.
أما قمة المأساة فكانت مع انتخابات مجلس الشعب فى نهاية نوفمبر عام ٢٠١٠ م حيث أنه ولأول مرة يتم تسويد الصناديق فى دوائر المعارضة بطريقة فجة واضحة وكأن الصناديق ملئت قبل فتح اللجان وهو ما لم يعتد عليه المنتخبون حيث كانت تبدل الصناديق بعد الانتخاب ، وقد حدث لى بالفعل فى لجنة صلاح سالم بالجيزة أن توجهت للانتخاب فى الساعة الثانية عشر ظهرا فأخذ رئيس اللجنة يبحث عن اسمي لكى أقوم بالتوقيع فى كشوف المنتخبين وتصفح الكشوف وكنت بجانبه ولم أجد أحدا موقعا فى الكشف كله ووقعت بجوار اسمى وأخذت ورقة للانتخابات العادية وأخرى لدائرة المرأة لأملأهما وحينما ذهبت لأضعهما وجدت الصندوق شبه ملآن فحزنت حزنا شديدا ، وتركت اللجنة وأنا ساخط على تلك الحكومة

والشرطة وأحسست بأن كرامتى قد أهدرت وأظن أن ما حدث لى هو ما حدث لكل من ذهب لتلك الانتخابات فقد كانت كل الانتخابات السابقة تزور بعدة طرق ولكنها كانت تزور بطريقة غير مكشوفة أما وأن تزور عام ٢٠١٠ م بطريقة واضحة "عينى عينك" حسب تعبير المصريين فهذه هى الوقاحة السياسية بعينها .
وبالفعل حصل الحزب الوطنى على أكثر من ٩٥ % من الأعضاء ولم يترك للمعارضة إلا عدة مقاعد بالصدفة وتوقع كل العالم – وليس المصريون وحدهم – أن تتحول المعارضة إلى الشارع طالما انها لم تعد تتواجد بالمجالس النيابية وهو ما حدث بالفعل .
خلاصة القول قالها الكاتب جمال الغيطانى حيث وصف مصر خلال فترة مبارك الأخيرة بقوله فى الصحف بعد الثورة " أن هناك مجموعة شيطانية أو عصابة تغتصب وطنا كاملا " .

الفصل الثالث

تطورات الثورة
ما بين ٢٥ – ٢٩ يناير

مقدمة :

"واحد اثنين الشعب المصرى فين" "يا أهالينا انضموا لينا" [19] قالتها الجموع التى احتشدت فى الطريق من بولاق الدكرور متجهة إلى شارع جامعة الدول العربية بعد أن نجحت فى فك حاجز الطوق الأمنى على كوبرى ناهيا ببولاق الدكرور بالجيزة بعد ظهر يوم الثلاثاء الموافق ٢٥ يناير لتلتقى بمجموعات أخرى عند مسجد مصطفى محمود لتردد " حرية وعدالة اجتماعية " وهى متجهة صوب ميدان التحرير . وفى نفس الوقت كانت مجموعات أخرى تأتى من شارع القصر العينى ودار الحكمة وثالثة من دار القضاء العالى وشارع ٢٦ يوليو ورابعة من رمسيس وخامسة من شبرا وسادسة من ميدان عبد المنعم رياض وسابعة وثامنة وتاسعة لم تستطع الوصول لميدان التحرير من المطرية ودوران شبرا والعديد من مناطق القاهرة والاسكندرية والسويس والمحلة ودمياط والاسماعيلية وشمال سيناء ومعظم محافظات مصر .

وهنا أحست الشرطة المصرية التى أعلنت حالة الطوارئ يوم عيدها بأن الوضع خطير وليس مثلما يحدث فى كل مظاهرة سابقة لا يزيد العدد فيها عن خمسمائة متظاهر تفرقهم قنبلة واحدة مسيلة للدموع أو عدة أفراد شرطة يرتدون ملابس مدنية يقومون بالضرب ولكن الإعداد تتزايد بعد العصر لتصل إلى الآلاف فى كل تجمع للمظاهرات مما استدعى الأمر طلب تعزيزات فى كل الأماكن المحتملة للمظاهرات فى القاهرة والجيزة والاسكندرية والسويس والمحلة والمنصورة ودمياط والإسماعيلية وشمال سيناء وبدأت المناوشات والصدام بين الشرطة والشعب وسقط أول الشهداء فى السويس ثم الاسكندرية والجرحى فى كل المناطق السابقة بالمئات ... يا الله ... لقد بدات الثورة بالفعل أيها المصريون " تحيا مصر".

---

[19] انظر الملحق رقم (٣) الخاص بهتافات الثورة حتى تكون موثقة للأجيال التالية .

تجهيزات ما قبل الثورة :

كان للسقوط المدوى للرئيس التونسى بن على وهروبه يوم الجمعة ١٤ يناير ٢٠١١م إلى السعودية الأثر الكبير على كل الحركات المصرية المعارضة فقد أحس المصريون أنه من الممكن إزاحة نظامهم مثلما أزاحه التونسيون وبدأت تتوالى دعوات على المواقع الالكترونية ومنها موقع " كلنا خالد سعيد " وموقع جماعة ٦ ابريل[20] تتطالب بالتظاهر يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م وهو يوم عيد الشرطة ضد القهر والظلم وتتطالب بالحرية والعدالة الاجتماعية فاستجابت كل القوى الوطنية لتلك الدعوة وتم نشرها عبر الانترنت ثم عبر صحف المعارضة وخلال أسبوع علم معظم من يدخلون على الانترنت أو من يقرأون صحف المعارضة بموعد بداية التظاهر يوم ٢٥ يناير مع اعتذار معظم الأحزاب الكبرى عن المشاركة وخاصة حزب التجمع ، وهنا أحس النظام بالخطر فبدأت التجهيزات المضادة للتظاهر بداية من اللعب على الوتر الدينى فقد أعلنت الكنيسة بصورة رسمية رفضها للتظاهر ودعت إلى الاعتكاف فى هذا اليوم ودعت معظم المجموعات السلفية إلى عدم الخروج فى هذا اليوم كما أعلنت جماعة الاخوان عدم مشاركتها ولكنها تترك لأعضاءها حرية الخروج الشخصية وخاصة مجموعة شباب الإخوان ، ثم تطرق الأمر إلى زيادة التضييق على الجماهير فتم القبض على العديد من قادة تلك الحركات وتخويفهم ثم إطلاق سراحهم كما تم القبض على قيادات جماعة الإخوان المسلمين ولكن لم يتمْ الافراج عنهم ثم زادت اللجان المرورية التى تعطى الشعب الاحساس بهيبة الشرطة بل وتوقيف الشباب لسؤالهم عن بطاقات الهوية لإرهابهم وتخويفهم ولكن تجهيزات المظاهرة تسربت ولم تعد خافية على كل شباب

---

[20] جماعة ٦ ابريل هى الجماعة التى لا تظهر بها ميول سياسية محددة وتكونت على خلفية أحداث المحلة فى ابريل عام ٢٠٠٨ م وكانت هى الداعى لإضراب ٦ ابريل عام ٢٠٠٨ م والذى نجح بصورة مبدئية وهناك شكوك مثارة حول بعض أفراد تلك الجماعة وليس كلهم.

الفيسبوك الذين تجمعوا حول موقع " كلنا خالد سعيد " الذى ضم ما يقرب من ٤٠٠ الف مشترك قبل قيام الثورة بيوم واحد وبالطبع كلهم من الشباب الذى لو حدث ونزل ٢٠% منهم لكان العدد إذن ٨٠ ألفا وهو أقصى حلم يمكن الوصول إليه ممن قاموا بالتجهيز للثورة أو الذين يريدون المشاركة من الحركات المعارضة المشهورة وهم : جروب " كلنا خالد سعيد " وحركة شباب ٦ أبريل و حركة كفاية وحركة شباب الاخوان والجمعية الوطنية للتغيير (د.محمد البرادعى) وحركة شباب حزب الغد (جناح د. أيمن نور) وحزب الجبهة الوطنية وغيرها بالإضافة إلى العديد من المحامين والصحفيين والسياسيين والفنانين وشباب الثورة [٢١].

ولكن تنظيم الأماكن واللقاءات تم عن طريق استخدام الانترنت والمواقع الاجتماعية من خلال جروب كل من "كلنا خالد سعيد". أو " معا سنغير" أو " حنغير" أو " ٦ ابريل " وتم نشرها فى صحيفة الدستور الالكترونية بالتفصيل أو التنويه عنها فى المصرى اليوم أو اليوم السابع. وحسب موقع الدستور الأصلى على الانترنت كانت تلك المواقع التى ستتم فيها التظاهرات بعد الساعة ١٢ ظهرا هى:

القاهرة : دوران شبرا – دوران المطرية – وسط القاهرة

الجيزة : شارع جامعة الدول العربية – إمبابة – جامعة القاهرة

الاسكندرية : منطقة القائد إبراهيم الساعة الثالثة عصرا لتجميع مظاهرات الكورنيش الممتد عبر الاسكندرية كلها

---

[21] منهم أيمن نور وأسامة الغزالى حرب ومحمد أبوالغار وجميلة إسماعيل وحمدين صباحى ومصطفى بكرى وابراهيم عيسى ومحمد البلتاجى وعبد الرحمن يوسف غيرهم وكذلك المفكرين والفنانين منهم حمدى قنديل وبلال فضل وعلاء الأسوانى وعمرو واكد وعمروسلامة وخالد الصاوى وعبد العزيز مخيون ومن قيادات الشباب وائل غنيم ومصطفى النجار وأحمد ماهر وأسماء محفوظ ونوارة نجم وشريف منصور وإسراء عبد الفتاح ومحمد عادل وعبد الرحمن فارس واحمد دومة وانجى حمدى وأحمد بدوى وباسم سمير وزياد العليمى وإسلام لطفى ومحمد عباس وشادى الغزالى حرب وخالد سيد وخالد عبد الحميد وناصر عبد الحميد والعديد من شباب الإخوان وكذلك العشرات من الأسماء الأخرى التى سوف يتم توثيقها فيما بعد .

الاسماعيلية : شارع الثلاثيني و السكة الحديد بجوار الحمزاوى
الغربية : طنطا أمام مبنى المحافظة بشارع البحر
المحلة الكبرى : ميدان البندر وميدان الشون والشعبية والجمهورية
كفر الشيخ : بلطيم ميدان بورسعيد
قنا : ميدان بنزايون
السويس : ميدان الأربعين

ومن الغريب أن هؤلاء الشباب استعدوا جيدا بالطرق البديلة التى تعلموها من الشباب التونسي فقد جهزوا أنفسهم لقطع خدمات الانترنت وتويتر وفيس بوك باستخدام رسائل الموبايل وجهزوا أنفسهم بالدخول للمواقع الالكترونية عبر المواقع البديلة باستخدام مواقع " بروكسى " للالتفاف على المواقع المحجوبة أو حتى بالدخول إلى الانترنت من التليفون الأرضى بأرقام أجنبية وفرتها شركة جوجل ، كل تلك الطرق لم تكن جديدة عليهم فكلها جربها التونسيين من قبل ، بل أنهم نصحوا النازلين إلى التظاهرات بنصائح تختلف فى عددها فهناك النصائح العشر قبل المظاهرة بعدم التظاهر وحيدا أو أعداد قليلة وبحمل الأعلام وشراء الكمامات والمياه الغازية والخل والبصل للتغلب على الغازات المسيلة للدموع وكذلك ارتداء ملابس ضد المياه وتجهيز أكياس شفافة لارتداءها على العين وكرتون مقوى لاتقاء الضربات والطوب مع التأكيد الدائم على أن المظاهرات " سلمية سلمية سلمية ".

كل تلك التجهيزات تم تجهيزها قبل الثورة بعدة أيام تحسبا للقبض على مفجرى الثورة وهو ما حدث بالفعل فقد تم القبض على العديد من الناشطين الاسلاميين وحتى على وائل غنيم ليلة قيام الثورة .

يوم ٢٥ يناير وبداية الثورة :

ذهبت صباحا للتحرير لقضاء بعض الأعمال فقد اخترعت تلك الأعمال لتلمس الأمر فلم أكن مثل كل المصريين مؤمنا بخروج الشباب فى ذلك اليوم وحتى وإن خرجوا فلن يكونوا إلا عدة مئات

مثل كل مرة وقد استخدمت المترو فى الوصول إلى التحرير فوجدت الشرطة بأعداد هائلة ولم يكن قد حان بعد موعد التظاهرات فى الثانية عشر ظهرا ولكنى لاحظت وجود أعداد كبيرة من الشرطة السرية فى محطة مترو التحرير تستوقف الشباب بصفة خاصة إذا كانوا أكثر من واحد وتستجوبهم بطريقة فجة فأحسست عندئذ بالخطر وأدركت ان هذا اليوم لن يكون سهلا على تاريخ الشعب المصرى الذى بدأت بوادره من هذا الكم من رجال الأمن .
لقد أدرك المصريون مثلى وهم يتابعون قناة الجزيرة أن هذا اليوم ليس ككل الأيام السابقة وهنا اتجهت إلى شبكة الانترنت وموقع جريدة الدستور الأصلى واليوم السابع وبى بى سى والعربية والحرة لأعرف المزيد من المعلومات والتطورات عن تلك التظاهرات التى شاهدت الاستعدادات لها فى التحرير وقد أدركت بالفعل أننى أمام تظاهرة تقترب شيئا فشيئا من انتفاصة ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧م فقد بدأت أخبار التظاهرات تصل بعد الواحدة ظهرا لتصل إلى أماكن متعددة فى القاهرة كلها تحيط بميدان التحرير من كل الاتجاهات من اتجاه القصر العينى ودار الحكمة ومن اتجاه طلعت حرب وعند دار القضاء العالى ومن ميدان عبد المنعم رياض ومن طريق الكورنيش عند ماسبيرو وفوق كوبرى قصر النيل وبدأت الأعداد تزيد إلى مئات فى كل جانب ثم سمعت عن التحركات التى تتم فى بولاق الدكرور لتعبر كوبرى ناهية وتتجه إلى ميدان مصطفى محمود وجامعة الدول العربية وبدأت الأعداد تزيد إلى عدة آلاف فزاد الكردون الأمنى فى ميدان مصطفى محمود ولكنه تم اختراقه واجتمع المتظاهرون من عدة اتجاهات فى جامعة الدول العربية ليتجهوا جميعا إلى التحرير ويلتقون مع من خرجوا من بولاق ووصلوا إلى شارع ٢٦ يوليو ليمتلئ الشارع تماما مع قرب الثالثة عصرا . على الجانب الآخر تجمعت نفس الحشود جنوب التحرير من خلال شارع القصر العينى وعند دار الحكمة أخذت الجموع

تزيد وتم التصدى لها فتفرقت الجموع للشوارع الجانبيــة فــى جاردن سيتى وكلها تبغى الوصول للتحرير بعد إغلاق الشارع أمام الحركة تماما . أما عند دار القضاء العالى فقد تجمعت الصفوة مــن القيادات الحزبية والمحامين والصحفيين وبدأت الأعداد فى الزيــادة التدريجية، وفى رمسيس وميدان عبد المنعم رياض حدث مثل ذلــك وحتى فى العتبة والموسكى . لقد تحولت مناطق وســط البلــد فــى القاهرة إلى ثكنة عسكرية لمواجهة المتظــاهرين الــذين يزحفــون بالمئات من كل اتجاه ووصل الكثير منهم إلى ميدان التحريــر مــع صلاة العصر فقام المصلون بالصلاة ولكن الشرطة أطلقت خراطيم المياه عليهم مما جعل الأمور تسوء مع غضب المتظاهرين فيقومون بمقاومة خراطيم المياه بل والهجوم على السيارات المجهــزة التــى تطلق خراطيم المياه وقد نجحوا فى كسر خراطيمها .

وانتشرت المظاهرات بالمئات فى أحيــاء القــاهرة المتعــددة فــى المطرية وفى شبرا واستمرت لفترة طويلة وحتى الساعات الأولــى من صباح اليوم التالى .

أما ما حدث فى السويس والاسكندرية فكان أصعب من القاهرة حيث سقط أول قتيل فى مدينة السويس الباسلة وتلاه الثــانى ثــم الثالــث متأثرا بجراحه ومن هنا اعتبرت مدينة السويس هى المدينة المفجرة للثورة ، ومع كثرة عدد الجرحى من جراء إطلاق الرصاص الحى على المتظاهرين تزايد العدد فى السويس لتبــدأ مرحلــة الثــورة الحقيقية مع سقوط الجرحى ، وكذلك فى الاسكندرية التــى احتــوت خالد سعيد فقد بدأت المظاهرات فى العديد من مناطق الاســكندرية فى العصافرة والمنشية وباب شرقى ووصلت إلى محطــة الرمــل وسيدى جابر وانتهت عند مسجد القائــد ابــراهيم قــرب العصــر واستمرت المظاهرات فى العديد من المدن وانتشر الخبر فخرجــت محافظات ومدن المنصورة ودمياط والزرقا والاسماعيلية واستمرت إلى أول الليل .

وقد أحست الشرطة بالخطر فبدأت فى توزيع التعزيزات على المناطق التى تزيد فيها القلاقل واستخدمت القنابل المسيلة للدموع لتفريق المتظاهرين ثم استخدم الرصاص المطاطى مما أدى إلى زيادة عدد الجرحى والمصابين فى التحرير والسويس والاسكندرية ومن ثم تم أغلاق محطة مترو التحرير وتم حجب موقع تويتر لكى لا يتم التواصل . وأدركت حينذاك القيادة السياسية أن الأمر دخل مرحلة الخطورة فتم تعبئة الإعلام لكى يتم التعتيم على المظاهرات مما جعل إعلامى مثل محمود سعد يتم وقفه عن العمل لاعتراضه على طريقة تغطية المظاهرات، كما قام شباب مساندون للثورة باختراق موقع الحزب الوطنى لكى لا يبث أكاذيبه وتحول المشاهدون المهتمون من مشاهدة قنوات الإعلام الحكومى التى تنظر إلى المظاهرات على أنها مظاهرات طلبة داخل الجامعة إلى قنوات الجزيرة والعربية والبى بى سي والحرة التى تنقل بالصوت والصورة ما يحدث فى القاهرة والاسكندرية والسويس..

أما فى اليوم التالى فقد تحدثت جرائد المصرى اليوم والشروق واليوم السابع عن التظاهرات وتجاهلتها الصحف القومية وأظهرتها فى صورة احتجاجات بسيطة مما جعل الشعب المصرى يفقد الثقة فى الجرائد القومية كما فقد الثقة فى الإعلام المصرى بصفة عامة . واستمرت التظاهرات فى اليومين التاليين الأربعاء والخميس وخفت حدتها يوم الخميس للتحضير ليوم الغضب الأكبر وهو يوم الجمعة حيث تم توزيع أوراق من حركة ٦ أبريل فى كل الميادين تدعو ليوم الغضب كما نشرت صحف المعارضة والقتوات الفضائية خبر قيام جمعة الغضب المصرية يوم ٢٨ يناير .

يوم الغضب وبداية الثورة الحقيقية ٢٨ يناير ٢٠١١م:

" الشعب يريد إسقاط النظام " " يسقط يسقط حسنى مبارك " قالها المصلون عقب خروجهم من صلاة الجمعة بمسجد الاستقامة بميدان الجيزة كما قالوها فى أكثر من ثلاثين مكانا على مستوى الجمهورية

نشرت أسماؤها فى كل مواقع الانترنت بالإضـــافة إلـــى كـــل ميادين مصر فى كل المحافظات لتبدأ جمعة الغضـــب المصـــرية ، وكنت مشاركا فيها فى مسجد الاستقامة بميدان الجيزة وعند خروجنا من المسجد أطلقت القنابل المسيلة للدموع بكثافة شديدة ممـــا جعـــل الدكتور البرادعى ورفاقه وأصدقاءه يتحصنون بالمسجد أما الصحفى إبراهيم عبسى رئيس تحرير الدستور السابق فقد كان دائم الخـــروج لمحاولة الانضمام المتظاهرين ولكنه كان يعود عند إطلاق القنابـــل قرب باب المسجد فلم يستطع الخروج واستمر الأمر هكـــذا حتـــى صلاة العصر ما بين محاولات الخـــروج مـــن المســـجد وإطـــلاق الغازات المسيلة للدموع على أبواب المسجد وما حوله .

وبعد صلاة العصر اقتحم المسجد مئات الأشخاص من الباب الخلفى ظن من بالمسجد أنهم من الشرطة فوجدوهم من المتظاهرين الـــذين أتوا من منطقة الهرم وفيصل وشارع الربيع الجيزى والمنيب فاكتظ المسجد بالمتحصنيين وخرجت الجموع دفعة واحدة للخارج فأطلقت القنابل مرة أخرى ولكن فى تلك اللحظة شاهدت بعينى الشباب الذين جعلونى أغير أفكارى عن شباب مصر فهم يقاومون القنابل المسيلة للدموع بل ويقاومون خراطيم المياه ويقفون أمامها فاتحين صـــدورهم للماء الكبريتى ولا يهابون الموت ويشتبكون مع الجنود المحصـــنين ويستولون على عصيهم وخوذاتهم أسفل كـــوبرى الجيـــزة[٢٢] وفـــى خضم المواجهات استطاعت الجماهير الشبابية الآتية مـــن الجيـــزة الصعود إلى أعلى كوبرى الجيزة لتطرد الجنود المرابطين بـــأعلى الكوبرى إلى أسفل واحتل الشباب أعلى الكوبرى وبدأوا فـــى إلقـــاء الحجارة على الشرطة من أعلى فتطلق الشرطة عليهم قنابل الغـــاز فيأخذون القنابل ويعيدون إطلاقها على الشرطة من أعلى لتصل إلى أبعد مدى فاضطرت الشرطة إلى الابتعاد عن المسجد بمسافة مائـــة

---

[22] توجد صور تلك الموقعة على صفحة مجلة دير شبيجل الألمانية على الانترنت حيث كان المصور موجودا فى المسجد وكان يخرج كل فترة للتصوير ويعود للمسجد وقد استعنت ببعضها فى غلاف الكتاب .

متر إلى أول شارع الجامعة مما سمح بزيادة عدد المتظاهرين مع توقف إطلاق القنابل بكثافة وأصبحت القنبلة تطلق كل عشر ثوان مما جعل الشباب يعتقدون بأن الذخيرة قد نفذت من الشرطة نتيجة الضرب العشوائي الذى حدث بعد صلاة الجمعة لمدة ثلاث ساعات وهو ما حدث بالفعل فقد بدأت الشرطة فى الانسحاب أمام عشرات الألوف الذين شاهدتهم بنفسى وتحصن رجال الشرطة بالعربات المدرعة فهاجمها المتظاهرون فاضطروا للهرب إلى مسافة أبعد عند مدخل كوبرى الجيزة أما العربات التى وقفت فى الميدان فقد طالها المتظاهرون وأحرقوها إثر هروب الجنود والضباط من المتظاهرين وهتف المتظاهرون " الشعب يريد إسقاط النظام " وأيضا " قالوا علينا شعب جبان واحنا أهوه فى كل مكان " وأخيرا قالوا " ع التحرير ع التحرير " . وقد ساعدت السلطات على نشر الفوضى حتى يمكنها وقف الزحف الثورى فقامت بقطع كل وسائل الاتصال فتم قطع اتصالات الموبايل فى القاهرة الكبرى والاسكندرية والسويس وتم حجب الإنترنت من خلال شبكات الانترنت الكبرى وتم حجب حتى رسائل الموبايل . كل ما سبق حدث لى شخصيا يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ م والذى يعتبره الكثيرون أمثالى من الناس العاديين هو يوم الثورة الحقيقى حيث خرجت جموع المصريين بدون تخطيط وبدون ضغوط خارجية وبدون عمالة أمريكية فلم تعد الثورة ثورة الإخوان المسلمين ولاشباب ٦ ابريل ولا خالد سعيد ولا الغد ولا البرادعى ولا وائل غنيم ولا أي حزب من الأحزاب المعروفة لقد أصبحت الثورة ثورة الشعب المصرى من جميع طوائفه التى غالبيتها لم تكن لتنتمى إلى مجموعة سياسية من قبل ، لقد خرجت تلك الجموع الغفيرة – مثلى – فقط للتعبير عما قاسوه خلال فترة حكم الرئيس مبارك من قهر وذل وفساد فى كل مكان .

وما حدث لنا فى ميدان الجيزة حدث فى كل أماكن مصر وكل محافظاتها فقد استمرت المصادمات طـوال الليـل فـى التحريـر والسويس والاسكندرية وكل المحافظات واتجهت الجماهير صـوب صور الرئيس مبارك لتمزقها كما اتجهت إلى مقار الحزب الوطنى لتحاصرها وتحرقها وعاشت مصر ليلة ليس لها مثيل منذ قيام ثورة ١٩١٩ م حيث حدث انفلات أمني أكاد أوقن تماما أنه غير مقصود حيث شاهدت بنفسي صراعا استمر منذ العاشرة مساء إلى العاشرة صباحا فى اليوم التالى بين شـباب كـارهين للشـرطة وعناصـر الشرطة أمام قسم الجيزة وعلمت أنهم إما عذبوا أو أهينوا فى القسم فتجمعوا للثأر فامتلأت الأجواء بالغازات المسيلة للدموع ومع دخول ساعات الصباح كانت عناصر الشرطة قد طالها التعب مـن كثـرة السهر لعدة أيام متتالية فتركت قسم الشرطة عند الظهر ليتم حرقـه على مرأى ومسمع من سكان الجيزة بل أن هناك عناصر أخرى من المجرمين محترفى الإجرام استغلت انتصار الشباب الموتورين بعـد تركهم القسم بعد حرقه دون سرقته لتدخل تلك المجموعة الهمجيـة قسم الشرطة وتنهب كل ما تبقى من الاحتراق ووصل الأمـر إلـى سرقة الأبواب الحديدية والشبابيك وحتى المدفع التاريخى المـرابط أمام قسم الجيزة منذ أكثر من خمسين عامـا ، ثـم تطرقـت تلـك المجموعة من المجرمين إلى أحد المكتبات المجاورة لقسم الشـرطة ويطلق عليها أهل المنطقة مكتبة سوزان مبـارك (مكتبـة البحـر الأعظم) فتم نهبها وحرقها ولم تتطرق تلك المجموعة إلى مدرسـة خلف المكتبة كانت بلا حراسة وتحتوى علـى عـدد مـن أجهـزة الكمبيوتر يفوق ما تم سرقته من المكتبة فلم تدخلها ولم تقترب منها مما جعلنى أستغرب أمر أولئك المجرمين وكأنهم اتباع روبين هـود برغم عدم تعاطفى معهم ، وقد حدث ذلك أيضا فى منطقـة الهـرم حيث نهبت فنادق وكازينوهات كان يظن أنها سيئة السمعة وتركـت فنادق ومحال لم يعرف عنها ذلك وحدث أيضا فى اركاديـا مـول

بالقاهرة الذى حدث به أكبر محاولة للنهب والسـرقة وكـذلك العديد من الأسواق والمحلات الكبرى . ولكن ماحـدث فـى قسـم الجيزة حدث مع معظم أقسام الشرطة وخاصة قسم شرطة الأزبكية بالقاهرة الذى تعرض للحرق عدة مرات متتابعة وبالتالى نال انتقاما مضاعفا وبالمثل قسم باب شرقى بالإسكندرية ، حيث كان يتوقـف عدد مرات الحرق على كم الكره لهذا القسم علما بأن هناك أقسـاما مثل الدقى والهرم والكثير من أقسام شرطة محافظات الوجه القبلـى لم يتعرض أي منهم لأى محاولة حرق أو نهب بل أن بعض الـبلاد من جنوب أسيوط إلى الأقصر لم تصلها الثورة أصلا إلا بعد قيامها بعدة أيام ، وامتدت محاولات الحرق والاتلاف لمقار مباحـث أمـن الدولة والحزب الوطنى في معظم المحافظات ولا أعتقد أن العمليـة كانت منظمة ولكن الجماهير والعمل الجماعى جعل تلـك الأمـور متشابهة فى كل المناطق ، فعاشت مصر ليلة ٢٩ يناير كأسعد ليلة نظرا لقيام الثورة وكأتعس ليلة نظرا للانفلات الأمنى الذى اضـطر معه الجيش إلى النزول فى نهاية الأمر بعـد أن سـقطت الشـرطة المصرية وفقدت هيبتها التى حاولت بناءها لمدة تصل إلى ٣٠ عاما خلال حكم الرئيس مبارك . أمـا ميـدان التحريـر الـذى اكـتظ بالمتظاهرين من كل الاتجاهات فلم تسـتطع قـوات الشـرطة ولا القناصة – الذين اعتلوا أسطح المبانى المطلة على الميدان وخاصة مبنى الجامعة الأمريكية وأطلقوا الرصاص الحـى- ولا العربـات المدرعة ولا خراطيم الميـاه ولا الغـازات المسـيلة للـدموع ولا الرصاص المطاطى أن يوقف تلك الجموع الهادرة التى زأرت فـى كل أرجاء الميدان ووصل عددها إلى ما يفـوق المليـون شـخص أحاطوا بكل مداخل ميدان التحرير ووصلوا إلى مبنى التليفزيـون ووزارة الداخلية التى استعانت بالجيش لحمايتها من جموع وموجات " تسونامى" المتظاهرين التى تأتى موجة إثر موجة ومجموعة إثـر مجموعة ولا تعلم الشرطة ولم تعلم إلى الآن كيف تمـت المفاجـأة

المدوية من الشعب ولا السرعة التى انتشرت بها تلك الثـورة لأنها لم تدرك حجم الغضب الذى اختزن فى صدور المصريين من الممارسات الظالمة للنظام السابق بكل هيئاته ... لقد أعلن المتظاهرون ظهر يوم السبت ٢٩ يناير ٢٠١١ م سقوط هيبة الشرطة المصرية بأسلحتها العتيدة تمهيدا لسقوط النظام بأكمله بعد سقوك اكثر من ٦٠ شهيدا وأكثر من ثلاثة ألاف جريح خلال جمعة الغضب فقط .

وما حدث للتحرير يوم جمعة الغضب ونقلته القنوات الفضائية خاصة قناة الجزيرة القطرية أشعل النار فى كل محافظات مصر فلم تستطع أى محافظة أن تبقى ساكنة واشتعلت المظاهرات فى مصر من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها فى سابقة لم يشهدها التاريخ المصرى الحديث منذ عام ١٩١٩م , حيث تتميز تلك الثورة عن ثورة ١٩١٩م بوجود وسائل إعلام سريعة تنقل الأخبار أولا بأول وهو ما لم يكن متوفرا منذ تسعين عاما لذلك انتقلت تلك الثورة إلى كل المحافظات وكان أشدها فى السويس بلد الشهداء حيث حاولت قوات الشرطة استرجاع الهيبة بإطلاق الرصاص الحى فما كان من الجماهير الغاضبة إلا ان تتعامل معها كما تعاملوا سابقا مع قوات الثغرة الاسرائيلية فتكونت لجان للمقاومة الشعبية ضد الشرطة التى أطلقت كل أسلحتها دون رحمة ضد المسالمين العزل وكأن تلك الجموع الغاضبة ليست من الشعب المصرى لكى يتم قتلها بالرصاص الحى فى منطقة الصدر والبطن والرأس وليس منطقة القدم أو الرجل كما تحدد قوانين الدفاع عن النفس فى حالة الضرورة القصوى . أما فى الاسكندرية فكان الموقف يشبه القاهرة تماما حيث قامت المظاهرات فى كل ميدان بالاسكندرية وتجمعت الجماهير الغاضبة فى ميدان القائد ابراهيم الذى تحول إلى ميدان تحرير الاسكندرية وتم حرق كل أقسام الشرطة بالاسكندرية بل امتدت المواجهات لتفوق القاهرة حيث تم مهاجمة مديرية الأمن ذاتها

وكأن شعب الاسكندرية أراد أن ينتقم لما حدث في كنيسة القديسين ليلة رأس السنة وممن قتلوا خالد سعيد وسيد بلال ولم تتم محاكمتهم، وبالفعل سقطت هيبة الشرطة بصورة تامة في الاسكندرية يصعب معها استردادها خلال وقت قصير حيث أنها المحافظة الوحيدة التى تم فيها محاولة حرق مبنى مديرية الأمن ومبنى المحافظة بالإضافة إلى أقسام الشرطة ومقار الحزب الوطني.
وفي شمال سيناء كانت هناك مفاجأة للشرطة حيث اشتركت سيناء كأكبر رابع محافظة في الثورة فقام سكان شمال سيناء بقطع الطريق الساحلي ومهاجمة معسكرات الشرطة في كل مكان انتقاما لما حدث مع أبناءهم أثناء فترة تولي حبيب العادلي وزارة الداخلية ووصل الأمر إلى الحدود مع غزة وإسرائيل مما اضطر الجيش إلى إدخال دبابات وعربات مدرعة للحدود مخالفا بذلك اتفاقية السلام مع إسرائيل ولكن بموافقة مبدئية من إسرائيل للتغلب على الانفلات الأمنى في سيناء . واشتعلت الثورة كذلك وتأججت في المنصورة والمحلة ودمياط والإسماعيلية وأسيوط والمنيا وبني سويف ودمنهور وحتى المنوفية بلد الرئيس السابق وكل تلك المحافظات مع القاهرة والإسكندرية والجيزة والقليوبية والسويس سقط فيها شهداء مسالمين عزل لا يحملون أى أسلحة إلا الإيمان بالتغيير الذى سيتم فهو البندقية الوحيدة التى كان يمسك بها المتظاهرون ورصاصها الهتاف بأعلى صوت " الشعب يريد إسقاط النظام " .
وقد حاولت السلطة احتواء الموقف فأعلن حظر التجول اعتبارا من الثالثة عصرا ثم تقدمت حكومة الدكتور نظيف باستقالتها وتم تكليف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدنى برئاسة الحكومة الجديدة في محاولة يائسة لامتصاص الغضب الشعبى كما أعلن الرئيس مبارك أول تنازل له في تاريخه العسكرى حيث أعلن تعيين السيد عمر سليمان مدير المخابرات العامة المصرية نائبا له يوم ٢٩ يناير ٢٠١١ م وكانت تلك بدايات نجاح الثورة المصرية .

الفصل الرابع

نجاح الثورة

بداية النجاح بتعيين نائب الرئيس واستقالة وزارة أحمد نظيف:

اعتبارا من يوم ٢٩ يناير ٢٠١١ م وبعد أن أعلن الرئيس مبارك تعيين نائب له بعد ثلاثين عاما قضاها بدون نائب ظهرت بوادر نجاح الثورة حيث أن الرئيس مبارك لم يكن ليعين نائبا له إلا مضطرا فلم يفعل ذلك من قبل حتى عند مرضه الشديد وكان ذلك دلالة على كبر حجم الثورة وتخطيها الحدود والخطوط الحمراء التى وضعها الرئيس مبارك حيث أصدر الرئيس مبارك مرسوما بتعيين السيد عمر سليمان مدير المخابرات المصرية العامة نائبا لرئيس الجمهورية كما أصدر قرارا بقبول استقالة وزارة الدكتور أحمد نظيف وتكليف الفريق أحمد شفيق وزير الطيران المدنى وتلميذه القديم فى القوات الجوية بتشكيل الوزارة الجديدة. ولكن رد فعل الرئيس مبارك حسب جميع الآراء والتحليلات كان دائما متأخرا عن أفعال شباب الثورة فدائما الثوار هم السابقون وهو من يحاول الرد وكأن هناك دائما "فرق سرعات" كما قالها الممثل هانى رمزى وحفظها المصريون فى أحد أفلامه فكانت سرعة الشباب هى سرعة الصواريخ والطائرات أما سرعة الاستجابة من النظام فهى سرعة الجمال والخيول كما حدث فى الموقعة الشهيرة التى حسمت نجاح الثورة فيما بعد . ومنذ اليوم التالى وهو يوم السبت ٢٩ يناير أحست كل دول العالم بأن الانتفاضة المصرية تحولت إلى ثورة بعد سقوط الشهداء وسقوط هيبة الشرطة وحرق مقارها -كما حدث فى باريس عام ١٧٨٩ م مع سقوط سجن الباستيل- فدعت الدول الغربية رعاياها إلى ترك مصر فورا وألا يتواجد منهم إلا من كان وجوده ضروريا وبدأت الاجتماعات والاتصالات بين الدول الغربية والدول المجاورة لتقييم الموقف فى مصر فكثرت محادثات الرئيس الأمريكى أوباما مع قيادات السعودية وإسرائيل وتركيا ثم مع انجلترا والاتحاد الأوربى واضطر إلى إرسال عدة نصائح للرئيس مبارك والجيش بضرورة توخى أقصى درجات ضبط النفس والاستجابة

لمطالب الجماهير وطموحاتهم ثم تطـــور الأمـــر إلـــى القـــول بمحاولة نقل السلطة بطريقة سلمية يرضى عنهـــا الشـــعب فأرســـل مبعوثا له ليصل مصر ويلتقى مع الرئيس مبـــارك يـــوم ٣١ ينـــاير وبدأت الولايات المتحدة فى الدخول إلـــى درب التخطبـــات حيـــث ظهرت تصريحات كلها تدل على المفاجأة بتطور الوضع فى مصـــر فقد أصبحت الولايات المتحدة تركب نفس الجمل الذى ركبه الرئيس مبارك ولم تستطع هى أيضا اللحاق بالثورة .

موقعة الجمل يوم ٢ فبراير وجمعة الرحيل ٤ فبراير :

وصل عدد المتظاهرين فى ميدان التحرير يوم الثلاثاء العظـــيم أول فبراير إلى أكثر من مليونى متظاهر وقد خشى شباب الثـــورة مـــن الإعمال الإرهابية فشرعوا فى عمل كردونات أمنية حـــول ميـــدان التحرير تمنع دخول من يحمل بطاقة هوية تدل على أنه مـــن هيئـــة الشرطة وتمنع كذلك دخول أى أسلحة حتى تكـــون الثـــورة ســـلمية وتجمع كذلك أكثر من مليون شخص فى الإسكندرية ومئات الألوف فى السويس وعشرات الألوف فى المدن والمحافظـــات ممـــا دعـــا الرئيس مبارك إلى أن يلقى خطابه ، وبعد إلقاء الـــرئيس مبـــارك خطابا للشعب يوم ١ فبراير أوضح فيه عدم نيته الترشـــح للرئاســـة وبأنه قضى عمرا فى خدمة مصر وبأن هناك من يحاول الالتفـــاف على الشرعية أحس البعض بالانحياز إلى استكمال الـــرئيس فترتـــه الرئاسية[٢٣] ولكن مع عصر اليوم التالى بدات،مأساة دامية فى ميدان التحرير حيث ظهرت الجمال والخيول فى ميـــدان التحريـــر تحـــت دعوى العودة للاستقرار ضد المتظاهرين بالتحرير وتطـــور الأمـــر بسرعة شديدة إلى استخدام المناوئين للتظاهرت كافة الأسلحة الشعبية من رصاص حى وسكاكين و"سنج" إلى حجارة من الرخام إلى قنابل مولوتوف وكان هذا هو الخطأ الأكبر الذى قوى الثورة بـــدلا مـــن

---

[23] نشر استطلاع راى على مواقع إخبارية عديدة منها موقع بى بى سى أظهر ميل ٣٥% من المصريين للتريث فى الثورة حتى يستكمل الرئيس مبارك مدته القانونية نهاية ٢٠١١ م بعد ذلك الخطاب .

هدميا حيث تعاطف الشعب تعاطفا تاما مع المتظاهرين السلميين أمام البلطجية المسلحين الذين يقف ورائهم رجال أعمال وأعضاء مجلس شعب فى مناطق متعددة من القاهرة والجيزة مثل منطقة الهرم ونزلة السمان بالجيزة أصحاب الجمال والخيل التى غزت ميدان التحرير، وقد استمرت تلك الموقعة بطريقة أدمت قلوب الشعب المصرى حتى الصباح وكان من المنتظر نهايتها عند صلاة الفجر ولكن لم يستطع بلطجية رجال الأعمال ذلك لأنهم يقاتلون بدون دافع واضح بينما صمد المتظاهرون وخاصة من جماعات الإخوان المسلمين -وليس السلفيين- الذين بصمودهم ذلك اليوم استحقوا لقب حامى الثورة بعد الجيش الذى وقف على طريق الحياد السلبى وعدم الانحياز ، وانتصر شباب الثورة الذين تسلل إليهم الآلاف الذين أتوا فى جنح الليل من كافة مناطق القاهرة مشيا على الأقدام حيث كان حظر التجول ما زال ساريا حاملين معهم المئونات الطبية التى لم تقدمها وزارة الصحة الحكومية ، وكان انتصار هؤلاء الشباب لأنهم يدافعون عن مبدأ أمام البلطجية الذين تلقوا الأموال والدعم من رجال الأعمال وأمن الدولة . وفى الصباح بدأت جموع المؤيدين للمتظاهرين تتدافع بمئات الألوف من كل مكان فى مصر لحماية المتظاهرين فى الميدان ضد فلول الثورة المضادة فأخذت الثورة زخما جديدا رغم أنف رجال الأعمال وأنف حاشية الرئيس بل والرئيس نفسه وقد حسم هذا الزخم نجاح الثورة حيث لم يتبق للرئيس مبارك من مناصرين إلا فلول الحزب الوطنى .

وبعدها حاولت حكومة الفريق شفيق الاعتذار للشعب ولكن الشعب كان قد أخذ الحكم الواضح القاطع بأنه لابد من إسقاط النظام ولا يوجد أى حل آخر وتحولت الجمعة التالية يوم ٤ فبراير إلى جمعة الرحيل والمطالبة برحيل الرئيس مبارك ونظامه واستقطبت تلك الجمعة عدة ملايين فى القاهرة والإسكندرية والسويس وباقى المحافظات .

الرحيل ١١ فبراير ونجاح الثورة :

كان إعلان صحيفة الجارديان البريطانية عن ثروة عائلة الرئيس بانها قد تجاوز ٤٠ مليار دولار وقد تصل إلى ٧٠ مليار دولار فعل السحر فى الشعب المصرى حيث نشرتها كل القنوات الفضائية وصحف العالم وهنا أحس من لم يتظاهر من جموع الشعب المصرى بأنه كان مخدوعا فى رئيسه وأبناءه وحاشيته ومما زاد الطين بلة تسرب أنباء الفساد فى النظام السابق فى قطاع السياحة والإسكان والإعلام والشرطة والزراعة والصحة مما أهدر عشرات المليارات استفاد منها رجال أعمال حاشية جمال مبارك فبدأت الثورة تأخذ إلى جانبها قطاعا عريضا من السيدات والرجال كبار السن الذين كانوا من المؤيدين للاستقرار وتحولوا إلى مؤيدين للثورة فأخذت الجموع تزيد فى ميدان التحرير حتى وصلت إلى أرقام جديدة بلغت ثلاثة ملايين وهنا أحس الرئيس مبارك بالخطر فبدأ خطابه الأخير قبل الرحيل ظن المصريون بأنه خطاب التنحى حيث تنازل عن سلطاته لنائب الرئيس ولكن التنحى لم يرد فى الخطاب حيث طلب عمر سليمان نائب الرئيس المتظاهرين بالعودة لمنازلهم حيث أن الرئيس سيترك السلطة فى موعد الانتخابات القادمة ولكن الشعب صمم على رأس النظام وبدأت الدعوة لجمعة التحدى فى كل أنحاء مصر وأن تتجه الجموع إلى قصر الرئاسة بمصر الجديدة وهنا ظهر اجتماع للمجلس الأعلى للقوات المسلحة بدون وجود الرئيس مبارك مما يعنى أن هناك أمرا جديدا قد بدأت ملامحه تبدو للعيان .

وفى يوم الجمعة المشهود يوم ١١ فبراير وبعد صلاة الجمعة تحولت مصر كلها إلى بركان غضب وتحدى حتى أنه تم تقدير عدد من اشتركوا فى تلك المظاهرات بما يقارب ١٢ مليون شخص فى مدن مصر من شمالها لجنوبها ومن شرقها لغربها وهو رقم كبير جدا لم تصل إليه مظاهرة شعبية من قبل ، كان من هؤلاء الاثنى عشر

مليونا فى ميدان التحرير نفسه ما يزيد على ثلاثة ملايين نسمة شاهدتهم بنفسى يملئون التحرير من كل الجوانب والاتجاهات حيث ظللنا أكثر من ساعة فى طريق الكورنيش لكى يتحرك من كانوا قبلنا للوصول إلى التحرير ولكن الأعظم هو وصول تظاهرات قصر الرئاسة إلى نصف مليون شخص مما أجبر الرئيس مبارك على التنحى مساء يوم الجمعة ١١ فبراير حسب الخطاب الذى ألقاه النائب عمر سليمان والقاضى بتنحى الرئيس مبارك عن الحكم وتسليمه جميع سلطاته للمجلس الأعلى للقوات المسلحة. ويمكن وضع التصورات الافتراضية لسيناريو التنحى من خلال الأقوال والشائعات التى تناثرت فى مصر كلها عن ذلك الحدث وأود التأكيد على أنها شائعات وتخمينات وكلها دارت فى فلك ثلاث سيناريوهات لتنحى الرئيس مبارك وهى :

السيناريو الأول : هو أعطاء الأومر للجيش بالضرب بالرصاص الحى واستخدام القوة المفرطة للقضاء على المظاهرات منذ الأربعاء السابق لجمعة التنحى ولكن الجيش رفض الأمر ليس عن عناد للرئيس ولكن خوفا من ضياع هيبة الجيش إن دخل فى صدام مع الشعب كما حدث فى إيران عام ١٩٧٩ م حيث سيميل كل الجنود والضباط ذوى الرتب الأقل إلى الشعب وسيبقى القادة من رتبة مقدم فأعلى فى جانب النظام فيصبحون هم فى جانب والشعب والجيش العادى فى جانب آخر وحتما سينتصر الشعب بعد موت مئات الألوف ويتم محاكمة كبار الضباط وإعدامهم وضياع هيبة الجيش كما ضاعت هيبة الشرطة وهو ما لم يرضه قادة الجيش فطلبوا من الرئيس وضع تصور آخر غير استخدام القوة مع المتظاهرين .

السيناريو الثانى : فى حالة رفض الرئيس التنحى خاصة بعد تدخل جمال مبارك – وبالطبع معاونيه- الذى لا يحمل الود لكل من المشير حسين طنطاوى ولا لقادة الجيش الذين لا يدينون له بالولاء فقد قام المجلس الأعلى للقوات المسلحة بالوقوف إلى جانب الشعب

عن طريق خلع قائده الأعلى حماية للشعب الذى تعلو سلطته على سلطة رئيس الجمهورية وبدون أى ضغوط أو أوامر بفض المظاهرات بالقوة ويتم الخلع بالبيان الذى يلقيه نائب الرئيس - تحت الضغط - ليعلن أن الرئيس تنازل عن سلطاته للمجلس الأعلى للقوات المسلحة ، وقد عبرت جماهير الفيسبوك -وليست جموع الشعب الحقيقية- عن موافقتها على هذا التصور بإقامة أكثر من جروب تتحدث عن " الراجل اللى ورا عمر سليمان " وكل منها ضم عشرات الألوف وكلها تصوره بطرق طريفة لتظهر أن من يقف وراء عمر سليمان يبدو متجهما وجاهزا لفعل شئ ما بطريقة أثارت ضحك الشعب المصرى فى خضم الثورة والشهداء ... ما هذا الشعب الغريب الذى يخترع النكات و"القفشات" فى أشد الفترات التاريخية صعوبة ... أنه الشعب المصرى العظيم.

<u>السيناريو الثالث</u> : قيام المجلس الأعلى للقوات المسلحة بإقناع الرئيس مبارك بالتنازل عن السلطة لصالح الشعب حيث أن الأمور خرجت عن السيطرة وإن تم السكوت أكثر من ذلك سيتجه الشعب إلى الإخوان المسلمين أو السلفيين وقد تبدأ حرب أهلية وتأتى بما لا يحمد عقباه ووافق الرئيس مبارك على ذلك بدون ضغوط حتى من أبناءه وزوجته بشرط حماية تاريخه العسكرى وعدم محاكمته مستقبلا مثلما تم مع الرئيس الرئيس بوريس يلتسين فى روسيا حيث قام الرئيس بوتن بحماية الرئيس السابق يلتسين بعد تركه الرئاسة .

والحقيقة أن كل السيناريوهات التى تناقلتها شائعات المصريين وتصوراتهم محتملة الورود ولكن أقربها للتصديق من الشعب المصرى هو السيناريو الأخير الذى يعطى الأولوية للطريق السلمى للتحاور بين الرئيس وقادته العسكريين وموافقة الرئيس بعد إقناع المجلس العسكرى للرئيس يوم الأربعاء ٨ فبراير بضرورة ترك الحكم طواعية وأعطى الرئيس السابق مبارك فرصة حتى يوم ١١ فبراير ليقرر ذلك بصورة اختيارية وقد حدث .

وبذلك يكون يوم ١١ فبراير هو يوم المصريين الذي أذهل العالم، ففى ذلك اليوم احتفل معهم العالم حتى الصباح بسقوط النظام المصرى المتمثل فى شخص الرئيس وحاشيته حيث يوجد أكثر من ثمانية ملايين مصرى بالخارج يتوزعون على معظم دول العالم احتفلوا ذلك اليوم برفع رأسهم عاليا وكأن بلدهم مصر قد أصبحت بين ليلة وضحاها من الدول العظمى التى ينظر إليها العالم على أنها صاحبة أقوى ثورة بعد تونس تنتقل من العالم الافتراضى الخيالى عبر الانترنت والكمبيوتر إلى عالم الواقع الحقيقي وتنتهى بإسقاط النظام وأصبح ميدان التحرير بتسميته Tahrir أشهر ميدان فى العالم يذكر فى صدارة كل وسائل الإعلام لمدة تقارب الشهر .

وبعد ذلك تتابع السقوط فسقط مجلسا الشعب والشورى يوم ١٣ فبراير حيث صدر مرسوم من القوات المسلحة التى تسلمت إدارة البلاد بحل مجلسى الشعب والشورى وبذلك تم إغلاق باب البرلمان المزور الذى جاء نهاية عام ٢٠١٠ م .

وتتابع السقوط فسقطت حكومة الفريق أحمد شفيق يوم الخميس ٣ مارس ٢٠١١ ، وبالرغم من وجود بعض التعاطف من الشعب مع الفريق أحمد شفيق إلا ان الغالبية تعتبره رمزا من رموز النظام السابق فقد ترددت أنباء وشائعات تم نفيها أنه قريب زوجة جمال مبارك مما قلل من تعاطف الشعب معه وهو ما حدث بالفعل فقد استقبل الشعب نبأ الاستقالة بفرح شديد .

وبعد سقوط حكومة الفريق شفيق تم تشكيل الحكومة المؤقتة للدكتور عصام شرف أحد الذين خرجوا من حكومة الدكتور أحمد نظيف عام ٢٠٠٥ لأنه – كما قيل– لم يوافق على التخبط فى الخطوط الملاحية وقواعد السلامة التى يتبعها ممدوح إسماعيل فى عبارات النقل ، وقد اتبع الدكتور عصام شرف نهجا جديدا بأخذ البيعة من جماهير التحرير حيث حمله المتظاهرون على أعناقهم ولم يصدقوا أنه يمكن لأى منهم أن يقابل أو " يسلم على" الرجل المرشح لرئاسة الوزراء

في مصر ... أخيرا أصبحت مصر مثل أى دولـــة ديموقراطيـــة حيث يمكن أن يتجول رئيس الوزراء بدون حراسة مشددة ويمكنه أن يدخل مطعما عاديا ويلتقط صورا تذكارية مع أناس من عامة الشعب ... هل هذا ممكن في مصر ؟ لقد حدث بالفعل ! .

أما السقوط الأعظم فهو سقوط دولة مباحث أمن الدولة المصـــرية يوم ٦ مارس ٢٠١١ م حيث توجه الآلاف من المعذبين إلـــى مقـــر مباحث أمن الدولة بالإسكندرية وحاولوا حرق المبنى وحدث نفـــس الشئ بالمبنى الرئيسى لمباحث أمن الدولة بمدينة نصر – الذى يشبه سجن الباستيل – وقاموا بمحاصرته ومحاولة حرقه ولكنهم لم يفلحوا في ذلك وبعضهم نجح في الدخول إلى المقر من باب جانبى وذهـــب إلى الغرف التى تم تعذيبه فيها ليشرح لزملائه طرق الدخول لمبنـــى التعذيب المقام تحت المبنى الواضح فوق الأرض فهو سجن كامـــل يحتوى على العديد من وسائل التعذيب المختلفـــة –النفســـى منهـــا والجسدي–، وتم العثور على العديد من ملفات ذلك المبنى بعد أن تم التخلص من معظم ملفاته بواسطة الضباط خوفا من وقوعهـــا فـــى أيدى الشعب الذى بالطبع سيدينهم بعد أن يكتشف هـــذا الكـــم مـــن المخالفات التى ارتكبت خلال ثلاثين عاما من القهر .

ولكن من محاسن تلك الثورة هو سقوط رموز النظام السابق حيـــث بدأت سلسلة من الاعتقالات القانونية طالت العديد من الرموز مثـــل أولاد الرئيس مبارك وحتى الرئيس نفسه والدكتور زكريـــا عزمـــى وصفوت الشريف وفتحى سرور بالإضافة إلى المعتقلـــين الســـابقين مثل وزير الداخلية ووزراء الفساد مثل المغربى وجرانة وأنس الفقى ورئيسهم أحمد نظيف ومن قبلهم جميعا أحمد عز ومساعدى وزيـــر الداخلية وغيرهم من رموز الفساد التى ستأتى تباعا.

ويعتبر يوم وصول أول إستفتاء حر بدون تزوير يحدث في مصـــر منذ عام ١٩٢٤ م هو أول يوم للديموقراطية المصرية ينبئ بنجـــاح الثورة فقد حدث ذلك يوم السبت ١٩ مارس ٢٠١١م ووافـــق فيـــه

المصريون على تعديل الدستور ليلغى النصوص التى ابتـدعها نظام الرئيس مبارك لكى يبقى فى الحكم .
وبعد كل تلك الدعائم التى سقطت فسقط معها عرش النظام الســابق أحس الشعب المصرى فى الداخل والخارج بــالفخر فالشــعب أراد فأسقط النظام كاملا من رئيس ومجلس شعب وشورى وحزب وطنى وقوة الشرطة الغاشمة ، وقد اكتملت تلــك الانتصــارات بمحاكمــة الرئيس وأبناءه وأعوانه ورموز نظامه ، وهنا ظهر القول المصرى باللهجة العامية داعيا كل مصرى للفخر بثورته قائلا :
" إرفع رأسك لفوق إنت مصرى " .

الباب الثالث

مستقبل الثورة المصرية

الفصل الأول : بداية الثورة المضادة ومعوقات الثورة
الفصل الثانى : مائة يوم بعد قيام الثورة
الفصل الثالث : مستقبل الثورة ونماذج ما بعد الثورة

الفصل الأول

بداية الثورة المضادة ومعوقات الثورة

مقدمة :

لا يمكن أن تقوم ثورة فى العالم بدون وجود ثورة مضادة ومن بعدها معوقات للثورة سواء تمت بالتنظيم أو بغير تنظيم فالثورة المضادة حدثت من الملك والإقطاعيين فى الثورة الفرنسية والروسية وحتى من قادة الجيش والسافاك فى إيران وكذلك من حاشية الملك فاروق بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو المصرية لذلك لا يجب أن نستثنى ثورة ٢٥ يناير من ذلك التصور حيث لا بد من وجود ثورة مضادة وكذلك وجود معوقات للثورة تحاول أبطاء الحركة لأن الثورة لا تدوم عادة لفترة طويلة بفعل معوقات الثورة .

وفى مصر يمكن أن تستمر الثورة المضادة لفترة قد لا تكون قصيرة فقد تستمر لعدة سنوات كما حدث مع الثورة الفرنسية أو لسنة أو أكثر كما حدث مع الثورة الإيرانية وقد تتوقف مع انتخاب أول رئيس جمهورية بعد الثورة ولكنها فى جميع الحالات ليست قصيرة لعدة أشهر كما يتصورها البعض وسوف يصاحبها بالطبع توقف لعجلة الإنتاج أو خسائر إقتصادية شديدة وكذلك اهتزاز أمنى نتيجة إزاحة الخوف من النفوس وخاصة لدى الشباب حيث أن إزاحة الخوف من نفوس الشباب يترتب عليه الكثير من المآسى والمصادمات والمشاحنات التى تكبر مع فقد هيبة الشرطة وقد تصل إلى حد البلطجة والفتنة الطائفية وغير الطائفية وحتى العرقية .

بداية الثورة المضادة :

هناك ملامح متعددة للثورة المضادة بدأت فى الظهور منذ مساء يوم الجمعة ٢٨ يناير ٢٠١١ م يمكن تلخيصها فى التالى :

١- الانفلات الأمنى وبث الرعب فى قلوب المصريين:

بدأت ملامح الثورة المضادة منذ مساء يوم الجمعة ومع الانفلات الأمنى سواء العفوى أو الممنهج حيث بدأت وسائل الإعلام فى ترويع الناس من الانفلات الأمنى وبدأت فى بث الرعب بينهم بالتحدث المنظم والممنهج عن حوادث قتل وسرقة فى كل مكان

وبالتالى يتم التأثير على المواطن المصرى عن طريق إقناعــه بأنه : لا داعى أن تخرج من بيتك ولا داعى لأن تساند الثورة التــى ستأتى بالفوضى كما هى الآن ، ولكن الشعب المصرى الواعى تغلب على النقطة الأولى بتشكيل لجان شعبية من الشباب لحماية الممتلكات الخاصة بطريقة التعبئة الشعبية كما حدث فى حــرب عــام ١٩٥٦م ضد الاحتلال الثلاثى لمصر ، وظهرت العبارة الشهيرة فى صحف المعارضة مثل المصرى اليوم " الشعب فى خدمـــة الـــوطن " أى بدون الشرطة، ولأول مرة فى التاريخ الحديث تقوم دولة لعدة أسابيع بدون شرطة ولا تنهار حيث أن عدم وجود الشرطة قد يــؤدى إلــى الانهيار ولكن الشعب المصرى بتاريخه حال دون انهيــار الدولــة وسعى فقط إلى أسقاط النظام المتمثل فى الرئيس وحاشيته .

٢- موقعة الخيل والجمال يوم ٢ فبراير :

ظهرت بادرة أخرى للثورة المضادة يوم ٢ فبراير بموقعة الخيــول والجمال حيث قام رجال الأعمال وبعض أعضاء مجلــس الشــعب بإرسال " بلطجية " أو " شبيحة" كما يقول السوريون لوقــف تــدفق الثورة فى ميدان التحرير حيث تم توزيع الأدوار فالبعض يدفع المال للبلطجية والبعض يجلب الحجارة والرخام من منطقة شــق الثعبــان بالقاهرة وثالث يتبرع بوسائل النقل للبلطجية ورابع بالطعام وهكذا ، وبالفعل بدأت أبواق الثــورة المضـــادة فـــى الارتفـــاع واســـتمرت الإمدادات تتلاحق على البلطجية ووصل الأمر إلى دفع مبلغ يصــل إلى ٢٥٠ جنيها للبلطجى نظير البقاء أمام المتظاهرين فى التحريــر ولكن جاءت النتيجة عكسية حيث استمالت القوة المفرطة للبلطجيــة الشعب لمساندة الثورة وتدافعت على ميدان التحرير الجموع الهادرة ووزعت الأطعمة والأدوية وأقيمت المستشفيات الميدانية الشــعبية والخيام وظهرت حالة التكافل الاجتماعى المصرى مما كان له الأثر الكبير على نجاح الثورة حيث يعتبر الكثيرون هذا اليوم هــو يــوم نجاح الثورة .

٣- مظاهرات مسجد مصطفى محمود :

استمرت الثورة المضادة باستمرار عمل حكومة الفريق شفيق لعلها تنجح فى إقناع الشعب بعيوب الثورة فبدأت تظهر مظاهرات قليلة العدد فى منطقة شارع جامعة الدول العربية وعند مسجد مصطفى محمود بالجيزة وبدأ التليفزيون المصرى يصور الأعداد على أنها أكبر من أعداد الموجودين بميدان التحرير حيث يسلط التليفزيون الكاميرا على كوبرى مايو الخالى من المارة فى التحرير ويسلط الأضواء على عدة آلاف بينهم بالطبع فنانون يحبهم الشعب على أنهم الكتلة الكبيرة ، وقد استجاب أصحاب المصانع من رجال الأعمال لذلك فأرسلوا العمال بالاتوبيسات وتم دفع أجورهم مع وجبات مجانية إلى ميدان مصطفى محمود تحت شعار " الجزيرة فين المصريين أهم " حتى يقوضوا ما تفعله قناة الجزيرة والعربية بنقل تظاهرات التحرير على الهواء ، ثم بدأت الصحف الحكومية والبرامج التليفزيونية فى القنوات الرسمية باجتذاب فنانين وشخصيات مرموقة وأخرى فنية لتتهم المتظاهرين فى التحرير بالفجور وانتشار الزنى و"شرب الحشيش والبانجو" بينهم وكأن التحرير عبارة عن ملهى ليلى مفتوح وأيضا أتى هذا الأمر بالعكس حيث أشاد كل من زار التحرير بالفعل بالالتزام - وليس من سمع حيث أننى تواجدت بالفعل فى معظم الأيام وهناك عشرات الألوف ممن أقاموا هم وأولادهم إقامة دائمة لعشرة أيام متواصلة - وشاهد كل من زار التحرير كذلك النظام والتكافل الموجودين بالميدان ، فهل يعقل أن يكون شباب الاخوان مثلا يمارسون الزنا وشرب الخمر والحشيش والبانجو فى التحرير، وهنا بدأت جموع الشعب فى المطالبة بمقاطعة الفنانين المشتركين فى هذا الأمر مما أخاف باقى الفنانين فى الاستمرار حتى لا يقعوا فى شر أعمالهم بعد نجاح الثورة أن حدث ونجحت الثورة . وينبغى ألا ننكر تواجد أى اخطاء بصفة مطلقة فما الضير إن وجد فى المليون متظاهر عشرة يشربون

الخمر أو خمسة يدخنون الحشيش والبانجو أو اثنين يمارسون الفجور فهذه النسبة هى اثنان فى المليون لا تجعل كل من فى ميدان التحرير من المارقين والخارجين كما كان يقول أولئك الفنانون.

٤- الفتنة الطائفية بين المسلمين انفسهم وبين المسيحيين والمسلمين:

من أنجح الوسائل التى جربها الاستعمار الانجليزى فى مصر والفرنسى في الجزائر سابقا واستعملها بعض الفاسدين فى الأنظمة السابقة منذ أوائل السبعينات هى محاولة إثارة الفتنة الطائفية تحت أى مسمى وباستخدام عدة طرق كأن يتم التخويف من الاسلاميين والسلفيين وأن يتم حرق أو هدم كنيسة أو مقام أو محاولة إبراز قصص تتم بصورة عفوية على أنها طائفية فمثلا قصص أسلام مسيحيين أو تنصير مسلمين تتم بصورة معتادة فى الغرب ولكنها فى مصر دائما ما تكون دموية أما اعتداء مسيحى على مسلمة - حتى ولو كانت سيئة السلوك - هو من الأمور التى لابد وأن تنتهى بكارثة ، ومن هنا بدأت مظاهرات المتشددين المسيحيين والسلفيين المسلمين ضد كل شئ وضد أى شئ حتى أن أمر الاستفتاء يوم ١٩ مارس ٢٠١١ م تحول كله إلى اندفاع دينى غير مسبوق فاختيار "نعم" يعنى المسلم واختيار "لا" يعنى المسيحى حتى أن بعض المساجد والكنائس تم التنبيه فيها على تلك التوجهات . ثم تطور الأمر إلى محاولة شق التيار الإسلامى نفسه بإبراز دور التيار السلفى المندثر ورفعه إلى سطح الحراك الإعلامى بل واستقبال رموزه على أنهم فاتحين مما جعل الشعب المصرى يتخوف من قدوم التيار السلفى وكانه " البعبع" أو الفزاعة التى يمكن من خلالها إخافة المصريين من الثورة والحرية التى تنتظرهم حيث أن الحرية من وجهة نظر المعارضين للثورة ستأتى دائما بالمتشددين وبالسلفيين وبالتالى لا داعى للثورة أو حتى الاستمرار فيها حتى لا تجر معها تلك العواقب السلفية الدينية .

٥- المظاهرات الفئوية :

بالرغم من أن التظاهرات الفئوية دائما ما تقوم بعد الثورات حيث أن تلك التظاهرات لها أهمية كبيرة فى كشف الفساد فى النظام القديم وتقليب التربة العفنة التى نما فيها الفساد إلا أنها فى مصر اتخذت منحى آخر حيث بدت المطالب الفئوية خاوية المضمون وعديمة الجدوى بل واستغلها بعض المغرضون حيث لم تفضح فسادا بصورة واضحة ولم تقدم نموذجا عصريا باختيار أيام معينة للتظاهر مع استمرار العمل فى باقى الأيام الأخرى مما جعلها من معوقات الثورة وكان من أغرب ما حدث هو ثورة موظفي أحد البنوك الحكومية الكبرى حيث تجمعوا أمام باب البنك ومنعوا الدخول وعطلوا العمل لأن الرؤساء يتقاضون اكثر من خمسة عشر ألف جنيه شهريا وهم يتقاضون خمسة آلاف جنيها فقط أما رئيس البنك فراتبه وحوافزه تتجاوز المليون جنيه شهريا ففضحت تلك الحادثة ما كان مخفيا داخل دهاليز البنوك وأطلعت الشعب كله على رواتب العاملين بالبنوك والتى أدني مرتبات للعاملين فيها - وهم القائمون بالمظاهرة أمام البنك - يفوق ما يحصل عليه المدير العام فى معظم المصالح الحكومية الأخرى مما يوحى بأن هناك سوء توزيع للدخل حتى فى داخل المصالح الحكومية نفسها .

٦ - بطء العدالة وصعوبة اتخاذ القرارات :

بعد قيام الثورة توقع الشعب المصرى أن يتم اتخاذ قرارات ثورية فى الأمور الهامة مثل كل الثورات التى تمت فى كل الدول فيجب على الفور محاسبة المخطئين فى حق الشعب وحق الثورة ولكن لم يتم ذلك على الفور عندئذ أحس المصريون بأن هناك ثمة علامات استفهام على بطء القرارات الثورية حتى فى مجال فرض الحراسات على كبار رجال الدولة وهو إجراء احترازى يمكن أن يتم بصورة قانونية احترازية ثم تتولى الجهات القضائية التحقيق فيما بعد . كما أن بطء الإجراءات القضائية ضد كبار رجال النظام السابق كان من

دواعى الشك فى محاولة وئد الثورة من جانب العيد من الجهات بالإضافة إلى احتمالية تهريب الأموال و" غسلها " نظرا لطول الفترة الانتقالية .

وحتى ما حدث من الشباب فى محاولتهم تنظيف الشوارع وإعادة مصر إلى بهجتها تم وئدها منذ بدايتها وكأن بطء نزول موظفى الأحياء والوزراء فى حكومة الدكتور شفيق واحتواء أولئك الشباب جعلهم يحبطون ويرجعون مرة أخرى إلى المقاهى ، بل أن مشاهدة المرؤوسين لرؤسائهم وهم يعيثون فسادا كما كانوا من قبل أشعرهم بالاحباط الشديد فما فائدة الثورة إن لم تقلب الأوضاع وما أسهل عمل ذلك بدون هدم المؤسسات فما يضير إن حل الإداريين الأقل فى السلطة -وخاصة الشباب منهم- محل السلطات الأعلى التى جاء معظمها بطريقة الولاء والوراثة وأصبحوا على رأس النظام وما الضير فى تقاعد كل وكلاء الوزارات ورؤساء مجلس الإدارات والمديرين والمستشارين وكل رؤساء تحرير الصحف والمجلات وحتى كل عمداء الكليات ورؤساء الجامعات فلن يؤخر تقاعدهم من الأمور شيئا حيث أن معظمهم تمت ترقيتهم حسب القواعد القديمة المعتمدة على الولاء وليس الكفاءة .

٧- محاولة الوقيعة بين الشعب والجيش :

قد تمتد آثار الثورة المضادة لتصل إلى القوات المسلحة وبعض أفرادها الذين هم أيضا من أفراد الشعب حيث قد تحدث مناوشات بين أفراد من الجيش والشعب تحت أى ظروف تساندها عناصر من الثورة المضادة بهدف خلق حالة من عدم الاتزان فى الشارع المصرى لكى يترحم الشعب على الأيام الخوالى قبل الثورة وقد ينتج عن تلك المناوشات ما لا يحمد عقباه وقد حدث ذلك فى العديد من الثورات فى بدايتها كما حدث فى رومانيا وفى إيران وحتى مع ثورة ٢٣ يوليو المصرية حين تم الوقيعة بين الجيش والإخوان المسلمين عام ١٩٥٤ م وترتب على ذلك حملة اعتقالات طالت الإخوان .

٨ – **الثورة المضادة الخارجية القادمة من الدول المجاورة :**

من أشد الثورات المضادة التى لم تظهر فى مصر بصورة علنية واضحة هى الثورة المضادة القادمة من الخارج فقد حدث ذلك مع الثورة الفرنسية والثورة الإيرانية من قبل. فقد لا ترضى الدول المجاروة فى منطقة الشرق الأوسط الكبير الممتد من إيران إلى المغرب عن التطور الذى سيحدث فى مصر لأنه سيجلب الخير لمصر وسيجلب معه الشر لتلك البلاد لذلك ستسعى تلك البلاد بكل قوة لوئد الثورة المصرية بكل الطرق الرسمية وغير الرسمية لأن تطور مصر سيجلب الشر لتلك الدول من منطلق أمرين هامين كلاهما مر : فالأول من وجهة نظرهم هو أن علو شان مصر سيخفض شأن بلاد كثيرة وسوف يعيد مصر إلى عصر التفوق كما كانت فى عصر عبد الناصر – والمصرى فرعون بطبعه– ولسوف يتدخل فى أمور كثيرة وسيساند الحركات التحررية فى بلاد متعددة مما سيجلب لهم الشر لا محالة ، والأمر الثانى هو أن انتصار مصر ومحاكمة الرموز السابقة سيجعل شعوب تلك المنطقة تتوق إلى محاكمة حكامها مما سيجعل العروش فى الدول المجاورة على شفا الانهيار وبالطبع لن ترضى تلك الحكومات عن حدوث مثل تلك الأمور ولسوف تتدخل بصورة كبيرة لمنع الثورة أو على الأقل منع محاكمة رؤوس النظام وسجنهم .

والغريب فى الأمر هو ظهور بوادر تخوف لدى دول غير عربية مثل الصين وبعض دول أمريكا الجنوبية من وصول الثورات العربية إليها فهل ستقف تلك الدول موقف المتفرج أم ستنزل الملعب الثورى لتلعب مع الفريق المعاكس للدول الغربية المساندة للثورات؟.

والخلاصة التى نؤكد عليها أن الثورة المضادة سواءً الممنهجة من فلول النظام السابق أو العفوية من جموع الشعب التى خرج من داخلها الخوف ستستمر لفترة قد لا تكون قصيرة وينبغى أن يتقبلها الشعب المصرى بما فيها من قلاقل ومناوشات وتراجعات كما هى ،

فهى ليست جديدة على كل الثورات ولسوف تؤخر الوضع الاقتصادى المصرى لفترة قد تتعدى السنة وقد تصل لعدة سنوات ولسوف يعاني منها كل المصريين كما عانت الشعوب من قبل أشد المعاناة لفترة طويلة فرجال الأعمال الفاسدين (مثلهم مثل نبلاء الثورة الفرنسية أو باشاوات مصر قبل الثورة) يتخوفون من المحاسبة ومن المحاكمات ويرتعدون من السجن وحتى من الإعدام لذلك لن يقفوا ساكنين ساكتين ولسوف يتحركون كل حسب قدرته فى اتجاه عكس الثورة ولو أنك تصورت عزيزى القارئ أن هناك ٥% من الشعب المصرى كان مستفيدا من الوضع السابق فهل سيكست هؤلاء الأربعة ملايين كلهم أم أن هناك على الأقل عشرهم ى أربعمائة ألف سيأخذون اتجاها عكس عقارب الساعة الثورية.

أما المتدينون الأشداء من المسلمين والمسيحيين فسيتحركون أيضا كل فى اتجاهه حيث ينشد المسلمون دولة إسلامية تطبق الشريعة وينشد المسيحيون دولة علمانية تعطى للأقليات حرية أكبر وكل منهما أيضا سيكون سائرا فى اتجاه عكس اتجاه الثورة.

وبنفس المقياس السابق فلو كان المتشددون الاسلاميون يشكلون – بدون تقدير واقعى يمكن الاطمئنان إليه – ثلاثة ملايين فعشرهم أى ثلثمائة ألف جاهزون للانقضاض على الثورة لتصبح ثورتهم بدلا من أن تصبح ثورة الشعب المصرى ، وبالنسبة للمسيحيين الذين يشكلون حوالى ثمانية ملايين [٢٤] نسمة فعشرهم أى ثمنمائة ألف هم من عناصر مناهضة للثورة التى قد تسلبهم حقوقهم من وجهة نظرهم . وبالتالى لو أنك حسبت بحسبة بسيطة هؤلاء الأعشار المضادين للثورة فستجدهم يتجاوزون المليون ناشط متحرك بينما جموع الشعب الأخرى وهم يفوقون الثمانين مليون ساكتون وراضون عن الثورة بلا أى صخب او صوت عال .

---

[24] من الغريب عدم وجود احصائية دقيقة للمسيحيين فى مصر فيقدرهم موقع المخابرات الأمريكية على الانترنت بأقل من ستة ملايين ويقدرهم المصريون بصورة غير رسمية بعشر السكان اى ثمانية ملايين

الفصل الثانى

مائة يوم بعد قيام الثورة

مقدمة :

لقد اعتادت الدول الغربية على تقييم أى تجربة بعد مرور مائة يوم على بدايتها لتلمس بوادر نجاح تلك التجربة أو فشلها وكذلك وضع أسس جديدة لتلك التجربة أو تغيير بعض أسسها لضمان استمرار نجاح تلك التجربة فى تقديم التغيير المطلوب منها ، وينطبق هذا الأمر على تعيين أى مدير جديد أو وزير جديد ويتم تقييم سير العمل فى المصلحة أو الشركة أو الوزارة بعد تلك الفترة من خلال حجم التقدم الذى حدث لسير العمل أو زيادة المبيعات ، وتطبق أيضا نفس القواعد على تولى رئيس وزراء جديد أو رئيس جمهورية جديد لمنصبه حيث تقيم التجربة بعد مائة يوم من خلال دراسة استطلاع رأى لشعبية ذلك الرئيس أو رئيس الوزراء ومقارنة النتائج الجديدة بنتائج ما قبل تولى المنصب وهل هناك زيادة فى الشعبية أم تدنى للشعبية التى حصل عليها ذلك الرئيس أو رئيس الوزراء .

والسؤال الآن هو هل يمكن تطبيق قواعد المائة يوم على ثورة ٢٥ يناير المصرية أم أن الثورات تحتاج إلى مئات الأيام وليس مائة يوم واحدة لظهور بوادر نجاح أو فشل تلك الثورة فى تحقيق أهدافها ، الحقيقة أنه من العسير تطبيق معيار مائة يوم على أى ثورة لأنها تبدأ وليدا ضعيفا لا يستطيع الوقوف على قدمية مما يصعب تقييمه ولكن يمكن تلمس طريق المائة يوم لمعرفة اتجاه تلك الثورة. وفى حالة الموافقة على قاعدة المائة يوم ما هى المعايير التى يمكن وضعها لقياس درجة النجاح ؟ .

لقد حاولت فى هذا الفصل توضيح الأسس التاريخية التى تؤدى لتقييم تلك التجربة الفريدة التى مر بها الشعب المصرى خلال مائة يوم مرت على الثورة ، فهناك العديد من الثورات التى تمت قبلنا وتم حسمها خلال مائة يوم بل وبعضها ظهرت نتائجه خلال تلك الفترة وأيضا هناك الكثير منها لم يتم حسمه حتى خلال مائة شهر.

وقبل أن نبدأ في نقييم ثورة ٢٥ يناير من وجهة النظر السابقة . لا بد أن نسأل أولا السؤال التاريخى الهام : هل يمكن الحكم على يوم ٢٥ يناير بأنه ثورة أم انتفاضة أم بين بين ؟

وعند تلمس الإجابة سنجد بالفعل أنها ثورة ولكنها لم تكتمل بعد فهى حسب التعريف فى الباب الأول غيرت أولا النخبة الحاكمة أو النظام حيث سقط النظام القديم المتمثل فى النخبة الحاكمة والحزب الحاكم وسينشأ- أى فى المستقبل – نظام جديد بمؤسسات جديدة بعد انتخاب مجلس النواب (مجلس الشعب ومجلس الشورى) ومن بعده رئيس الجمهورية وبالتالي لكى تعتبر ثورة ٢٥يناير ثورة حقيقية لا بد من اكتمال العنصر الثانى من التعريف وهو وجود نخبة حاكمة جديدة وهو ما لم يحدث بعد مرور مائة يوم لذلك فهى يعد مائة يوم من قيامها تعتبر " ثورة في طور النشأة " .

ولكننا فى انتظار الركن الثانى من الثورة وهو التغير الجوهرى فى الوضع السياسى والاقتصادى والاجتماعى الذى يضع بالفعل ثورة ٢٥ يناير على الطريق الصحيح للثورات العظام بدلا من وضعها على الطريق الخطأ الذى انتهجته الثورة البرتقالية التى حدثت فى أوكرانيا نهاية عام ٢٠٠٤ م والتى انتهت نهاية مأساوية بالعودة إلى الخلف عام ٢٠١٠ م حيث أنها لم تستطع القضاء على الفساد فى المجتمع .

ولكى نحكم على استمرار نجاح الثورة ينبغى التأكد من معايير نجاحها المتمثل فى البنود التالية الواجب توضيحها بالتفصيل :

١- تغيير النخبة الحاكمة :

لا بد لنجاح أى ثورة أن تقوم الثورة أولا بتغيير النخبة الحاكمة ومؤسساتها حتى لا يتم الحكم عليها بأنها انتفاضة شعبية وبالفعل نجحت ثورة ٢٥ يناير فى تغيير النخبة الحاكمة وبذلك يعتبر يوم ١١ فبراير ٢٠١١ م وهو يوم تنحى الرئيس السابق حسنى مبارك عن السلطة هو أول يوم من أيام نجاح الثورة المصرية الحديثة حيث

تغير رأس النظام ثم جاء ثانى أيام النجاح بحل مجلسى الشعب والشورى يوم ١٣ فبراير ثم ثالث الأيام الناجحة باستقالة حكومة الفريق أحمد شفيق التى تشكلت فى ظل الحكم السابق يوم ٣ مارس ثم رابع أيام النجاح بسقوط دولة مباحث أمن الدولة يوم ٦ مارس ثم خامس الأيام بالحكم بحل الحزب الوطنى الحاكم السابق يوم ١٦ ابريل .ولكى تتم نجاحات الثورة لابد من استكمال تطبيق هذا المعيار وهو وجود نخبة جديدة تقوم بحكم البلاد بدلا من الحكم العسكرى الذى مايزال يمنع استكمال وصف الثورة بأنها ثورة ناجحة حتى يتحقق بند تغيير النخبة الحاكمة كاملا ويأتى مجلس نواب جديد منتخب ديموقراطيا ومن ثم بحكومة جديدة ثم رأس نظام جديد وهو الرئيس القادم المنتخب من قبل الشعب المصرى .

وعلى هذا المعيار يتأكد نجاح الثورة بصورة جزئية غير كاملة حتى يكتمل تغيير النخبة الحاكمة فمن وجهة نظر هذا التعريف لم تعتبر ثورة ٢٥ يناير ثورة كاملة المعالم إلى الآن فهى "بين بين".

٢- تغيير الوضع السياسي للدولة :

من المعايير الهامة لنجاح أى ثورة هو تغير الوضع السياسى للدولة وقد يكون المعنى القديم بانتقال الحالة السياسية من الملكية إلى الجمهورية ولكننا فى مصر كنا بالفعل جمهورية وبالتالى يكون لزاما تغيير النظام السياسى بتغيير سياسة إنتخاب النخبة الحاكمة ودخول أحزاب وتكتلات جديدة وهو ما حدث بالفعل حيث تم أسقاط المواد المعطلة لانتخاب رئيس جمهورية من غير الحزب الوطنى السابق وحدث ذلك من خلال الاستفتاء الذى تم لأول مرة بصورة ديموقراطية فى تاريخ مصر يوم ١٩ مارس ٢٠١١م ونتج عنه إصدار أعلان دستورى يتيح لكل الشعب إمكانية الترشح لرئاسة الجمهورية بالشروط المعمول بها فى دول مثل فرنسا من حيث عدد الأشخاص المطلوب من المرشح المستقل للرئاسة الحصول على موافقتهم وتنوع المحافظات لأولئك الأشخاص المرشحين وكذلك

تخفيض العدد المطلوب من أعضاء مجلس الشعب والمجـالس المحلية لمن يريد سلوك الترشيح من خلال البرلمان بالإضافة إلـى الابقاء على مرشحى الأحزاب التى لها أعضاء فى البرلمان .

وقد أعطى هذا التطور فى طريقة الانتخاب الحرية لكل المصريين فى أن يروا أنفسهم أو أبناءهم يوما ما رؤساء للجمهورية وهو مـا كان حلما صعب المنال فى التاريخ المصرى الحديث .

وأيضا ترتب على ذلك تغيير قانون إنشاء الإحـزاب ليتـيح إنشـاء أحزاب جديدة بعد الإخطار خلال فترة قصيرة ويصـبح الحـزب ساريا بعد الحصول على تأييد خمسة آلاف عضو وهو رقم معتـاد فى كل دول العالم الديموقراطية .

ومن النتائج المباشرة للثورة هو تطـور قـانون مباشـرة الحقـوق السياسية ليعطى حق إبداء الرأى فى كل وسـائل الإعـلام وكـذلك سهولة إنشاء الصحف والمجلات والقنوات الفضائية ووسائل الإعلام الأخرى وأيضا حق التظاهر السلمى لكل الفئات مع عـدم الاخـلال بالنظام وهو ما لم يكن مطبقا سابقا حيث لم يعط الإذن والسماح لأى مظاهرة سلمية أو غير سلمية وكانت كل المظاهرات مخالفة للقانون فى ظل النظام السابق .

٣- تغيير الوضع الاجتماعي للدولة :

من المعايير الهامة للثورات هو التغير الجذرى للمجتمع ومفاهيمـه وقد لا يظهر هذا المعيار خلال مائة يوم أو حتى عدة سنوات ولكنه سينعكس على المجتمع خلال فترة قد تمتد لعشرات السـنين ولكـن هناك بوادر تغيير الوضع الاجتماعى التى تنشأ دائما كنتيجة لتغيـر الوضع السياسى والحريات التى سيكتسبها الشعب حيـث أن حريـة التعبير سوف تؤتى ثمارها حتما فلسوف تظهر خلال فترة قصـيرة بوادر القضاء على الأمية وانفتاح مناهج التعليم على الآخر وسـينتج عنها قلة التشدد الدينى على الأقليات العرقية والدينية ولسوف تـأتى تلك التغيرات بالإيجابيات على الناس فى المناطق المتطرفـة مثـل

الصعيد والنوبة والواحات وسيناء وعلى المناطق الشعبية في المحافظات الكبرى وكذلك على معتنقى الديانات ذات الأقلية الشديدة مثل الشيعة والبهائية لأن الأقليات المعروفة مثل المسيحية والصوفية الإسلامية قد أخذت مكانتها بالفعل ، وأيضا سينعكس التغيير على قلة التمييز والتفرقة بين الرجال والنساء وسهولة التحولات الاجتماعية التى تنشأ عن الزواج والطلاق أو حتى تغيير الملة والدين مثلما حدث فى أوربا بعد قيام الثورة الفرنسية .

وقد تأتى الثورة بعكس الاتجاه المعروف نحو الحرية الاجتماعية كما حدث مع الثورة الايرانية فتأخذ المجتمع معها نحو التغيير فى اتجاه التشدد الدينى والتطبيق شبه الكامل للشريعة مما سيغير المجتمع أيضا ولكن فى اتجاه عكس عقارب الساعة التاريخية .

وعذرا عزيزى القارئ فلسوف تظهر أيضا بوادر سلبية كما حدث فى أوربا تتمثل فى انتشار التفكك الاجتماعى والأسرى نتيجة تلك الحرية التى لم يعتد الشعب المصرى عليها وسيقبل الشعب المصرى شاء أم أبى بوجود تلك الآثار السلبية والتى قد تصل إلى مرحلة حرية التحول الدينى وستظهر مللا ونحلا دينية وأخلاقية جديدة وقد تظهر بوادر حرية الممارسة الجنسية ولو بصورة أقل من الدول الغربية وقد تماثل تركيا ولبنان وكل ذلك فى حالة عدم وصول التيارات الإسلامية للحكم .

٤ - تغيير الوضع الاقتصادى للدولة :

يكاد يجمع كل الخبراء المنشورة وجهات نظرهم فى كل الصحف اليومية وفى كل وسائل الإعلام على وصول التحسن الإقتصادى لمستوى الشعب خلال سنوات قليلة فسينتقل التحسن الاقتصادى لكل المستويات من مستوى رجال الأعمال إلى مستوى الرجل العادى حيث ستطبق قوانين الضرائب والعدالة الاجتماعية على كل الناس بلا استثناء وسيستفيد منها الفئات المهمشة التى كانت هى المحرك الأساسى للثورة والتى لن ترضى عن استمرار الوضع القائم على

عدم وجود العدالة الاجتماعية مما سيعود بالنفع على الشعب خلال الاعوام القادمة التى تلى الانتخابات البرلمانية والرئاسية وليس قبلها حيث أن مرحلة ما قبل الانتخابات الرئاسية والبرلمانية هى مرحلة انتقالية صعبة. وستزيد خلال تلك الفترة وتيرة التحسن الاقتصادى نتيجة قلة الفساد وقلة نهب الثروات حيث ستعود تلك الثروات على الشعب ولن يستفيد منها القلة القليلة التى كانت موجودة قبل قيام الثورة .

ومن المتفائلين اقتصاديا من يضع مصر فى مصاف الدول العشرين الأكبر اقتصاديا مع بداية عام ٢٠٢٠ م حيث أن وضعها الثقافى والسياسى والجغرافى وتنوع ثرواتها يؤهلها لذلك ، ولو أن التاريخ لم يقنعنا بذلك من قبل حيث أن الوضع الجغرافى والثروات لم يكن من معايير التفوق إن لم يكن مرتبطا بإرادة التغيير المستمر التى تحافظ على تلك الطموحات .

الفصل الثالث

مستقبل الثورة ونماذج ما بعد الثورة

لا يمكن لأحد أن يتوقع بدقة قيام الثورة أو حتى سرعة استجابة الشعب لها أو ما ستؤول إليه تلك الثورة بعد عدة سنوات ، ولكن يمكن للباحث فى التاريخ أن يتوقع مسار الثورة من خلال دراسة تاريخ الثورات السابقة التى يمكن أن تقدم نموذجا تسلكه ثورة ٢٥ يناير المصرية مع الاحتفاظ بالطبيعة المصرية المتفردة .
ومن هذه السيناريوهات ما سيؤدى إلى تطور مصر ومنها ما سيؤدى – لاقدر الله – إلى وئد الثورة خلال عدة سنوات وسنقدم كلا منها بأمانة وموضوعية وعدم الخوف من المستقبل .
ويمكن تقسيم السيناريوهات إلى ثلاثة مجموعات رئيسية وهى السيناريوهات الدينية والسيناريوهات الديموقراطية والسيناريوهات المحبطة للثورة .

أولا : السيناريوهات ذات المرجعية الدينية :

نظرا لوجود قوة الاخوان المسلمين المنظمة العدة والعدد منذ عشر سنوات كأكبر قوة معارضة فيمكنها أن تستولى على الحكم بصورة جزئية أو تتحكم فى النسبة الأكبر من مقاعد مجلس النواب وبالتالى يمكنها أن تتحكم فى سن القوانين المؤازرة لتوجهاتها خلال العقد الحالى وحتى سنة ٢٠٢٠ م ، ولكنها أيضا يمكن أن تسلك أحد الطرق والنماذج التالية :

١ – السيناريو الدينى التركى بصيغة مصرية :

لتركيا ذات الغالبية السكانية الإسلامية الفضل فى نشر العلمانية الإسلامية عبر دول العالم الإسلامى منذ عام ١٩٢٤ م فقد قامت الدولة التركية العلمانية على يد مؤسس تركيا الحديثة مصطفى كمال أتاتورك حيث أنشأ أبو الأتراك (أتاتورك) الدولة التركية معتمدا على الفكر الغربى الذى يفصل الكنيسة عن الدولة فقام بفصل الدين والمسجد عن الدولة فلا يمكن النظر إلى أى أمر من منظور الحلال والحرام فمحال الخمور وحتى الدعارة ممكنة فى ظل الدولة العلمانية ولا يمكن مناقشة بند مثل حرمانية فوائد البنوك أو ارتداء الحجاب

وإلا اعتبر مخالفا للدستور كما لا يمكن ظهور أى حزب يتبنى توجهات دينية ، ولكن مع نهاية تسعينات القرن الماضى ظهرت فى تركيا أحزابا تحمل مرجعية دينية فى ثوب علمانى وعندما تولت الحكم ارتفعت مكانة تركيا عالميا بفضل قيامها بمكافحة الفساد وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الإتراك مما انعكس أيجابيا على تقدم تركيا فأصبحت من أقوى دول المنطقة اقتصاديا .

فيمكن للقوى الدينية المصرية أن تنتهج نهجا مشابها من اهتمامها بمكافحة الفساد والتركيز على العدالة الاجتماعية وتحقيقها لذلك مع المحافظة على المرجعية الدينية وإعطاء الحرية النسبية للمرأة وللمسيحيين والشيعة والصوفية ، وبذلك يمكنها أن تنهض بمصر على الطريقة التركية بتواجد التيار الدينى كحاكم ولكن مع وجود نوازع علمانية تجعل لغير المتدينين دور فى المجتمع مشابه لدور المتدينين . وهذا النموذج على صعوبة تحققه إلا أنه من أنجح الأساليب والسيناريوهات التى يمكن أن يستفيد منها المصريون خلال السنوات الخمس القادمة .

٢- السيناريو السعودى بصبغة مصرية :

المملكة العربية السعودية هى النموذج الإيديولوجى الإسلامى السنى السلفى والذى يعتبر متشددا فى أمور الدين ومضيقا على الحرية الدينية لغير أهل السنة بل وأصحاب الديانات الأخرى حيث أن الشيعة السعوديين قلما يأخذون فرصهم بالمقارنة بأهل السنة ، كما أن المرأة لا تستطيع دخول المعترك السياسى ولم يسمح لها بقيادة السيارة إلا منذ وقت قريب وفى أضيق الحدود ، والأصعب من ذلك هو إقامة الحد على المسلم وعلى كل من يعتنق الديانات غير الإسلامية بطريقة تجعل القوانين العصرية غير ذات مغزى ، ولا يسمح عادة للتمثيل الرسمى لغير المسلمين فلا توجد كنائس أو معابد لليهود أو الدروز بالرغم من تواجدهم كوافدين للمملكة . ومن الناحية الرسمية لا يمكن تواجد محلات لبيع الخمور أو لحم الخنزير

وبالطبع لا يمكن ذكر كلمة الدعارة وإلا فسيقام الحد على القائل بقيامها وليس من يفعلها ، وبالتالى تقوم المملكة العربيـة السـعودية على إشراك كل أمور الدين فى السياسة بحيث يتم النظر إلى أى أمر من منظور دينى قبل منظوره السياسى .

ويمكن لمصر أن تنتهج المنهج السعودى ولكن بعد عام ٢٠١٦ م أى فى مجلس الشعب بعد القادم حيث يمكن أن يقفز على ساحة الإخوان أصحاب الجناح السلفى الذى سيطالب بتطبيـق الشـريعة بصـورة واضحة وسيتم سن القوانين المؤيدة لذلك وبـذلك سيصـعد التيـار السلفى الوهابى النزعة ليتحكم فى كل الأمور مما سيضع مصر على أعتاب مناوشات أو حرب أهلية غير معروفة العواقب تأخذ مصـر إلى طريق مظلم ينهى كل آثار الثورة . وبالرغم من صعوبة تصور هذا السيناريو إلا أنه ممكن الحدوث بصورة ليست كبيرة .

٣- السيناريو الإيرانى بصيغة مصرية :

لقد أشرنا سابقا إلى دور الثورة الإيرانية فى المنطقة بالتفصيل ولكن يمكن للتيار الإسلامى أن يطبق النموذج الإيرانى مع استبدال حكـم الشيعة بحكم السنة حيث يمكن بعد عدة سـنوات أن يقـوم مجلـس الشعب بالموافقة على المرشحين للرئاسة قبل ترشحهم مما سـيؤدى إلى وصول رؤساء يميلون إلى التيار الدينى ثم يتطور الأمـر إلـى إدخال الدين للقوات المسلحة والشرطة -كما حـدث فـى إيـران- فتتحول الدولة كلها إلى دولة دينية يحكمها الإسلام السنى مع تـرك الباب مفتوحا للتيارات الدينية الأخرى وتحجيم دور المرأة بإعطاءها حرية نسبية وعدم توليها أى مناصب قيادية مـؤثرة ، وفـى هـذا السيناريو سيتم إنشاء جيش إسلامى وشرطة إسلامية وحرس ثورى إسلامى مع وجود ديموقراطية فى ثوب دينى مقيد وقد يـؤدى هـذا السيناريو إلى تطور الدور المصرى ولكنه سـيجابه العـداوة مـن الغرب مثلما يحدث مع إيران . وهذا السيناريو صعب التنفيـذ فـى

مصر ولكنه ممكن بصورة ضعيفة على المدى البعيد خلال العشر سنوات القادمة .

السيناريو الديني الاسرائيلي بصيغة مصرية :

منذ قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ م وهى تنتهج منهجا عنصريا دينيا يقوم على أفضلية الديانة اليهودية على كل الديانات وكذلك أفضلية اليهود على سائر السكان مع اتباع النهج الديموقراطى الغربى فى الانتخابات والحريات السياسية , ويمكن للتيارات الدينية المصرية ان تنتهج نفس المنهج مع استبدال الديانة اليهودية بالاسلام فتتحول مصر إلى دولة إسلامية ديموقراطية عنصرية لا تعطى الحرية لغير الديانة الإسلامية مع إعطاء صبغة ديموقراطية لأى موضوع آخر بعيدا عن الإسلام فيمكن للمرأة أن تتولى جميع المناصب ويمكن السماح بتواجد جميع الأديان ولكن بالتضييق على تولى معتنقيها أية مناصي قيادية . وهذا النموذج من أقرب النماذج للتطبيق فى مصر مع النموذج التركى حيث غالبا ما يفضل الاسلاميون الدخول إلى مجلس الشعب أكثر من الدخول إلى الرئاسة كما يحدث مع اليهود فى إسرائيل ، كما أن الفساد وغياب الديموقراطية هو الأقل فى إسرائيل مقارنة بباقى مناطق الشرق الأوسط وكذلك محاولة أن يكون الجيش – على عكس إيران– غير مرتبط ارتباطا وثيقا بالسياسة والدين ومرتبط بصورة أكبر بأمن الدولة ومصالحها ومنفذا لما ترتضيه الدولة حتى ولو كان غير ديموقراطى أو مناقضا لحقوق الإنسان.

ثانيا : السيناريوهات الديموقراطية :

قد يحدث خلال العقد الحالى وحتى سنة ٢٠٢٠ م أن تنتهج مصر طريق الديموقراطية غير الدينية عن طريق قلة عدد المقاعد التى يحصل عليها الإخوان المسلمون فى مجلس الشعب وكثرة عدد المرشحين الأخرين مما سيؤدى إلى حالة من التوازن الديموقراطى سينعكس إيجابيا على كل المصريين حيث سيأخذهم إلى طريق

الديموقراطية على مدار العقد الحالى وحتى سنة ٢٠٢٠ م .
ويمكن أن يسلك الطريق الديموقراطى عدة مسارات كالتالى :

١- سيناريو طريق الديموقراطية الغربى :

يمكن لمصر أن تنتهج طريق الديموقراطية الغربى كما يحدث فى أوربا والولايات المتحدة باتخاذها إما نظاما رئاسيا مثل الولايات المتحدة وفرنسا أو نظاما برلمانيا مثل بريطانيا ويتوقف الوصول لهذا الطريق على وعى الشعب المصرى ووعى النخبة التى تقوده حيث أن النخبة هى العامل المؤثر فى الطريق إلى الديموقراطية فإن كانت النخبة التى ترتضى الديموقراطية الغربية مؤثرة فسوف ينساق الشعب وراءها وفى هذه الحالة ستصبح مصر فى مصاف الدول العشرين الأكبر فى العالم خلال عشر سنوات وستتفوق مصر على كل من تركيا والمملكة العربية السعودية بل وعلى إسرائيل وستصبح أكبر قوة فى منطقة الشرق الأوسط ولكنها ستجابه حينئذ الثورة المضادة من الدول الخارجية المعادية للتطور المصرى وقد تساند الدول الغربية مصر على أساس العودة إلى مصر الديموقراطية التى تعتبر جزءا من أوربا الرومانية القديمة .
وهذا السيناريو المتفائل أقرب إلى الأحلام وبعيدا عن واقعية التطبيق ولكنه ممكن الحدوث ولو بنسبة ضعيفة .

٢- سيناريو طريق الديموقراطية الجزئى :

نظرا لحداثة الديموقراطية المصرية فقد لا تستطيع الوصول إلى النموذج الغربى للديموقراطية ولكنها قد تصل إليه بطريقة جزئية تتضمن انتخابات حرة لا تأتى بأى نخبة تسعى لتطوير مصر فتبقى مصر على حالة الديموقراطية اللبنانية بطريقة كر وفر ديموقراطى لا يؤدى إلى شئ سوى الحرية الجزئية فى الصحافة والإعلام .
وهذا النموذج ممكن حدوثه بنسبة أعلى من النموذج السابق حيث سيؤدى الصراع الديموقراطى بين الإخوان وغيرهم إلى توقف كل أنواع التقدم الاقتصادى والاجتماعى فى ظل ديموقراطية بأغلبية

ضعيفة غير مريحة ومذبذبة وإن اكتست بالحرية كما يحدث فى لبنان .

ثالثا - السيناريوهات المحبطة للثورة :

نشرت وكالة رويتر للأنباء فى ديسمبر عام ٢٠٠٩ م تقريرا عن الثورة الرومانية بعد مرور عشرين عاما على قيامها وكيف أنها لم تحقق للشعب الرومانى إلا القليل من التطور الذى جاء معظمه من الانضمام للاتحاد الأوربى عام ٢٠٠٧ م وذكرت قولا لأحد الرجال الذين اشتركوا فى الثورة حيث قال :.بعد قيام الثورة كنا نحلم بأن نكون رومانيا مثل الولايات المتحدة أو ألمانيا فلم يحدث ذلك فأخذنا نحلم بعد عدة سنوات بأننا يمكن أن نكون مثل النمسا ولم يحدث ذلك أيضا فأصبحنا الآن ننافس المجر على ذيل الدول الأوربية وأصبحنا نشك كثيرا فى ثمن التضحيات التى قدمناها لتقوم الثورة .

يعبر القول السابق عن أسوأ السيناريوهات التى ستحدث لمصر خلال العقد الحالى حيث سيتم فى هذا السيناريو وئد الثورة وإنهاءها وستعود مصر إلى ما كانت عليه مع تغير طفيف خلال العقد الحالى ويرجع ذلك إلى وجود نخبة غير واعية تتولى أمور البلاد أو حتى وجود نخبة ترضى بالقليل كما حدث مع ثورة مصر عام ١٩١٩ م . أو حتى نتيجة كثرة الاحتجاجات والمناوشات خاصة الطائفية منها وأيضا السياسية التى ستوقف أى عجلة للتقدم بلا شك . ويمكن أن يتم ذلك بعدة طرق :

١- سيناريو ثورة عام ١٩١٩ م :

إذا وجدت نخبة غير طموحة تكتفى بما يتحقق مثلما فعلت نخبة ثورة عام ١٩١٩ م التى لم تحصل إلا على استقلال منقوص عام ١٩٢٢م وبالتالى فقدت الثورة كل مكتسباتها مع وفاة سعد زغلول عام ١٩٢٧م ، هذه النخبة غير الطموحة فى ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م لن تساهم فى رفع الوعى القومى بالثورة ولن تنقل الإحساس بالثورة

إلى الشارع المصرى فيبقى الشارع المصرى على ما هو عليه . من تشرذم وفساد وسوء أخلاق وسوء نظام وسيقفز للسطح جيل جديد من محترفى السياسة النفعيين الذين لن يختلفوا كثيرا عن رجال الحزب الوطنى المنحل ولكنهم سيكونون أكثر ديموقراطية من حالة ما قبل الثورة ، ويعود ذلك إلى أن النخبة السياسية لن تحصل من المجلس العسكرى الحاكم إلا على أقل القليل من الديموقراطية وبالتالى أقل القليل من التطور لعدة سنوات تعود مصر بعدها إلى حالة الديكتاتورية العادلة التى انتهجها كل من جمال عبد الناصر وحسنى مبارك فى أوائل حكم كل منهما ثم تنتهى الثورة تماما بعد عدة سنوات ليست كثيرة وهو ما حدث أيضا مع ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م ، ومع الأسف هذا السيناريو وارد الحدوث بنسبة كبيرة فى هذا النوع من التصورات المحبطة للثورة .

٢- سيناريو الثورة الرومانية والأوكرانية :

قد تمر مصر بحالة رومانيا وثورتها عام ١٩٨٩ م التى ذكرناها سابقا أو حتى الثورة البرتقالية فى أوكرانيا عام ٢٠٠٤ م والتى عادت بكل منهما إلى نقطة البداية ، وفى هذه الحالة سيحدث فى مصر بعض التحرر والوصول للديموقراطية الجوفاء ولكن سيعود الفساد بصورة جزئية ثم بصورة كلية ويعيق التقدم وتتكون عصابات فساد جديدة تغير أشكالها وأسماءها بجيل جديد من الفاسدين يسيطر على الواقع والمشهد السيايسى والاقتصادى وقد يكون مدعوما من الخارج فتعود مصر إلى حالة الصفر السياسى والاقتصادى كما حدث لرومانيا وأوكرانيا حيث لم تنج رومانيا إلا بدخولها الاتحاد الأوربى .

٣- عودة الحكم العسكرى :

قد يطمع العسكريون فى السلطة التى حافظوا عليها وبالتالى سيغلقون كل الطرق التى سينتهجها كل المرشحين للرئاسة وسيتم كشف عيوب كل منهم بطريقة عفوية أو منظمة وممنهجة وبالتالى لن يتبقى إلا

طريقا واحدا وهو ترشيح أحد العسكريين لتولى الحكم بدعوى وجود مصر دائما تحت الخطر من كل الجوانب وأن أفضل الطرق لحكم مصر هو وجود حاكم ذى خلفية عسكرية وقد يمتد الأمر إلى مهادنة القوى المعارضة الكبرى مثل الإخوان المسلمين للوصول لهذا الهدف . وإن لم ينجح ذلك الأمر فسيتم تعيين مجلس وصاية عسكرى لحماية مكتسبات الثورة يمكن من خلاله التدخل فى الأمور والتحكم فى المرشح للرئاسة وسيحدث فى مصر ما حدث عام ١٩٥٤ م من استئثار للعسكريين بالحكم تحت مسمى مدنى رئاسى فالرئيس المشير أو الرئيس الفريق سيكون الحاكم القادم لمصر خلال السنوات القادمة وبالتالى يتم القضاء على الثورة بصورة تامة وتصبح ثورة ٢٥ يناير مجرد حلم عفوى عاشه المصريون لعدة سنوات ويتم ذكره فى الكتب على أنه انتفاضة شعبية ضد الفساد وليس ثورة .

كانت تلك تصورات افتراضية ممكنة الحدوث فى مصر حسب معطيات التاريخ الإنسانى ويمكن لك عزيزى القارئ أن تضع بنفسك العديد من التصورات بخلط بعض التصورات أو السيناريوهات الافتراضية السابقة ببعضها واستنتاج سيناريو جديد ولنترك للتاريخ الحكم على تلك التصورات .

ولكن الحكم فى تنفيذ أى سيناريو سيبقى دائما فى يد الله حيث أن القرآن قد حكم مقدما على ما سيحدث بقوله " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " فقد وضع الله إرادته مع إرادة الشعب وبقدرته على التغيير فوضع بذلك التاريخ فى يد القوم الذين يقومون بكتابته بأنفسهم .

الملاحق

ملحق رقم (١)

جماعة الإخوان المسلمين

بعد انتشار المسيحية ظهر بين المسيحيين منذ العصر الأول كلمة لم يعتد عليها الرومان وهى كلمة " أخ أو أخت" و " إخوان " كناية عن المسيحيين المتدينين ضد الرومان الوثنيين وتطورت تلك الكلمة لتتغلغل فى صلب الديانة المسيحية وينشأ من خلالها جماعات متعددة تحت مسميات متعددة تتضمن لفظ " الإخوة والأخوات " المسيحية ومن بعدها الإخوان المسيحيون وشبيبة الأخوة المسيحية وكلها جماعات ذات أهداف اجتماعية خيرية وتنموية تحمل مغزى دينى انتشرت فى أوربا خلال القرنين التاسع عشر والعشرين لتدعو للتكافل الاجتماعي والمبادئ المسيحية الدينية .

أما فى الاسلام فقد تنبه المسلمون إلى ورود نفس اللفظ بنفس المعنى فى القرآن حيث يقول الله فى كتابه الحكيم " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم " ولكن لم ينتشر لفظ إخوان بصورة كبيرة خلال القرون الأولى للإسلام ولكن فيما بعد اتبعت بعض التيارات الإسلامية وخاصة الصوفية منها ذلك الاسم مثل جماعة " إخوان الصفا " ومع بداية القرن العشرين ووجود الاحتلال البريطانى وسفر العديد من الشباب للخارج وتعرفهم على تلك الجماعات الدينية الخيرية المسيحية انتشرت فى مصر جمعيات مشابهة تحمل أهدافا خيرية واجتماعية مثل جماعة الإخوان المسلمين .

ومع نهاية عشرينات القرن الماضى ومن نتائج ثورة ١٩١٩ م ظهور تلك الجماعات الدينية المعتمدة على العمل الخيرى وحسب ما ينقل موقع جماعة الإخوان المسلمين على الانترنت www.ikhwanonline.com البيان التالى المعبر عنها حيث تقول " اهتمَّت جماعة الإخوان المسلمين منذ نشأتها سنة ١٩٢٨م بتوضيح فكرتها وتبيان حقيقة دعوتها وكونها هيئة إسلامية جامعة، تحمل مشروع اليقظة في العالم الإسلامي كله، ولذلك أكدت منذ البداية مرجعيتها الإسلامية ومنهجها في العمل، وسجَّلت كل ذلك في أدبياتها الكثيرة التي تحتشد في المكتبات ويعتمد عليها الباحثون والدارسون في شتَّى التخصصات." والحقيقة أن البيان السابق يعبر عن موقف الإخوان منذ نشأتها على يد الإستاذ الراحل حسن البنا وإخوانه فى مطلع الثلاثينات من القرن

الماضى حين اختلفت تلك الجماعة عن الجمعيات المسيحية فى إمكانية أن تحمل أهدافا سياسية إلى جوار الأهداف الخيرية والإجتماعية ولكنها ذات مرجعية دينية وهو ما جعلها تقترب من فكرة الأحزاب المسيحية الأوربية التى نشات خلال القرن العشرين والتى مزجت الدين بالسياسة ولكنها – أى جماعة الإخوان المسلمين– لم تحبذ أن تتحول إلى حزب سياسى واضح المعالم منذ نشأتها عام ١٩٢٨ م إلى بداية عام ٢٠١١ م خاصة بعد حل حزب العمل الذى أسسه إبراهيم شكرى منتصف السبعينات وكان متضمنا بعض أفكار مشابهة لأفكار الإخوان. وقد عملت جماعة الإخوان المسلمين على وضع نظام أساسى لها يوضح طريقة انتخاب مرشدها العام وكيفية تدرج الإدارة بها لتنتقل القرارات من الأسرة إلى الشعبة إلى المنطقة إلى الإدارة وتتضح جميعها فى موقعها السابق على شبكة الانترنت حيث تدرج ذلك النظام منذ عام ١٩٤٨م إلى عام ١٩٩٥م بعدة تعديلات مختلفة فى سنوات ١٩٨٢ وعام ١٩٩٤ م ، أما عام ١٩٩٥ م فهو يعتبر عاما فارقا فى طريقة تفكير الإخوان حيث اعتمد فيه الإخوان على مكتب الإرشاد المماثل للمكتب السياسى لأى حزب والذى يمكن من خلاله انتخاب المرشد العام حيث أن الاجتماعات منذ عام ١٩٩٥ م أصبحت محظورة وتؤدى حتما إلى السجن لفترة تصل لثلاث سنوات أو أكثر واعتمد الإخوان بعد ذلك العام على اتباع النهج السياسى الواضح بالدخول فى الانتخابات بجميع أنواعها من مجالس نيابية إلى نقابات واتحادات كما كانت خلال فترة نهاية السبعينات .

وتنتشر جماعة الإخوان المسلمين فى كل مصر وتمتد حتى إلى النجوع والقرى بنفس الطريقة التى وضعها حسن البنا التى تعتمد على الاحتكاك بالجماهير وضرورة إقناعهم بالدين من خلال العمل الاجتماعى وتكوين قيادات شعبية تتغلغل فى كل نسيج المجتمع المصرى .

ومن الغريب أن تكون جماعة الإخوان المسلمين هي من ساندت وساعدت ثورة ٢٣ يوليو فى نجاحها وإن أنكرت الثورة ذلك ولكن كل الشواهد التاريخية تؤكد قول الإخوان بأنه كان لهم دور مساند للثورة حتى حدث الانقلاب عليهم عام ١٩٥٤ م وتخلصت الثورة من كل أعضاءها المساندين للإخوان .

أما من ناحية الفكر الإسلامى فتنتهج الجماعة دائما على حد قول قادتها الفكر الوسطى بين السلفيين والعلمانيين حيث تؤمن بضرورة تطبيق الشريعة ولكن تختلف مع السلفيين فى طريقة التطبيق حيث تنظر الجماعة دائما إلى أن الدين يجب أن ينتشر بالحسنى وبالمثل العليا التى تجعل عضو الجماعة هو قدوة

المجتمع فى التغيير الذى سيأتى حتما ولكن بالطريق التدريجى الذى لا يضر المجتمع ، وهذا النهج الوسطى ساهم بشكل كبير فى اتساع دائرة جماعة الإخوان لتشكل خلال فترة نهاية السبعينات عصب كل اتحادات الطلاب بالجامعات وكذلك الاتحادات العمالية والنقابات المهنية ولكنها عانت التضييق مع نهاية عصر الرئيس السادات وعانت الاضطهاد الشديد خلال الفترة الأولى لحكم الرئيس مبارك ولكنها بالصبر والمثابرة وصلت للقمة عام ٢٠٠٥ لتصبح أقوى قوة معارضة فى مصر بحصولها على خمس عدد نواب مجلس الشعب فى الانتخابات التى لو تركت بدون تزوير لتعدى عدد ممثليها ثلث عدد مقاعد البرلمان آنذاك متفوقة على كل الأحزاب السياسية .

ولا يمكن لأى متابع لشئون الإخوان إلا أن يدرك أن هناك عدة أجنحة فى جسد جماعة الإخوان فهناك جناح يمينى متشدد وآخر يسارى متحرر ووسط بينهما وفى كل مرحلة يسيطر أحد الأجنحة على قيادة الجماعة إلا أن المرحلة القادمة ستكون بلا شك لجماعة شباب الإخوان المسلمين التى ساندت الثورة وكانت أحد أهم الأسباب التى أدت لنجاح الثورة المصرية عام ٢٠١١م .

ومنذ نشأة الجماعة ونجاحها اجتذبت دولا اخرى لتطبق نفس الطريقة الإسلامية الخيرية فانتشرت فى معظم الدول الإسلامية جماعات الإخوان المسلمين ثم تطرق قادتها إلى إمكانية تكوين مجلس عالمى للإخوان المسلمين حول العالم وقد حدث بالفعل وقد يتحول هذا المجلس فيما بعد إلى منظمة مؤتمر إسلامى شعبى يقابل منظمة المؤتمر الإسلامى الحكومى .

ملحق رقم (٢)

السلفيون والمذهب السلفي

تتردد فى هذه الأيام على ألسنة الناس كلمة " السلفيين " فهم يسمعونها تتردد فى كل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة ولكنهم واقعون فى حيرة من أمرهم عن معناها ومغزاها ولكى نوضح للقارئ معناها ينبغى أن نتتبع تاريخ تلك الفئة خاصة فى التاريخ الاسلامى لدولة المماليك حيث أن التاريخ القديم منذ القرن السابع الهجرى الذى أفرز لنا العلامة ابن تيمية -الذى يعتبره السلفيون الأب الروحى وباعث النهضة الإسلامية السلفية بعد عصر الإمام أحمد بن حنبل الذى اندثرت معالم متبعيه ولم يتبق منهم الا العدد القليل- قد مر بفترة تشبه ما نحن فيه الآن حيث بدأ القرن الثامن الهجرى بنفس الفكر الموجود الآن من المناداة بحرمة الأضرحة والاحتفالات والموالد والتبرك بالأولياء والقبور ومن العداء للمذاهب الأخرى والصوفيين والشيعة بل وللديانات الأخرى وتكفير معتنقيها ، وقد حدث آنذاك ما حدث فى الفترة السابقة الخاصة بالإمام أحمد بن حنبل حيث تم حبس أتباع بن تيمية وتعذيبهم أحيانا ، وقد لاقى بن تيمية نفس المصير الذى لاقاه معلمه الروحى أحمد بن حنبل حيث سجن لفترة طويلة حتى تولى الناصر قلاوون حكم مصر وكان يميل إلى الفكر المضاد للشيعة والصوفية لذلك عفى عنه وأكرمه وبذلك دخل فكر بن تيمية مصر مع القرن الثامن الهجرى . والحقيقة التى لا جدال فيها أن هذا الفكر لم يستقم مع المصريين لفترة طويلة حيث نسى المصريون تماما ابن تيمية وأفكاره ولم يتذكروه إلا مع بداية الستينات مع انتشار فكر العالم سيد قطب الذى يعتبر أهم رافد للسلفية الحديثة من نهر محمد بن عبد الوهاب السلفى السعودى ، ثم زاد الانتشار مع أوائل السبعينات من القرن العشرين وذلك حينما زاد التعاون بين مصر والمملكة العربية السعودية وقصد المصريون المملكة للعمل والرزق فتعرفوا على أهم روافد الفكر السلفى وهو الفكر الوهابى الذى نشأ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى نهاية القرن الثانى عشر الهجرى أو الثامن عشر الميلادى حيث نادى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتوحيد والعودة لأفعال السلف الصالح الواردة فى كتب الحديث والتفسير المختلفة حسب نهج أحمد بن حنبل ودعا إلى هدم الأضرحة والمزارات التى انتشرت حول الحرم ودعا حتى إلى قطع الشجرة التى كان يتبرك بها المسلمون والتى شهدت البيعة ومن ثم تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقا كاملا لتكون هى قانون البلاد وقد اقتنعت عائلة آل سعود بذلك واتبعت

تعاليمه ثم أصبحت تلك العائلة فيما بعد هى الحاكمة للملكة العربية الحديثة ومطبقة للشريعة الإسلامية على نهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وبذلك انتقل هذا الفكر إلى مصر فتنازل المصريون مع بداية السبعينات عن اعتناقهم لمذهب المالكية أو مذهب الشافعية أو حتى المذهب الحنفى وظهرت فى الأفق مذاهب تعتمد على الأحاديث التى وردت فى الصحيحين (البخارى ومسلم) أو حتى فى كتب الصحاح والسنن الأخرى أو فى كتب التفسير بغض النظر على انتماءها لمذهب معين وبدأ ظهور فقه جديد هو فقه السنة الذى يعتمد عليه الفكر السلفى الحديث فى استنباط الأحكام من خلال السلف الصالح الذى اصطلح الناس على تسمية من اتبع ذلك النهج باسم السلفيين أى أتباع السلف الصالح وهم الصحابة والتابعين من وجهة نظرهم.

فى هذا الفكر يعتمد السلفيون على مصدرين أساسيين هما القرآن والسنة المطهرة أما القرآن فقد اختزلت تعاليمه إلى أقوال المفسرين التى ترد فى تفسيرات محدودة مثل ابن كثير أو القرطبى وأما السنة المطهرة فقد اختزلت إلى صحيح البخارى و مسلم ومن هنا ضاقت مصادر الفكر الإسلامى لتتحول إلى تلك الروافد الأربع الرئيسية مع قلة الأخذ بالروافد الإسلامية الأخرى وإهمال المذاهب السنية الأربعة القديمة بحيث أنه لو تعارضت فتوى أو تفسير مع أحد التفاسير الموجودة عند القرطبى أو حديث موجود عند الإمام البخارى. فالأولى هو ما ورد فى القرطبى أو عند الإمام البخارى ولا يهم كثيرا قول الإمام مالك أو الإمام الشافعي لأنها لم تعد من روافد الفكر الاسلامى إلا عند الدارسين الأزهريين فقط . ومن هنا نشأت مذاهب جديدة للسلفيين – حيث أن السلفيين ليسوا كلهم على مذهل واحد – تعتمد على اعتبار أن ما ورد فى صحيحى البخارى ومسلم هو أمر واجب النفاذ فالحديث الذى منع اتخاذ القبور مساجد سيؤدى عندهم إلى وجوب هدم الأضرحة وكذلك عدم التبرك بها – علما بأنهم لم يقدموا تفسيرا مقنعا لوجود قبر الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده بالمدينة المنورة وعدم نقله – مع عدم الموافقة على إقامة الموالد أو تبرج النساء أو زيارة القبور فى العيد بالإضافة إلى النهى عن حلق اللحية أو سماع الموسيقى أو التصوير بكافة أنواعه، كل تلك الأمور تؤدى بالفعل إلى الصدام بين الجمهور والسلفيين. والحقيقة أن القدماء كانوا أكثر تفتحا ممن تلاهم من سلفيين حيث تركوا بعض الأحاديث – ليس عن إنكار – لوجود أفعال لأهل المدينة مثلا قد لا توافق هذا الحديث وبالتالى قد يصبح فعل أهل المدينة على قدر السنة عند المالكية وإعمال العقل له أهمية كبرى عند الحنفية

فأمور الزينة والملابس واللحية والشارب وحتى أمور الزواج والطلاق اختلفت عبر العصور فاختلف فيها الفقهاء وبالتالى كان للناس فى العصور القديمة متسع كبير فى التعامل مع تلك الأمور ولكن عند السلفيين فى العصر الحديث لم تعد تلك الحرية موجودة فالحديث الفلانى يتحدث عن منع كذا وبالتالى كل مع عداه فهو باطل على طريقة كل من لا يترك لحيته ويحفف شاربه فهو فاسق . ونود أن نشير فى النهاية إلى أن الفكر السلفى بالرغم من اعتماده بصورة أساسية على فكر السلف الصالح إلا أنهم يختارون من فكر السلف الصالح ما يقيد الحريات وبالتالى يصبح الفكر السلفى هو أضيق الأفكار الإسلامية لأنه يهمل كل الأفكار المذهبية السنية الأخرى أو الصوفية أوحتى الشيعية بحجة فسادها لوجود حديث صحيح يبطل أفكار تلك الفئات غير السلفية مع أن أحاديث الشيعة صحيحة من وجهة نظر الشيعة حيث رواها طاهر عن طاهر وكذلك اعتقادات الصوفية هي صحيحة من وجهة نظر الصوفيين.

أما الآراء الفعلية للفكر السلفى فقد ظهرت مع بداية السبعينات من القرن العشرين بعدة جماعات متفرقة أهمها جماعة التكفير والهجرة التى اعتنقت مبدأ تكفير كل من لا يتبع مذهبهم ويجب مقاومته بالقوة مما أدى إلى العديد من المناوشات بدءا من حادث الخانكة أوائل السبعينات إلى حادث الكلية الفنية العسكرية منتصف السبعينات إلى قتل الشيخ الذهبى والعديد من الحوادث الطائفية ، إلا أن الأكثر خطورة كان لفكر جماعة الجهاد الإسلامية التى اعتنقت فكر ابن تيمية ومن بعده ابن القيم بطريقة حرفية من ضرورة قتال الطاغية لنشر الشريعة وتعريفهم الخاص بهم لمفهوم الطاغية والطاغوت فأدى ذلك إلى مقتل الرئيس الراحل أنور السادات عام ١٩٨١ م وإن اعترف قادة تلك الجماعة فيما بعد بتخليهم عن فكرة الجهاد ضد الحاكم والاكتفاء بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وما شابه ، ولكن الحق أقول أن البعض من شيوخهم أو الموالين لهم اتبعه بعض المصريين وقدروهم على اختلاف مذاهبهم مثل الشيخ كشك والشيخ عمر عبد الرحمن والشيخ المحلاوى .

ولكن من حسن الحظ التاريخى أن كل أشكال الفكر السلفى على مر العصور لم يكتب لها الدوام فى مصر منذ قدوم ابن تيمية منذ أكثر من سبعمائة عام حيث أن مصر لم ترضه كحكم فى أى فترة من فترات تاريخها الإسلامى الممتد لنحو أربعة عشر قرنا .

ملحق رقم (٣)

هتافات الثورة :

تعتبر هتافات الثورة المصرية جزءاً من تراث الثورة الواجب توثيقه وتتضمن تلك الهتافات حسب ما كان يقال فى المظاهرات ما يلى :

- إرحل
- الشعب يريد إسقاط النظام
- الشعب يريد إسقاط الرئيس
- يسقط يسقط حسنى مبارك
- الجيش والشعب إيد واحدة
- ياأهالينا ضموا لينا انضموالينا
- واحد اثنين الشعب المصرى فين
- مش حنخاف مش حنطاطى احنا كرهنا الصوت الواطى
- ارفع صوتك زى الناس احنا كرهنا الظلم خلاص
- قالوا علينا شعب جبان واحنا أهوه فى كل مكان
- اشهد اشهد يا زمان الشعب المصرى مش جبان
- اصحوا وفوقوا يا مصريين مش حنقول للظلم آمين
- على وعلى وعلى الصوت اللى حيهتف مش حيموت
- اللى بيضرب أهله وناسه يبقى عميل من ساسه لراسه
- تغيير حرية عدالة اجتماعية
- ارحل يعنى إمشى ياللى مبتفهمشى
- كلموه بالعبرى مبيفهمشى عربى
- مش حنمشى هو يمشى
- ارحل بقى ياعم خلى عند دم
- ثورة ثورة حتى النصر ثورة ف كل شوارع مصر

- ثورة مصر جاية جاية بالعدالة والحرية
- بسم الله الله أكبر
- هوه مبارك عايز أيه عايز الشعب يبوس رجليه
- حسنى مبارك باطل ... جمال مبارك باطل ... حبيب العادلى باطل ... أحمد عز باطل ... مجلس الشعب باطل
- حسنى مبارك مش عايزينه
- حسنى مبارك يا جبان ياعميل الأمريكان
- ثورتنا ثورة شعبية ضد مبارك والحرامية
- يا مبارك يا مبارك السعودية فى انتظارك
- يا مبارك يا مبارك الطيارة فى انتظارك
- قول يا زين قول لمبارك السعودية فى انتظارك
- يا مبارك بره برة عايزين مصر تبقى حرة
- حللو يا حللو مبارك شعبو حللو
- يا مبارك يا خسيس دم المصرى مش رخيص
- يا مبارك يا طيار راحوا فين سبعين مليار
- يا جمال قول لأبوك كل الشعب بيكرهوك
- يا سوزان قولى للبيه كيلو العدس بعشرة جنيه
- يا سوزان قولى للبيه كيلو اللحمة بميت جنيه
- يا سوزان خافى عليه هنجيبهولك من رجليه
- يا حرية فينك فينك حسنى مبارك بيننا وبينك
- يا حرية فينك فينك أمن الدولة بيننا وبينك
- آه يا حكومة هشلك بشك بكرة الشعب المصرى يهشك
- غلوا السكر غلوا الزيت بكرة نبيع عفش البيت

قائمة المراجع

المراجع العربية :

١- جريدة المصرى اليوم:الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١م

٢- جريدة الشروق : الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م

٣- جريدة اليوم السابع : الأعداد من يوم ٢٥ يناير ٢٠١١ م

٤- جريدة الشرق الأوسط : الأعداد من ٢٥ يناير ٢٠١١ م

٥- كتاب الثورة الفرنسية : لويس عوض ١٩٩٢ م

٦-كتاب قصة الحضارة : ول ديورانت ترجمة محمد بدران وفؤاد اندراوس الطباعة من عام ١٩٧١ إلى عام ١٩٨٥ للأجزاء المتعددة

٧- معالم تاريخ الإنسانية : هـ.ج. ويلز ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ١٩٩٤ م الهيئة العامة للكتاب

٨- هشرة أيام هزت العالم : جون ريد ترجمة فؤاد الطرابلسى ١٩٩٩ م

٩- كتاب وصف مصر : ترجمة كامل زهيرى وآخرين

١٠- موسوعة تاريخ العالم : وليام لانجر

١١-تونس فى خضم الثورة : منشورات منظمة العفو الدولية ٢٠١١

١٢-موقع قناة الجزيرة الفضائية للأخبار من يوم ٢٥ يناير

١٣- موقع بى بى سى على الانترنت والفضائية

١٤- موقع الدستور الأصلى على الانترنت

١٥- موقع الاخوان المسلمين على الانترنت

١٦- جريدة الشرق الأوسط عام ٢٠٠٩ عشرون عاما على الثورة الإيرانية لكتاب متعددين .

المراجع الأجنبية :

- Guardian Newspaper : www.guardian.co.uk
- Newsweek Newspaper : www.newsweek.com
- Der spiegel Newspaper: www.spiegel.de

تحت الطبع :

يوميات التحرير

مجدى محمد عبد الحميد



مطبعة الخالد
العمرانية – الجيزة



إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليـــــــل أن يئجلي

ولابد للقيد أن ينكســـر

أبو القاسم الشابى

من ميدان التحرير

سيسجل التاريخ بأحرف من ذهب

تلك الثورة العظيمة التى قامت للقضاء

على الاستبداد وإعادة الشعب المصرى العظيم

ليستعيد مكانته المرموقة بين شعوب العالم الحر



